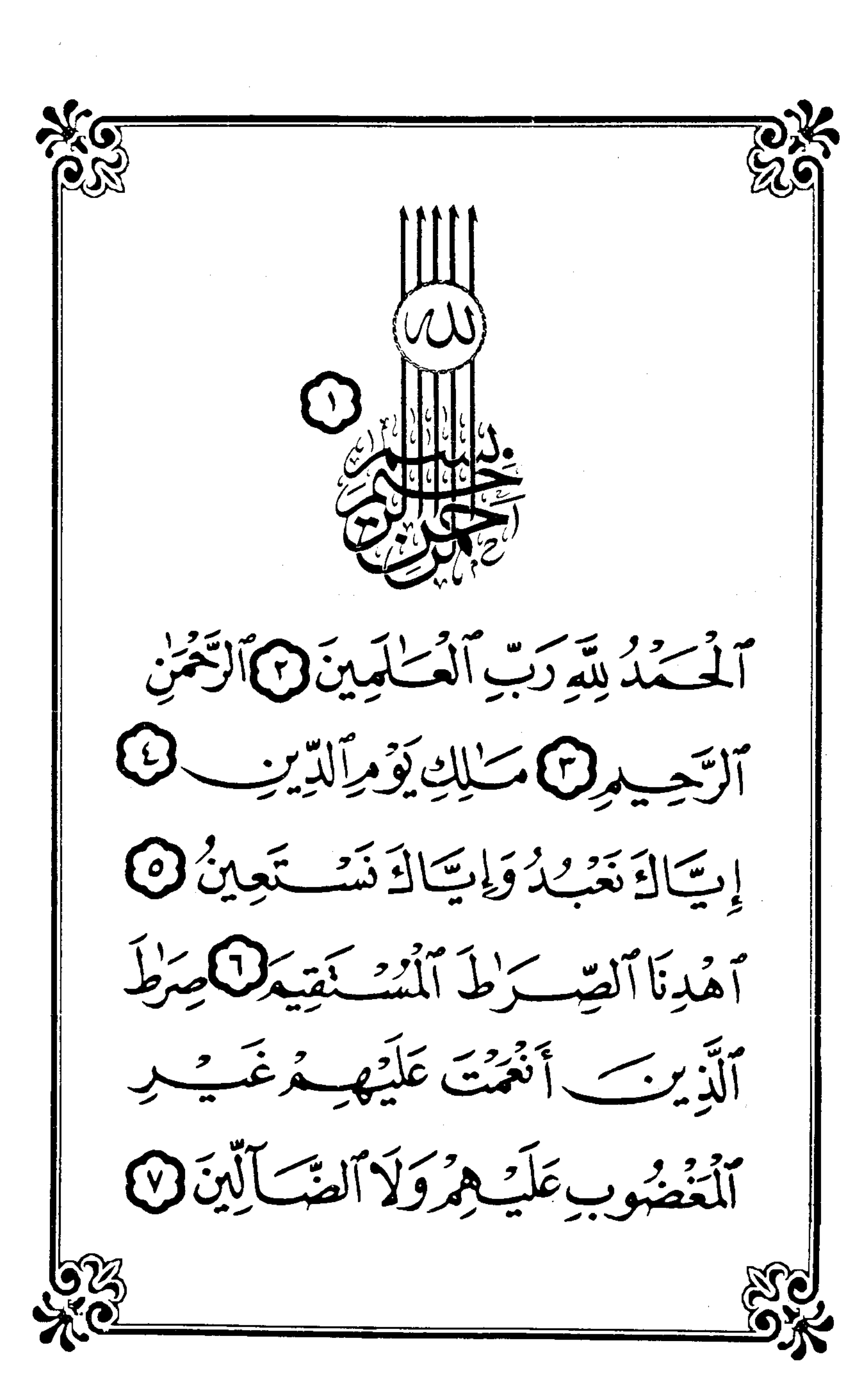
الرسول ﷺ واليهود
وجهاً لوجه
(٩)

الخطر اليهودي

الدكتور سعد المرصفي

مكتبة المنار الإسلامية



بسم الله الرحمن الرحيم ١

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧

الخطر اليهودى

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م





مكتبة المنار الإسلامية
طباعة ونشر وتوزيع الكتب والأشرطة الإسلامية

Print. Publ. & Dist. Islamic Books & Cassattes

كويت - حولي - شارع المثنى - تلفون: ٢٦١٥٠٤٥ - فاكس: ٢٦٣٦٨٥٤ - ص.ب: ٤٣٠٩٩ حولي - الرمز البريدي: 32045
Kuwait - Hawalli Al-Mothana Street, Tel.: 2615045, Fax: 2636854, P.O.Box: 43099 Hawalli, Postal Code No. 32045

مقدمـــة

قضى الله لبنى إسرائيل فى الكتاب أنهم سيفسدون فى الأرض.. وسيعلون على الناس بغير حق ويستكبرون.. وأنهم كلما اتخذوا ذلك وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم، ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا.. وذلك يكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها، وفاقا لسنة الله، حيث يحل الهلاك والدمار، والضياع والبوار!

وسبق أن ذكرنا بعض مظاهر الخطر اليهودى فى حديثنا عن أسطورة الوطن اليهودى، والفكر اليهودى، وموقف اليهود من الرسالة والرسول ﷺ، والطبيعة اليهودية، والتآمر اليهودى على حياة الرسول ﷺ، واليهود والخيانة، والقضاء عليهم عسكرياً، ومحاكمتهم .!

ومع كل هذا جاءت بروتوكولات حكماء صهيون رد فعل لما عاناه اليهود، من اضطهاد، وما نزل بهم من جور وعسف، خلال القرن التاسع عشر فى أوربا.. جاءت مؤامرة شريرة ضد البشرية، تدعو إلى الانتقام، حيث اعتقد اليهود أن البشرية كلها قد اشتركت بطريق أو بأخرى فى إذلالهم والنيل منهم وهى تنضح بل تفيض بالحقد والنقمة على العالم أجمع، وتكشف عن خسة ولؤم ودهاء حكماء صهيون.. وقد سجلها أخطر كتاب ظهر فى العالم تحت هذا العنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وتكاد لا تعرف بغيره، حتى فى اللغة الإنجليزية التى أضافت إليه عنوانَ « الخطر اليهودى» وهو ينطبق تماما على ما تحتويه تلك البروتوكولات من إشاعة الفوضى والإباحية، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على العقول، وتقويض كل دعائم الدين والخلق فى جميع الأقطار!

وفى مايو ١٩٢٠ نشرت جريدة « آلتيمس » (١) مقالا عن الخطر اليهودى سمته «رسالة مقلقة: دعوة للتحقيق» ومنذئذ بدأت جريدة «المودننغ بوست» بمجموعة من المقالات فى ١٢ يوليو تنشر تحقيقا مضنيا جدا تحت عنوان «العالم المضطرب: خلف الستار

---

(١) انظر: الخطر اليهودى: بروتوكولات حكماء صهيون: ٣٨.

الأحمر» وسمى كاتبها البروتوكولات يومئذ «الإنجيل البلشفى» وهى تسمية منه بالغة الجدارة!

وعمل اليهود على تقويض نظام الحكم القيصرى، والتسلل فى كل دول العالم للقبض على مراكز القوة.. وتقويض الخلافة الإسلامية واتخذوا من مدينة «سلانيك» الوكر الأول لدسائسهم ومؤامراتهم [1] لأنها تضم أوفر عدد من اليهود فى تركيا، ومركز «الدونمة» وهم يهود تظاهروا بالإسلام نفاقا، ليعملوا على تقويض الخلافة وهم ضمن صفوفها، وعلى هدم الإسلام وهم داخل حصونه، ودعوا إلى الجامعة الطورانية للتخلص من الإسلام واللغة العربية، مما كان له الأثر البالغ فى توجيه حكم أتاتورك، الذى كان فيه عرق من «الدونمة» ومن ثم كان سقوط الخلافة الإسلامية، وتقسيمها إلى دويلات، وكانت مساعدة أعداء المسلمين على تحقيق منافع مادية من الميراث الضخم الذى خلفته وراءها، لكى يظفروا بمساعدتهم فى إقامة دولتهم فى فلسطين اغتصابا!

ومن ثم كانت خطورة هذا الكتاب، وكان القتل للذين ترجموه، مما دعانا إلى نشره فى هذه الدراسات، حتى يكون حجة ناطقة بما كتبت أيديهم! ، وكان التحذير مرات كثيرة أثناء إذاعة هذه الدراسات من إذاعة القرآن الكريم صباحا، وإعادتها مساء من البرنامج العام من إذاعة الكويت على مدى سبعة أشهر كاملة!

وقد اقتضت منهجية البحث أن يشتمل على فصلين:

الأول: بنو إسرائيل والإفساد فى الأرض.

الثانى: بروتوكولات حكماء صهيون.

والله أسأل : التوفيق والسداد.

والعون والرشاد. إنه سميع مجيب

الكويت فى : ٤ ربيع الأول ١٤١٣ هـ
١ سبتمبر ١٩٩٢ م

سعد محمد محمد الشيخ (المرصفى)

---

(١) انظر: مكايد يهودية: ٢٥٣ وما بعدها.

الفصل الأول

بنو إسرائيل والإفساد فى الأرض

تمهيد ـ العصر الذهبى ـ عهد الانقسام وزوال ملك بنى إسرائيل ـ مع الآيات القرآنية ـ أشهر أقوال المفسرين ـ مقياس النصر والهزيمة ـ رأى جديد ـ سورة بنى إسرائيل ـ «لتفسدن فى الأرض مرتين» ـ رد الكرة ـ فرصة للاختيار ـ بشرى للمؤمنين ـ تعليق على المقال.

تمهيد:

يقول الله تعالى:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴾ (١)

. هذه الآيات تتضمن نهاية بنى إسرائيل التى صاروا إليها (٢)، وذالت دولتهم بها. وتكشف عن العلاقة المباشرة بين مصارع الأمم وفشو الفساد فيها، ووفاقا لسنة الله التى ستذكر بعد قليل فى السورة ذاتها. وذلك أنه إذا قدر الهلاك لقرية جعل إفساد المترفين فيها سببا لهلاكها وتدميرها:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (٣)

---

(١) الإسراء ٢ – ٨.

(٢) فى ظلال القرآن: ٤ : ٢٢١٢، وما بعدها بتصرف.

(٣) الإسراء: ١٦ – ١٧.

وهؤلاء هم الذين تترهل نفوسهم وتأسن، وترتع فى الفسق والمجانة، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، وتلغ فى الأعراض والحرمات، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا فى الأرض فسادا، ونشروا الفاحشة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التى لا تعيش الشعوب الراقية إلا بها ولها. ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخى،وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها، فتهلك وتطوى صفحتها.

وإذا ماقدر الله لقرية أنها هالكة، لأنها أخذت بأسباب الهلاك، فكثر فيها المترفون، فلم تضرب على أيديهم، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها، فعم فيها الفسق، فتحللت وترهلت، فحقت عليها سنة الله، وأصابها الهلاك والدمار، ونزل بها الضياع والبوار.. وهى المسئولة عما يحل بها، لأنها لم تضرب على أيدى هؤلاء المفسدين، ولم تصلح من نظامها الذى يسمح بوجود هؤلاء المتحللين. فوجودهم ذاته هو السبب الذى من أجله سلطهم الله عليهم ففسقوا، ولو أخذت عليهم الطريق فلم تسمح لهم بالظهور فيها ما استحقت الهلاك، وما سلط الله عليها من يفسق فيها ويفسد فيقودها إلى الهلاك.

إن إرادة الله قد جعلت للحياة البشرية نواميس لا تتخلف، وسننا لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق، ولا يأمر بالفحشاء. لكن وجود هؤلاء فى ذاته دليل على أن الأمة قد تخلخل بناؤها، وسارت فى طريق الانحلال، وأن قدر الله سيصيبها جزاء وفاقا.. وهى التى تعرضت لما أصابها بسماحها لهؤلاء بالوجود والحياة.

فالإرادة هنا ليست إرادة للتوجيه القهرى الذى ينشئ السبب ولكنها ترتب النتيجة على السبب.. الأمر الذى لا مفر منه، لأن السنة جرت به.. والأمر ليس أمرا توجيهيا إلى الفسق، ولكنه إنشاء النتيجة الطبيعية المترتبة على وجود هؤلاء المترفين، وهى الفسق.

وهنا تبرز تبعة الجماعة فى ترك النظم الفاسدة تنشىء آثارها التى لا مفر منها. وعدم الضرب على أيدى المفسدين فيها كى لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميرا.

هذه السنة قد مضت فى الأولين من بعد نوح، قرنا بعد قرن، كلما فشى التحلل فى أمة انتهى بها إلى ذلك المصير، والله هو الخبير بذنوب عباده البصير:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾

ونبصر الحديث فى الآيات التى معنا يبدأ بذكر كتاب موسى ــ التوراة ــ وما اشتمل

عليه من إنذار لبنى إسرائيل، وتذكير لهم بهذا النبى ـ نوح ـ العبد الشكور، والأولين الذين حملوا معه فى السفينة:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾

ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعد الله الذى يتضمنه سياق السورة كذلك وذلك ألا يعذب الله قوما، حتى يبعث إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[1]

وقد نص على القصد الأول من إيتاء موسى الكتاب:

﴿ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾

فلا اعتماد إلا على الله وحده، ولا توجه إلا إلى الله وحده. فهذا هو الهدى، وهذا هو الإيمان. فما آمن ولا اهتدى من اتخذ من دون الله وكيلا.

ولقد خاطبهم باسم الآباء الذين حملهم مع نوح، وهم خلاصة البشرية على عهده.. خاطبهم بهذا ليذكرهم باستخلاص الله للأولين، مع نوح العبد الشكور، وليردهم إلى هذا النسب المؤمن العريق ..

فى ذلك الكتاب الذى آتاه الله لموسى، ليكون هدى لبنى إسرائيل، أخبرهم بما قضاه عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم فى الأرض.. وتكرار هذا التدمير مرتين، لتكرر أسبابه من أفعالهم.. وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الفساد فى الأرض كما قضت سنة الله الجارية التى لا تتخلف:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

العصر الذهبى:

وهنا نذكر قصة الملأ من بنى إسرائيل فى قوله تعالى:

---

(١) الإسراء : ١٥ .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١)

وسبق أن تحدثنا عن هذه الآيات بما يجعلنا فى غنى عن إعادة ما تضمنته من دروس ..

وحسبنا أن نشير بإجمال إلى أن دولة اليهود قد تأسست برئاسة طالوت.. وتولى الملك بعده داود عليه السلام.. وقد دام ملكه ـ كما تقول المصادر التاريخية ـ زهاء أربعين سنة، وكانت عاصمة ملكه فى أول العهد (حبرون) التى تسمى (الخليل) الآن.أما

(١) البقرة: ٢٤٦ ـ ٢٥١.

المدة الباقية فكانت (أورشليم) وقد ازدهرت المملكة فى عهده ازدهارا عظيما، واتسعت رقعتها، وشيدت فيها المباني الفاخرة، والحصون المنيعة، ورأت عهدا زاخرا بالأمان والاطمئنان والرخاء والقوة (١).

وبعد داود عليه السلام، تولى ملك بنى إسرائيل ابنه سليمان عليه السلام، فازدادت حالتهم فى عهده رقيا ومنعة.

ويصف أحد الكتاب حال بنى إسرائيل فى عهد سليمان عليه السلام فيقول:

وفي عهد سليمان اعتز شأن الإسرائيليين، وامتد ملكهم من البحر الأحمر إلى نهر الفرات الكبير، وهابتهم الأمم المجاورة لهم.. وأرسل سفنه فى الآفاق تجوب البحار، وتأتيه بالذهب والفضة والأحجار الكريمة، وكانت مدة حكمه أربعين سنة، ذاق فيها الإسرائيليون الهناء والرخاء (٢).

والخلاصة أن عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل يعتبرالعصر الذهبى لهم، والفترة الزاهية من تاريخهم، إذ اتسع فيها ملكهم، وعظم نفوذهم، وترادفت النعم والخيرات عليهم، ومع كل هذا لم يسلم داود وسليمان من افتراءات اليهود ـ كما أسلفنا ـ فتلك هى طبيعتهم دائماً!

عهد الانقسام وزوال ملك بنى إسرائيل:

وبعد وفاة سليمان عليه السلام، تولى (رحبعام) فانتشرت فى عهده ـ كما يقول المؤرخون ـ الفتن ، وكثرت المنازعات، واضطربت الأحوال، فأدى ذلك إلى انقسامها إلى قسمين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل.

أما مملكة يهوذا فكانت عاصمتها أورشليم، وملكها (رحبعام) وكانت تتكون من سبطى يهوذا وبنيامين، وقد تعاقب عليها واحد وعشرون ملكا.

وكانت نهايتها علي يد(بختنصر) الذى غزاها سنة ٥٨٨ ق م. فدمرها تدميرا، وساق الأحياء من أهلها أسرى إلى بابل، ومكثوا فى الأسر زهاء خمسين سنة، وما فعله(بختنصر) مع بنى إسرائيل يسمى بخراب أورشليم الأول.

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢: ٣٤٩وما بعدها بتصرف.

(٢) المرجع السابق : نقلا عن : تاريخ الإسرائيليين: ٢٣ شاهين مكاريوس.

وأما مملكة إسرائيل فكانت عاصمتها(السامرة) ـ نابلس الآن ـ وقد تأسست كأختها مملكة يهوذا سنة ٩٧٥ ق م، وملكها (يربعام) أخو (رحبعام) وكانت تتكون من بقية الأسباط العشرة، وقد تعاقب عليها تسعة عشر ملكا، وكانت نهايتها على يد (سرجون) ملك آشور، الذى غزاها وانتصر عليها، وأجلى سكانها من اليهود إلى ما وراء الفرات، وكان ذلك سنة ٧٢١ ق م.

وفى سنة ٥٣٨ ق م نشبت حرب بين (قورش) ملك الفرس (وبختنصر) ملك بابل، انتهت بانتصار ملك الفرس، فأصدر أمرا سنة ٥٣٦ ق م يأذن فيه لليهود بالعودة إلى أورشليم، ولكن أكثر اليهود كانوا قد ألفوا الحياة البابلية، وامتدت بها أعراقهم، ومن ثم فقد ترددوا فى العودة إليها، ولم يقبل العودة إلا عدد قليل منهم، أكثرهم من سبطى يهوذا وبنيامين ، وقد أعاد هؤلاء العائدون بناء الهيكل بتصريح من (قورش) سنة٤١٥ ق م تقريبا.

ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة(اليهود) تعنى: من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بنى إسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودى والإسرائيلى.

وظل اليهود بعد ذلك يتولى أمرهم كهنة منهم تحت رقابة حكام من الفرس، وكانت المناوشات بينهم لا تنقطع، إلى أن زال حكم الفرس عنهم سنة ٣٢٢ ق م.

وفى سنة ٣٢٣ ق . م . التى مات فيها الإسكندر المقدونى، قسمت مملكته بين قواده، فكانت أورشليم من نصيب بطليموس ملك مصر فحكمها بالعنف والشدة، رغم مقاومة اليهود له،وقد اضطر أمام ثوراتهم المتكررة إلى هدم جزء كبير منها، وقتل الكثيرين من سكانها، وإرسال مائة ألف من اليهود إلى مصر سنة ٣٢٠ ق م.

وقد تعاقب البطالسة على حكم أورشليم فترة طويلة، بعضهم عامل اليهود فيها بالقسوة والشدة، وبعضهم عاملهم باللين والعطف، حتى استولى السلوقيون عليها من البطالسة سنة ١٩٨ ق م.

وقد أوقع السلوقيون باليهود أشد الضربات وأقساها ، فعندما احتل (أنطوخيوس) السلوقى أورشليم هدم أسوارها ، ونهب ما فيها من أموال ، وقتل من اليهود ثمانين ألفا ، وأذل كهنتهم إذلالا شديدا.

وفى سنة ١٦٨ ق م قام اليهود بقيادة الكاهن (ماتياس) بثورة ضد السلوقيين لم

تنجح ، ومات بعدها بعام واحد ، فتولى ابنه الكاهن (مكابياس) قيادة الثائرين اليهود من جديد، وإلى هذا الكاهن تنسب أسرة المكابيين، وهم فريق من كهان اليهود اتصفوا بالحنكة وسعة الحيلة وكانوا أقرب إلى القادة العسكريين منهم إلى رجال الدين، وقد استطاعوا أن يستقلوا بحكم أورشليم لفترة من الزمان.

وفى سنة ٦٣ ق م كان الخلاف قد بلغ أشده بين المكابيين، وضعف مركزهم، فانتهزت الدولة الرومانية هذه الفرصة، وانقضت على أورشليم فاحتلتها بقيادة (بمبيوس) الرومانى.

ومنذ ذلك التاريخ خضعت أورشليم لحكم الرومان، إلى أن استولى عليها الفرس سنة ٦١٤م ثم عادت إلى الرومان.. ثم فتحها المسلمون سنة ١٥هـ ــ ٦٣٦م فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وبقيت بعد ذلك دولة إسلامية، حتى اقتطع اليهود جزءا كبيرا منها أقاموا عليه دولتهم سنة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م.

وتوالى بعد ذلك العدوان والتوسع إلى وقتنا هذا، وسنعرض لذلك بالتفصيل فى حديثنا عن معالم النصر على اليهود.

ولعلنا بهذا نكون قد ألقينا الضوء على تاريخ اليهود الإجمالى.فى فلسطين منذ عهد داود عليه السلام حتى وقتنا الحاضر.. وقد تبين بجلاء ووضوح أهم ما تعرض له اليهود من تشتيت ودمار واحتلال وبوار..

ولنا عود على بدء نتحدث فيه بالتفصيل عن عصر التشرد وأثره عقب سقوط دولة اليهود تحت أقدام الآشوريين، ومن ثم تفرق اليهود ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة، ولم يعد لهم فى التاريخ شأن يذكر.. حتى الأربعينات من هذا القرن العشرين، وما تلا ذلك من أحداث حتى وقتنا الحاضر..

مع الآيات القرآنية:

ونعود إلى قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

نعود لنبصر هذا القضاء إخبارا من الله تعالى لهم بما سيكون منهم حسب ما سبق فى

علمه الإلهى من مآلهم.. فالله عز وجل قد قضى لبنى إسرائيل فى الكتاب الذى آتاه لموسى أنهم سيفسدون فى الأرض مرتين وأنهم سيعلون بغير حق على الناس ويستكبرون.. وكلما ارتفعوا بغير حق فاتخذوا ذلك وسيلة للإفساد سلط الله عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماتهم ويدمرهم تدميرا..

وكان من مظاهر إفسادهم فى الأرض ـ كما أسلفنا ـ تحريفهم للتوراة، وتركهم العمل بما جاء فيها، وقتلهم الأنبياء وافتراؤهم عليهم واعتداؤهم على الذين يأمرون بالقسط من الناس، وشيوع الفواحش والرذائل فيهم.

فإن قال قائل (١) : وما فائدة أن يخبر الله تعالى بنى إسرائيل فى التوراة أنهم يفسدون فى الأرض مرتين، وأنه يعاقبهم على ما كان منهم بتسليط الأعداء عليهم للتدمير؟

فالجواب: أن إخبارهم بذلك يفيد أن الحق تبارك وتعالى لا يظلم الناس شيئا، وإنما يعاقبهم على ما يكون منهم من إفساد ويعفو عن كثير، وأن رحمته مفتوحة للمفسدين متى أصلحوا وأنابوا إليه.

وهناك فائدة أخرى لهذا الإخبار، نبصرها فى تنبيه العقلاء فى جميع الأمم أن يحذروا من مواقعة المعاصى التى تؤدى بالأمة إلى الهلاك، وأن يحذّروا أممهم من ذلك، ويبصروهم بعواقب العصيان والإفساد فى الأرض، حتى لا يعرضوا أنفسهم لعقوبة الله تعالى.

والفائدة الثالثة من هذا الإخبار، بيان أن الأمم المغلوبة تستطيع أن تستعيد قوتها، وأن تسترد مجدها السالف، إذا صحت عزائمها على طاعة الله تعالى، والعمل بما جاءهم به الأنبياء عليهم صلوات الله وتسليماته.

ومن فوائد إيراد هذا الخبر فى القرآن الكريم، تنبيه اليهود المعاصرين للرسول الحبيب المحبوب ﷺ، ومن على شاكلتهم.. إلى سنة من سنن الله تعالى فى خلقه، وهى أن الإفساد فى الأرض، والانصراف عن طاعة الله سبحانه، والتعدى لحدوده، والمخالفة لأوامره، والعصيان لرسله، كل ذلك يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة، فعلى اليهود وغيرهم من الناس أن يؤمنوا بخاتم النبيين ﷺ، الذى ثبتت نبوته ثبوتا لا شك فيه حتى يسعدوا فى دنياهم وأخراهم.

ثم بين الحق تبارك وتعالى أنه يسلط عليهم بعد الإفساد الأول من يقهرهم، ويستبيح

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ٢ : ٣٥٣ وما بعدها بتصرف.

حرماتهم، ويدمرهم تدميرا، عقوبة لهم على ما كان منهم، فقال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾

والمعنى: فإذا جاء وعد عقابكم، يا بنى إسرائيل، على أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما فى الأرض، وجهنا إليكم، وسلطنا عليكم ﴿ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد ﴿ فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ ترددوا بين المساكن لقتلكم، وسلب أموالكم، وتخريب دياركم ﴿ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ أى كان ذلك العقاب بسبب إفسادكم فى الأرض وعدا نافذا لا مرد له ولا مفر لكم منه..

وهكذا يفسد اليهود فى الأرض، فيبعث الله عليهم عبادا من عباده أولى بأس شديد، وأولى بطش وقوة، يستبيحون الديار، ويروحون فيها ويغدون باستهتار، ويطأون ما فيها ومن فيها بلا تهيب، وكان ذلك وعدا لا يتخلف..

ثم بين سبحانه أنه إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل [1]، فرجعوا إلى ربهم، وأصلحوا أحوالهم، وأفادوا من البلاء المسلط عليهم.. وحتى إذا استعلى الفاتحون وغرتهم قوتهم، فطغوا هم الآخرون وأفسدوا فى الأرض، أدال الله للمغلوبين من الغالبين، ومكن للمستضعفين من المستكبرين:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

فمن الواجب أن تقدروا هذه النعمة، وتحسنوا الاستفادة منها، فقد جرت سنة الله تعالى أن يمن على الذين استضعفوا فى الأرض، ويجعلهم أئمة، ويجعلهم الوارثين، متى استقاموا على طريق الحق، وخافوا مقامه، ونهوا أنفسهم عن الهوى..

فعليكم يا بنى إسرائيل أن تذكروا نعمة الله عليكم، وأن تشكروه عليها أجزل الشكر، وأن تؤمنوا بنبيه محمد ﷺ، الذى تعرفون صدقه كما تعرفون أبناءكم..

ثم تتكرر القصة من جديد!

وقبل أن يتم السياق القرآنى بقية النبوءة الصادقة والوعد المفعول يقرر قاعدة العمل والجزاء:

---

(١) فى ظلال القرآن : ٤ : ٢٢١٤ بتصرف .

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

القاعدة التى لا تتغير فى الدنيا وفى الآخرة، والتى تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره ونتائجه.. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيف، وتجعل الإنسان مسئولا عنه نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، لا يلومن إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء..

فإذا تقررت القاعدة مضى السياق يكمل النبوءة الصادقة:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾

ويحذف السياق ما يقع من بنى إسرائيل بعد الكرة من إفساد فى الأرض، اكتفاء بذكره من قبل:

﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾

ويثبت ما يسلطه عليهم فى المرة الآخرة:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ ﴾

بما يرتكبونه معكم من نكال يملأ النفوس بالإساءة، حتى تفيض على الوجوه، أو بما يجبهون به وجوههم من مساءة وإذلال.. ويستبيحون المقدسات، ويستهينون بها:

﴿ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾

يقال: تَبَره وتَبَّره، ، وتَبَّر الله عمل الكافرين: أى أهلكه وأبطله (١)، قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

وقال جل شأنه:

﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ (٣)

وفى قوله : ﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ يقول ابن جرير: وليدمِّروا ما

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، والمفردات، والمعجم الوسيط (تبر).

(٢) الأعراف : ١٣٩.

(٣) نوح : ٢٨.

غلبوا عليه من بلادكم تدميرا . يقال منه : دمَّرت البلد : إذا خرّبته وأهلكت أهله. [1].

وهى صورة للدمار الشامل الكامل الذى يطغى على كل شىء والذى لا يُبقى على شىء..

وكان من ضروب إفسادهم فى الأرض فى هذه المرة الثانية، قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام ـ كما تنطق آثارهم ـ ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام، وعدم تناهيهم عن منكر فعلوه، واستحلالهم لمحارم الله.. إلى غير ذلك من الرذائل التى فشت فيهم، واشتهروا بها فى كل زمان ومكان، وفى كل جيل وقبيل..

ثم بين الحق تبارك وتعالى أن هذا الدمار الذى حل بهم، بسبب إفسادهم فى الأرض مرتين، قد يكون طريقا لرحمتهم، وسببا فى توبتهم وإنابتهم ، إن هم فتحوا قلوبهم للحق، واعتبروا بالحوادث الماضية وفهموا عن الحق سنته التى لا تتخلف ، وهى أن الإحسان يؤدى إلى السعادة ، والإفساد يؤدى إلى الهلاك:

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾

إن أفدتم منه عبرة.

فأما إذا عاد بنو إسرائيل إلى الإفساد فى الأرض فالجزاء حاضر والسنة ماضية:

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾

ولقد عادوا إلى الإفساد، حيث كذّبوا الرسول الحبيب المحبوب ﷺ ـ كما أسلفنا ـ وكتموا ما جاء بشأنه فى كتبهم، وهموا بقتله أكثرمن مرة، وقدّموا له السم، فكانت المواجهة.. وكانت المعارك التى فصلنا القول فيها.. حتى كان إجلاؤهم من الجزيرة كلها..

ثم عادوا إلى الإفساد ، فسلط الله عليهم آخرين ، حتى كان العصر الحديث ـ كما سيأتى ـ حيث اغتصبوا الأرض ، وقتلوا النساء والأطفال، وعاثوا فى فلسطين فسادا.. وليسلطن الله عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقا لوعد الله القاطع، وفاقا لسنته التى لا تتخلف.. وقد بدت المقدمات للأيادى المتوضئة التى تستحق نصر الله.. وإن غدا لناظره قريب:

---

(١) تفسير الطبرى : ١٥ : ٤٣ .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ ﴾ (١)

ثم بين سبحانه عقوبتهم ومن على شاكلتهم فى الآخرة:

﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾

مهادا وبساطا لهم، أو سجنا حاصرا لهم لا رجاء لهم فى الخلاص منه، بسبب كفرهم وبغيهم، ففى الدنيا لهم ما تقدم وصفه من الإهلاك والتدمير، وفى الآخرة لهم عذاب السعير، المحيط بهم من جميع الجهات، جزاء فسادهم وإفسادهم.. تحصرهم فلا يفلت منهم أحد، وتتسع لهم فلا يند عنها أحد.

أشـهر أقوال المفسرين:

ومع أنه لم يصح عن الرسول الحبيب المحبوب ﷺ حديث فى بيان المراد بالعباد الذين سلطهم الحق تبارك وتعالى على بنى إسرائيل فى مرتى هذا الإفساد..

ومع أن إفساد بنى إسرائيل قد حدث كثيرا، بحيث لا يحصى ولا يعد ـ كما أسلفنا ـ وأن المقصود من الآيات التى معنا إنما هو إظهار مرتين حدث فيهما الإفساد منهم.. وأن نفس الآيات تدل على أن التسليط عليهم مستمر إلى يوم القيامة، بسبب كفرهم وفسوقهم:

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾

ومع أن أقوال المؤرخين والمفسرين قد اختلفت فى المقصود من مرتى إفسادهم، وفيمن سلطه الله عليهم، على حسب ما يتراءى لكل قائل فيما حدث من بنى إسرائيل من فساد، وما تبعه من عقوبات..

ومع أن المقصود من سياق الآيات إنما هو بيان سنة من سنن الله فى الأمم، حال صلاحها وفسادها.. وأن القرآن الكريم قد ساق هذا المعنى بأحكم عبارة، حين قرر القاعدة التى لا تتغير فى الدنيا والآخرة، والتى تجعل عمل الإنسان كله له، بكل ثماره

---

(١) الأعراف: ١٦٧ ـ ١٦٨.

ونتائجه.. وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيف، وتجعل الإنسان مسئولا عن نفسه إن شاء أحسن إليها،،وإن شاء أساء لا يلوم إلا نفسه حين يحق عليه الجزاء:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

يعجبنى قول ابن كثير بعد أن ذكر بعض الأقوال وعلق عليها : [(١)].

وفيما قص الله علينا فى كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء.

ويعجبنى ما رواه ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾

قال : بعث الله عليهم فى المرة الأولى جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله تعالى أن يبعث لهم ملكا يقاتلون فى سبيل الله، فبعث الله طالوت، فنصر الله بنى إسرائيل ، وقتل جالوت بيد داود، ورجع إلى بنى إسرائيل ملكهم، فلما أفسدوا بعث الله عليهم فى المرة الآخرة بختنصر، فخرب المساجد، وتبّر ما علوا تتبيرا، قال الله تعالى بعد الأولى والآخرة :

﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾

قال: فعادوا فسلط الله عليهم المؤمنين [(٢)].

وفى رواية لهما ـ أيضا ـ عن قتادة قال:

أما المرة الأولى فسلط الله عليهم جالوت، حتى بعث طالوت ومعه داود، ثم رد

---

(١) تفسير ابن كثير : ٣ : ٢٥ .

(٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٦٢ وما بعدها، نقلا عن تفسير : الدر المنثور: ٤: ١٦٣ ، انظر : تفسير الطبرى: ١٥: ٢٨.

الكرة لبنى إسرائيل:

﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

أى عددا، وذلك فى زمان داود:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

آخر العقوبتين:

﴿ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾

قال : ليقبحوا وجوهكم

﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

قال: كما دخل عدوهم قبل ذلك:

﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾

قال: يدمروا ما علوا تدميرا، فبعث الله عليهم فى الآخرة بختنصر البابلى المجوسى، أبغض خلق الله إليه، فسَبى وقتل وضرب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب (١).

وهذا الرأى الذى نختاره ـ كما يقول الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ (٢) نستند فى اختيارنا له إلى أمور، أهمها ما يلى:

أولا: ذكر القرآن الكريم عند عرضه لقصة القتال الذى دار بين طالوت قائد بنى إسرائيل وبين جالوت قائد أعدائهم ما يدل على أن بنى إسرائيل كانوا قبل ذلك مقهورين مهزومين من أعدائهم، ويتجلى هذا المعنى فى قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ ﴾ (٣).

---

(١) المراجع السابقة . (٢) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة ٢ : ٣٦٦ وما بعدها بتصرف.

(٣) البقرة : ٢٤٦.

فقولهم كما حكى القرآن عنهم:

﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾

يدل دلالة قوية على أنهم قبل قتالهم لجالوت كانوا قد هزموا على أيدى أعدائهم هزائم منكرة، اضطروا معها إلى الخروج من ديارهم ومفارقة أبنائهم.

ثانيا :صرح بعض المفسرين بأن الأعداء الذين أخرجوا بنى إسرائيل من ديارهم وأبنائهم هم قوم جالوت، وأنهم كانوا قد غلبوا بنى إسرائيل، وقتلوا عددا كبيرا منهم، وذلك قبل أن تعود الكرة لبنى إسرائيل عليهم بقيادة طالوت.

قال الآلوسى: وكان سبب طلب بنى إسرائيل من نبيهم أن يبعث لهم ملكا ليقاتلوا فى سبيل الله، أن أعداءهم هم العمالقة قوم جالوت، ظهروا عليهم، وتغلّبوا على كثير من بلادهم، وضربوا عليهم الجزية [1].

ثالثا: قوله تعالى:

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾

صريح فى أن الله تعالى نصر بنى إسرائيل بعد أن تابوا وأنابوا، على أعدائهم الذين قهروهم وأذلوهم، وجاسوا خلال ديارهم.

وهذا المعنى ينطبق على ما قصه القرآن الكريم علينا من أن بنى إسرائيل بقيادة طالوت قد انتصروا على جالوت وجنوده، ومن أن داود قد قتل جالوت، قال تعالى :

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [2]

ولقد كان هذا النصر نعمة كبرى لبنى إسرائيل، لأنه آتاهم بعد أن أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، وبعد أن اعترضوا على اختيار طالوت ملكا عليهم، وبعد أن قاتل مع

---

(١) المرجع السابق : نقلا عن تفسير الآلوسى : ٢: ١٤١ بتصرف.

(٢) البقرة : ٢٥٠ ـ ٢٥١.

طالوت عدد قليل منهم: ولا شك أن النصر فى هذه الحالة أدعى لطاعة الله تعالى وشكره على آلائه.

رابعا: قوله تعالى:

﴿ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

أكثر ما يكون انطباقا على عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل، ففى هذا العهد الذى دام زهاء ثمانين سنة، ازدهرت مملكتهم، وعز سلطانهم، وأمدهم الله خلاله بالأموال الوفيرة، وبالبنين الكثيرة، وجعلهم أكثر من أعدائهم قوة وعددا!

أما بعد هذا العصر الذهبى ـ كما أسلفنا ـ فقد انقسمت مملكتهم إلى قسمين: مملكة يهوذا، ومملكة إسرائيل، واستمرتا فى صراع ونزاع وتدهور، حتى قضى الآشوريون على مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م وقضى بختنصر عل مملكة يهوذا سنة ٥٨٨ ق م. وتاريخهم بعد ذلك ما هو إلا سلسلة من المآسى والنكبات والعقوبات التى حلت بهم من الشعوب المختلفة، فى شتى مراحل التاريخ، بسبب فسادهم وإفسادهم فى الأرض ..

أما المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل بعد إفسادهم الثانى فى الأرض ، فيرى جمهور المفسرين أنهم البابليون بقيادة بختنصر.. الذى غزاهم ثلاث مرات :

الأولى سنة ٦٠٦ ق م .

والثانية سنة ٥٩٩ ق م .

والثالثة سنة ٥٨٨ ق م وفى هذه المرة الثالثة قتل الآلاف منهم، وهدم هيكلهم، وساق الأحياء أسارى إلى بابل..

وهذا الرأى الذى قاله جمهور المفسرين ليس ببعيد، لما ذكرنا من تنكيله بهم.. إلا أننا نؤثر على هذا الرأى أن يكون المسلط عليهم بعد إفسادهم الثانى، هم الرومان بقيادة تيطس لأمور، أهمها:

أولا:الذى يتتبع التاريخ يرى أن رذائل بنى إسرائيل فى الفترة التى سبقت تنكيل الرومان بهم أشد وأكبر من رذائلهم التى سبقت بختنصر لهم، وبالتالى كان تسليط الرومان عليهم أنكى وأقسى، فهم ـ على سبيل المثال ـ قبيل بطش الرومان بهم بقيادة تيطس كانوا قد قتلوا من أنبياء الله زكريا ويحيى عليهما السلام ـ كما أسلفنا ـ وحاولوا

قتل عيسى عليه السلام، واتخذوا لذلك كافة السبل، ولكنهم لم يفلحوا لأسباب خارجة عن إرادتهم، وكانت الرذائل والمنكرات قد فشت فيهم، مما أدى إلى لعنهم بسبب ذلك:

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (١)

فكانت ضربات الرومان القاصمة لهم، والهادمة لكيانهم، عقابا مناسبا من الحق تبارك وتعالى لهم نتيجة عصيانهم لأوامره، واعتدائهم على خلقه، وعدم تناهيهم عن منكر فعلوه.

ثانيا: المفسرون يذكرون أن تسليط الله عليهم بختنصر فى المرة الثانية من مرتى إفسادهم، كان من أسبابه قتلهم ليحيى عليه السلام.. وبختنصر كان سابقا على يحيى عليه السلام فى الزمن بأكثر من خمسة قرون، والذين كانت أورشليم تحت سيطرتهم فى عهد يحيى عليه السلام هم الرومان، وقد قتل بنو إسرائيل زكريا ويحيى عليهما السلام فى عهدهم كذلك.

وإذاً فما ذكره المفسرون من أن الله تعالى سلط عليهم بختنصر بعد إفسادهم الثانى بسبب قتلهم يحيى عليه السلام ينطبق على عهد الرومان، لأنه كان معاصرا لهم.. ولا ينطبق على عهد بختنصر، لأنه قبل يحيى عليه السلام بأكثر من خمسة قرون كما ذكرنا.

ثالثا: ضربات الرومان فى ذاتها كانت أشد وأقسى على بنى إسرائيل من ضربات بختنصر لهم، فمثلا عدد القتلى من اليهود على يد الرومان بقيادة تيطس بلغ مليون قتيل، وبلغ عد الأسرى نحو مائة ألف أسير ـ كما يقول المؤرخون ـ (٢) بينما عدد القتلى والأسرى منهم على يد بختنصر كان أقل من هذا العدد بكثير، ولقد وصف المؤرخون النكبة التى أوقعها تيطس باليهود بأوصاف تفوق بكثير ما وصفوا به ما أوقعه بختنصر بهم.

يقول أحد الكتاب واصفا ما حل باليهود على يد تيطس:

كان تيطس فى الثلاثين من عمره، حينما وقف سنة ٧٠م أمام أسوار أورشليم على رأس جيشه. وبدأت المدينة تعانى أهوال الحصار، وتقاسى فى الوقت نفسه هولا أكبر، هو

---

(١) المائدة: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) تاريخ الإسرائيليين: ٧٦.

هول الحرب الأهلية، فقد احتل المتعصبون والمتطرفون ورجال العصابات من اليهود بعض أحياء المدينة وأخذوا يشنون هجمات وحشية على أحيائها الأخرى، حتى جرت الدماء فى الطرقات، وسرت المجاعة اليهودية، فكانوا يخرجون على أيديهم وأرجلهم كالأشباح الذابلة، تسبقهم الشائعات بأنهم قد ابتلعوا ذهبهم فى بطونهم، فكان الجنود يفتحون بطونهم بعد قتلهم بحثا عن الذهب.. وبعد أن اقتحم تيطس وجنده المدينة أصدر أمره إليهم أن احرقوا وانهبوا واقتلوا، فأموال اليهود وأعراضهم حلال لكم.. وقد أحرق الرومان معبد اليهود ودمروه، وتحققت نبوءة المسيح عليه السلام حين قال:

(ستلقى هذه الأرض بؤسا وعنتا وسيحل الغضب على أهلها، وسيسقطون صرعى على حد السيف، ويسيرون عبيداً إلى كل مصر، وستطأ أورشليم الأقدام)(١).

رابعا : النكبة التى أنزلها الرومان بقيادة تيطس باليهود ــ من حيث آثارها ــ أشنع بكثير من النكبة التى أنزلها بهم بختنصر، لأنهم بعد تنكيل بختنصر بهم وسجنهم فى أسره زهاء خمسين سنة، عادوا إلى أورشليم مرة أخرى ، بمساعدة قورش ملك الفرس وبدأوا يتكاثرون من جديد.. أما بعد تنكيل الرومان بهم، فلم تقم لهم قائمة، ومزقوا فى الأرض شر ممزق، وانقطع دابرهم كأمة، وقضى على كيان مجتمعهم.. ولقد وصل بالرومان أنهم فى سنة ١٣٥م دمروا أورشليم تدميرا تاما، وحرثوا أرضها، وخلطوها بالملح، حتى لا ينبت بها الزرع، وأقام الإمبراطور الرومانى (أدريانوس) مكان الهيكل اليهودى هيكلا وثنيا باسم الإله المشترى، إذ لم تكن الكنيسة قد اعترف بها بعد، وبقى هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية فى أورشليم، فدمره المسيحيون من أساسه فى عهد الإمبراطور قسطنطين ، وقد صرح بهذا المعنى صاحب (تاريخ الإسرائيليين) حيث قال بعد وصفه لما أوقعه (تيطس) بهم:

إلى هنا ينتهى تاريخ الإسرائيليين كأمة، فإنهم بعد خراب أورشليم ــ كما تقدم ــ تفرقوا فى جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقى من العصور ملحق بتاريخ الممالك التى توطنوها أو نزلوا فيها..(١).

---

(١) تدمير أرشليم : مجلة الأزهر : المجلد ٢١ : ٤٧ عمر طلعت زهران.

(٢) تاريخ الإسرائيليين : ٧٧ .

وإذاً فما أنزله (تيطس) ومَن بعده من الرومان باليهود يعتبر - فى رأينا ـ أشد وأقسى، فى ذاته وفى آثاره، مما أنزله بختنصر بهم، بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا : إن ضربة(تيطس) الرومانى هى أكبر عقوبة حلت بهم منذ موت سليمان عليه السلام حتى أواخر القرن الأول الميلادى.

ولهذه الأسباب نرجح أن يكون المراد بالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل عقب إفسادهم الثانى فى الأرض هم الرومان بقيادة (تيطس).

ومع ترجيحنا بأن المسلط عليهم فى المرة الأولى (جالوت) وجنوده.. وفى المرة الثانية الرومان بقيادة (تيطس)..

مع ترجيحنا لذلك، إلا أننا نعود فنكرر ما قلنا سابقا، من أن المقصود من الآيات الكريمة إنما هو بيان سنة من سنن الله الكونية فى الأمم حال صلاحها وفسادها.

مقياس النصر والهزيمة:

نقول هذا لأن الأمة التى تطيع خالقها، وتباشر الأسباب السليمة فى الوصول إلى حقوقها، وتتبع الطريق المستقيم فى سلوكها، ينصرها الله فى دنياها، ويسعدها فى آخرتها، قال تعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ ﴾[١]

إن وعد اللّه قاطع.. وفى الوقت ذاته يشاهد الناس أن الرسل منهم من يقتل ـ كما فى تاريخ بنى إسرائيل ـ ومنهم من يهاجر من أرضه وقومه مكذّبا مطرودا [٢]، وأن المؤمنين فيهم من يسام العذاب، وفيهم من يلقى فى الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش فى كرب وشدة واضطهاد كما نرى ونشاهد ما يجرى فى الأرض المحتلة ـ فأين وعد الله لهم بالنصر فى الحياة الدنيا؟!

ويدخل الشيطان إلى النفوس من هذا المدخل، ويفعل بها الأفاعيل!

ولكن الناس يقيسون بظواهر الأمور.. ويغفلون عن قيم كثيرة فى التقدير..

---

(١) غافر : ٥١.

(٢) فى ظلال القرآن ٥: ٣٠٨٥ وما بعدها بتصرف.

إن الناس يقيسون بفترة قصيرة من الزمان، وحيز محدود من المكان وهى مقاييس بشرية صغيرة.. فأما المقياس الشامل فيعرض القضية فى الرقعة الفسيحة من الزمان والمكان، ولا يضع الحدود بين عصر وعصر ولا بين مكان ومكان.. ولو نظرنا إلى قضية الاعتقاد والإيمان فى هذا المجال لرأيناها تنتصر من غير شك.. وانتصار قضية الاعتقاد هو انتصار أصحابها. فليس لأصحاب هذه القضية وجود ذاتى خارج وجودها. وأول ما يطلبه منهم الإيمان أن يفنوا فيها ويختفوا هم ويبرزوها!

والناس كذلك يقصرون معنى النصرعلى صورة معينة معهودة لهم قريبة الرؤية لأعينهم، ولكن صور النصر شتى..وقد يلتبس بعضها بصور الهزيمة عند النظرة القصيرة ـ كما عرفنا فى مواجهة الجيش الإسلامى لليهود فى خيبر ـ ولكن النتيجة كانت نصر الجيش الإسلامى..

ولا ننسى أن نذكر موقف إبراهيم عليه السلام وهو يلقى فى النار فلا يرجع عن عقيدته ولا عن الدعوة إليها.. أكان فى موقف نصر أم فى موقف هزيمة؟!

ما من شك ـ فى منطق العقيدة ـ أنه كان فى قمة النصر وهو يلقى فى النار. كما أنه انتصر مرة أخرى وهو ينجو من النار.. هذه صورة وتلك صورة.. وهما فى الظاهر بعيد من بعيد. فأما فى الحقيقة فهما قريب من قريب!

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته، ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده.. وما كان يملك أن يودع القلوب من المعانى الكبيرة، ويحفز الألوف إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التى يكتبها بدمه، فتبقى حافزا محركا للأبناء والأحفاد. وربما كانت حافزا محركا لخطى التاريخ كله مدى أجيال..

ما النصر؟

وما الهزيمة؟

إننا فى حاجة إلى أن نراجع ما استقر فى تقديرنا من الصور.. ومن القيم.. قبل أن نسأل: أين وعد الله بالنصر فى الحياة الدنيا؟!

على أن هناك حالات كثيرة يتم فيها النصر فى صورته الظاهرة القريبة.. ذلك حين تتصل هذه الصورة الظاهرة القريبة بصورة باقية ثابتة.. لقد انتصر الرسول الحبيب المحبوب

ﷺ على اليهود وغيرهم فى حياته ـ كما أسلفنا ـ لأن هذا النصر يرتبط بمعنى إقامة هذه العقيدة بحقيقتها الكاملة فى الأرض. فهذه العقيدة لا يتم تمامها إلا بأن تهيمن على حياة الجماعة البشرية وتصرفها جميعا.. من القلب المفرد إلى الدولة الحاكمة.. فشاء الله أن ينتصر صاحب العقيدة فى حياته، بعد تلك المعارك الضارية، والمواجهات العسكرية، التى أبصرنا طرفا منها فى مواجهة اليهود، وصبر وصابر ورابط، حتى كان النصر للإسلام، وكانت الهزيمة لأعدائه، وذلك ليحقق هذه العقيدة فى صورتها الكاملة،ويترك هذه الحقيقة مقررة فى وقائع تاريخية محددة مشهودة ومن ثم اتصلت صورة النصر القريبة بصورة أخرى بعيدة، واتحدت الصورة الظاهرة مع الصورة الحقيقية، وفق تقدير الله وترتيبه.

وهذا الذى نكتبه ونقوله شىء، والذى يجرى فى الأرض المحتلة من أطفال الحجارة ومواجهة المؤمنات والشيوخ لهذا العدوان اليهودى شىء آخر..

وشتان شتان ما بينهما..

الأول : فكر ونظر ودراسة وتحليل، لا يخرج عن ذلك، مهما كان الصدق فى القول والإخلاص فى النية..

والثانى : جهاد وتطبيق ودفاع ومواجهة للباطل، وإن كان الثمن هو الروح ..

أترانا بعد هذا نساوى أطفال الحجارة، ناهيك عن المؤمنات والشيوخ هناك؟

إننا نتطلع إليهم من بعيد.. وعسى أن يكتب الله لنا أن نشارك ونتبع القول بالعمل، ويكتب الله لنا الشهادة.. آمين..

وهنا ينقلب هذا الذى نكتبه من عبارات وكلمات وحروف إلى نور على نور..

ترى أى معلّم كان.. وأى إنسان.. هذا المترع عظمة وأمانة وسموا.. ألا إن الذين بهرتهم عظمته لمعذورون.. وإن الذين وقفوا أمام كل موقف من تلك التى عرضنا لها فى مواجهة اليهود وافتدوه بأرواحهم.. وصلوا وسلموا عليه وساروا على نهجه لهم الرابحون؟

إنه الرسول القائد الحبيب المحبوب ﷺ..

الرسول الذى علمنا كيف ننتصر على اليهود ومن على شاكلتهم.. فهل آن لنا أن تجد

هذه المعالم طريقها إلى كلياتنا الحربية حتى ينصرنا الله على اليهود؟!

اللهـــم وفـق.

وهنالك اعتباراً آخر تحسن مراعاته كذلك وهو أنه لا بد أن توجد حقيقة الإيمان فى القلوب التى ينطبق هذا الوعد عليها.. وحقيقة الإيمان كثيرا ما يتجوز الناس فيها. وهى لا توجد إلا حين يخلو القلب من الشرك فى كل صوره وأشكاله. وإن هنالك لأشكالا من الشرك خفية لا يخلص منها القلب إلا حين يتجه لله وحده، ويتوكل عليه وحده ويطمئن إلى قضاء الله فيه، وقدره عليه، ويحسّ أن الله وحده هو الذى يصرفه فلا خيرة له إلا ما اختاره الله.. ويتلقى هذا بالطمأنينة والثقة والرضى والقبول.. وحين يصل إلى هذه الدرجة فلن يقدم بين يدى الله، لن يقترح عليه صورة معينة من صور النصر أو صور الخير، فسيكل هذا كله لله.. ويلتزم.. ويتلقى كل ما يصيبه على أنه الخير..

وذلك معنى من معانى النصر..

النصر على الذات والشهوات..

وهو النصر الداخلى الذى لا يتم نصر خارجى بدونه بحال من الأحوال..

وقد أبصرنا هذا فى مواجهة الجيش الإسلامى بعدده القليل لهذا الجيش اليهودى بعدده الكثير وعدده الوفيرة.. حيث كان النصر فى قلوب المجاهدين الذين لم يشهد التاريخ الإنسانى بطوله وعرضه، من قوة الإيمان وحسن التوكل ما شهده فى هؤلاء المجاهدين الذين جاءوا الحياة فى أوانهم المرتقب، ويومهم الموعود.. حين كانت تهيب بمن يضع عن البشرية الرازحة أغلالها، ويحرر وجودها ومصيرها من إفساد اليهود ومن على شاكلتهم..

ومن ثم شادوا بالقرآن وكلماته عالما إسلاميا مثاليا يهتز نضرة.. ويتألق عظمة.. ويتفوق اقتدارا.. وفى الوقت ذاته كانت الهزيمة فى قلوب اليهود مع كثرة عددهم ووفرة عدتهم..

فهل نبصر نحن فى واقعنا الإسلامى الآن مقياس النصر والهزيمة ؟

إن الأمة التى تتكبر فى الأرض، وتستحب العمى على الهدى وتصم آذانها عن سماع كلمة الحق والعدل، وتعتدى على من يحاول إرشادها وتقويمها.. ثم بعد ذلك كله

لا تأخذ بأسباب القوة فى حياتها، ولا يقدر أفرادها مسئوليتهم كما يجب وينبغى.. مصيرها إلى الاضمحلال والهوان:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ (١)

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

إنه من جانب يقرر عدل الله عز وجل فى معاملة العباد(٣)، فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم، ويبدلوا سلوكهم ويقبلوا أوضاعهم، ويستحقوا أن يغير ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التى لم يقدروها ولم يشكروها..

وهذا هو واقعنا كأمة أمام اليهود الذين تشهد الأرض المغتصبة وما حولها مفاسدهم وكأننا فى عداد الموتى !

ومن الجانب الثانى يكرم هذا المخلوق الإنسانى أكبر تكريم، حين يجعل هذا القدر ينفذ ويجرى عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ويجعل التغيير فى حياة الناس مبنيا على التغير الواقعى فى قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم، وأوضاعهم التى يختارونها لأنفسهم..

فهل آن لنا أن ندرك قيمة هذا التكريم ونرتفع إلى مستوى المسئولية الذى يفرضه علينا الواجب تجاه الأرض المحتلة؟!

ومن الجانب الثالث يلقى تبعة عظيمة تقابل هذا التكريم على الإنسان. . فهو يملك أن يستبقى نعمة الله عليه، ويملك أن يزاد عليها إذا هو عرف فشكر، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر ، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه .

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانباً من جوانب التصور الإسلامى لحقيقة الإنسان ، وعلاقته القدرية فى هذا الوجود، وعلاقته هو بهذا الكون وما يجرى فيه..

---

(١) الرعد : ١١ .   (٢) الأنفال : ٥٣.

(٣) فى ظلال القرآن : ٣: ٥٣٥ بتصرف.

ومن هذا الجانب يتبين تقدير هذا الإنسان فى ميزان الله، وتكريمه بهذا التقدير، كما تتبين فاعلية الإنسان فى مصير نفسه وفى مصير الأحداث من حوله، فيبدو عنصرا إيجابيا فى صياغة هذا المصير ـ بإذن الله وقدره الذى يجرى من خلال حركته وعمله ونيته وسلوكه ـ وتنتفى عنه تلك السلبية الذليلة التى تفرضها عليه المذاهب المادية، التى تصورها عنصرا سلبيا إزاء الحتميات الجبارة.. حتمية الاقتصاد. وحتمية التاريخ وحتمية التطور.. إلى آخر الحتميات التى ليس للكائن الإنسانى إزاءها حول ولا قوة، ولا يملك إلا الخضوع المطلق لما تفرضه عليه وهو ضائع خانع!

كذلك تصور هذه الحقيقة ذلك التلازم بين العمل والجزاء فى حياة هذا الكائن ونشاطه، وتصور عدل الحق المطلق، فى جعل التلازم سنة من سننه يجرى بها القدر، ولا يظلم فيها عبد من العباد..

فهل آن لنا أن ندرك هذا التلازم بين العمل والجزاء، ونحن نرجو أن ينصرنا الله على اليهود؟!

إن هذا يدفعنا حتماً إلى بذل أقصى الطاقات السلوكية والحربية للمواجهة الفاصلة التى يفرضها علينا الدين القيم حتى تتحرر الأرض المغتصبة!

إنها الحقيقة تلقى علينا تبعة ثقيلة جدا، حيث قضت مشيئة الله وجرت سنته، أن تترتب النتيجةعلى المقدمات..

وها نحن نبصر مقدمات تبشر بالخير للمعركة الفاصلة بيننا وبين اليهود..

رأى جديــــــد:

ونعود إلى تلك الآيات القرآنية اتى تتحدث عن مرتى إفساد بنى إسرائيل ..

نعود لنجد أقوال المفسرين تتفق على أمرين:

الأول: أن مرتى إفساد بنى إسرائيل بنى إسرائيل فى لأرض كانتا قبل الإسلام.

الثانى: أن العباد الذين سلطهم الله عليهم ليذلوهم عقب إفسادهم الأول والثانى كانوا ـ أيضا ـ قبل الإسلام..

وخلاف المفسرين إنما هو فيما سوى هذين الأمرين.

وسبق أن ذكرنا أشهر أقوال المفسرين في ذلك .

ولكن رأيا جديدا في تفسير الآيات القرآنية للشيخ عبد المعز عبد الستار [١] ، خالف فيه إجماع المفسرين ، نعرضه هنا بإيجاز، حيث ذهب إلى أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة، وإنما هما في الإسلام ، وأن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه، والآخرة هي التي نحن فيها الآن ..

يقول: أطبق المفسرون على أن ذلك الإفساد وقع منهم مرتين في الماضي قبل الإسلام أيام أن علوا وغلوا وقتلوا الأنبياء وكذبوا المرسلين وإن اختلفت أقوالهم في ذلك اختلافا كبيرا في تحديد نوع إفسادهم الأول وزمنه، والمسلط عليهم، وكذلك في الثاني.

والذي يعنيني أن أكشف عنه وأن أثبته في هذا أمران:

الأول: أن هاتين المرتين لم تكونا قبل البعثة، وإنما هما في الإسلام.

الثاني: أن المرة الأولى كانت على عهد رسول الله ﷺ وأصحابه، والآخرة هي التي نحن فيها الآن، والتي سنسوء فيها وجوههم، وندخل المسجد كما دخلناه .. إن شاء الله رب العالمين .

وأبادر فأطمئن الذين قد يهولهم هذا التخريج، فيرونه مخالفا للمأثور أوالمعروف من أقوال المفسرين، إلى أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شيء، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة وإلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تاريخا أو تأويلا، لا يقال في مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه.

وأعود لإثبات الأمر الأول فأقول :

الحديث عن الإسراء تبشير وإنباء بمستقبل: الثابت أن الإسراء وقع لرسول الله ﷺ وهو بمكة قبل الهجرة، فإن سورة الإسراء أنزلت كذلك، فهي مكية ، إلا آيات معلومات، وقد كان المسلمون يومئذ بمكة مستضعفين في الأرض، يخافون أن يتخطفهم الناس، فلم يكن لبني إسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين،ولم يكن لهم أثر بمكة، ولا خطر يقتضي أن يتحدث القرآن عنهم في سورة مكية بمثل هذا التفصيل.

فما السر أن يخبر الله عن إسرائه برسوله ﷺ في آية واحدة أول السورة، ينقطع

---

(١) بنو إسرائيل في القرآن والسنة : ٢ : ٣٧٣ وما بعدها بتصرف، نقلا عن مجلة الأزهر المجلد ٢٨ : ٦٨٩ تحت عنوان : سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل .

بعدها الحديث عن الإسراء جملة إلى آخرها، ويبدأ الحديث عن بنى إسرائيل وما أنعم عليهم وعهد إليهم، وعن دور خطير يكون لهم؟

وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والأحداث؟

السر فى ذلك أن الله عز وجل يخبر عن الإسراء بمقدار ما يبشر به نبيه، والمسلمين المضطهدين بمكة، المستضعفين فى الأرض، بأن أمرهم سيمتد ويعلو وشيكا، حتى تدين لهم عاصمة الشرك، وعاصمة أهل الكتاب، فهو سبحانه يقول:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١)

لم يقل من مكة إلى بيت المقدس كما هو الحال، إذ الكعبة يومئذ لم تكن مسجدا، وإنما كانت بيتا تقوم حوله الأصنام، ويطوف به العائذون والمشركون، ولم يكن هيكل دولة داود وسليمان فى دولة يهوذا وإسرائيل مسجدا، وإنما كان بيتا يأكلُ بنو إسرائيل من حوله السحت ويعيثون الفساد.

ولكن الله عز وجل أخبر عن هذا الإسراء بأنه انتقال من مسجد إلى مسجد، تبشيرا للمسلمين بأن أمرهم سيعلو ويتم، بحيث يصبح البلد الذى استضعفوا فيه وهانوا، وحلت حرماتهم فيه مسجدا حراما ودار أمن وإسلام، ليس هذا فحسب، بل سيمتد نفوذه وضياؤه، بحيث يصل عاصمة أهل الكتاب، ويصبح هيكل داود وسليمان لهم مسجدا أقصى كذلك، فهم أولى به:

﴿ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ﴾ (٢)

وهنا يتضح الجواب، ويظهر وجه المناسبة بين قوله تعالى:

﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ ... وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾

وبين آية الإسراء الأولى.

فقد اتصل الحديث، وإن انتقل الكلام من الإنباء بمصير الهيكل إلى الإنباء عن مصير أهله.

---

(١) الإسراء: ١.

(٢) الأنفال: ٣٤.

سورة بنى إسرائيل :

وبحق ما سميت سورة الإسراء سورة بنى إسرائيل، فإنها أحق بهذه التسمية وأجدر؛ لأنها لم تتحدث عن الإسراء إلا بمقدار ما بشرت بصيرورة الكعبة والهيكل للمسلمين حرما ومسجدا، ثم اتصل الحديث ببنى إسرائيل وخطبهم مع المسلمين بعد، فقال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾

فإذا لاحظنا أن الله عز وجل لم يخبر عن بنى إسرائيل فى سور مكية إلا بمقدار ما تساق العبرة من مواقفهم من موسى ووصاياه، وموقفهم من فرعون وجنوده، وأخبر عنهم فى السور المدنية كثيرا،فسجل لهم ضروبا من الفساد والإفساد، فأخبر عن نقضهم ميثاقهم، وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقولهم قلوبنا غلف وأخبر عن ظلمهم وصدهم عن سبيل الله كثيرا، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأخبر عن اعتدائهم فى السبت، وحذرهم الموت وسكوتهم عن المنكر، واشتراءهم بآيات الله ثمنا قليلا، وأخبر عن قتلهم أنفسهم، وإخراجهم فريقا من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، وقولهم ليس علينا فى الأميين سبيل.. الخ .

« لتفسدن فى الأرض مرتين » :

فإذا لاحظنا هنا أن الله ينص على أنه قضى أنهم يفسدون فى الأرض مرتين، فإذا جاء وعد أولاهما كان كذا، وإذا جاء وعد الآخرة كان كذا.. دل ذلك على أن المرتين غير ما سبق أن سجل لهما، وأنهما يقعان فى المستقبل، بالنسبة لمن أنزل عليه الكتاب ﷺ، لأن الحديث من أوله تبشير وإيماء لمستقبل، فذلك من الإنباء بالغيب، والإخبار بما لم يقع، وإلا فهم أفسدوا من قبل سبعين مرة، فالمرتان المعنيتان فى الآية وقعتا بعد، وقد أكد ذلك إعجاز القرآن وصدق ما جاء به محمد ﷺ.

أولاهما: قال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ الخ.

لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبى ﷺ وأصحابه، وما عاقبهم الله به، وسلط عليهم فيه.

فهم أفسدوا فى الأرض، ونقضوا عهد الله ورسوله، وكان ﷺ قد عاهدهم أول ما وصل المدينة.. (١).

رغم هذه الرعاية والمصافاة والمواساة، انطلقوا بالبغى والمكر والفساد فى الأرض يشككون فى شخص النبى ﷺ ونزاهته ورسالته، ويفتون المشركين أنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا.

ويفتحون دورهم وصدورهم لأعداء النبى ﷺ، ويدلونهم على عورات المؤمنين، وبلغ من أمرهم أن هموا بقتل الرسول ﷺ ـ أكثر من مرة كما أسلفنا ـ وهيجوا قريشا وغطفان، حتى حصروا المدينة، للقضاء على رسول الله ودعوته وأتباعه، وانضموا لهم، ونقضوا عهد الله ورسوله فى ساعة العسرة ويوم الأحزاب، فسلط الله عليهم عباده المؤمنين، فأجلوا بنى قينقاع وبنى النضير وقتلوا المقاتلين من بنى قريظة ثم فتحوا خيبر، ثم من عليهم الرسول فاستبقاهم عملاء، حتى أجلاهم عمر فى خلافته، وكان وعدا من الله للمؤمنين بالتمكين، وقد فعل وهذه هى المرة الأولى، لا تنطبق أوصافها إلا على أصحاب رسول الله ﷺ .

فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة «عبادا لنا» لأنهم الموحدون أتباع عبده الذى أسرى به. أما أتباع بختنصر أو غيره مما اضطربت فيه أقوال المفسرين، فقد كانوا عباد وثن، لايستحقون شرف الاختصاص بالله فى قوله «**لنا**»

وهم الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم!

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٢)

وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن :

﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾

أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا، وأنه دخل المقدس فى أهله، وسلب حليّه.. الخ، فهو اجتياح وليس جوسا.

---

(١) ذكر هنا نصوصا من وثيقة موادعة اليهود، وقد رواها ابن إسحاق: ٢:١٦ ـ ١٨ بدون إسناد. انظر : كتابنا: الهجرة النبوية: ٣٤٢ ففيه تفصيل القول فى ذلك .

(٢) الفتح : ٢٩ .

رد الكرة :

قال تعالى :

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾

ردت لليهود الكرة علينا بعد ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين سنة من تأديب الله لهم ، منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله، فجاسوا خلال الديار.

بعد هذه المقدمة ـ التى أشار القرآن لطولها بقوله «**ثم**» التى تقتضى فى العطف تراخيا فى الأجل ـ ردت لليهود الكرة، وأمدوا بثلاث ما أمدوا بمثلها في تاريخهم:

١ ـ بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض، على ما أرادوا من صعبه أو سهله.

٢ ـ بنين مهاجرين ومقاتلين ينتخبون لحماسهم وصلاحيتهم لبناء دولتهم.

٣ ـ ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾

ولم يكن اليهود في يوم ما أكثر نفيرا وناصرا منهم اليوم، ولم يتمتع اليهود فى تاريخهم، ولا أمة في الأرض غيرهم، بمثل ما يتمتعون به، من كثرة الناصر لهم، والنافر لنجدتهم: إذا غضبوا غضبت لهم أمريكا وإنجلترا وفرنسا وأمم الغرب جميعا ، وإن دعوا أجابهم الظالمون، وتنادوا لنصرتهم.. لقد اتفق الشرق والغرب ـ ولم يتفق يوما ـ على إنشاء إسرائيل وتقسيم فلسطين، وسكتوا ـ ولم يسكتوا يوما ـ على مأساه اللاجئين والمنكوبين والمشردين.

كل هذه الأوصاف تؤكد أن الدور الذى نعانيه اليوم هو الكرة المعنية فى الآية، وكل ما ذكره المفسرون بعيد، لا تنطق عليه هذه الصفات.

فرصة للاختيار:

قال تعالى:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾

بعد أن قرر سبحانه أنه سيرد لليهود الكرة، قرر أنها فرصة لهم ليختاروا لأنفسهم، وليرسموا نهايتهم، فللذين أحسنوا الحسنى، وللذين أساءوا السوآى، ثم قرر سبحانه أنهم

لن ينفكوا عن فسادهم وإفسادهم فقرر بعد ذلك على الفور عاقبة أمرهم، لأنها معروفة محتومة، فقال تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـٔۥُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾

يقرر الله عز وجل أنهم لن يستقبلوا النعمة بالشكر، ولا الكرة بالذكر والانتهاء عن الفساد، وإنما سيعاودون فسادهم الموروث،على نحو يدخلهم فى شديد مقت الله ونقمة عباده، بما يبعد أن تدركهم عند ذلك رحمته فيقول :

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ ﴾

سلطنا عليكم عبادنا الأولين الذين دخلوا المسجد، ثم ردت لكم الكرة على خلافئهم:

﴿ لِيَسُـٔۥُوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾

بما ترون من مصارعكم، ومصارع أحلامكم، وما تعاينون من سوء المنظر فى المال وأهل والولد :

﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ﴾

دخول العزيز الظاهر:

﴿ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

ظافرين منصورين:

﴿ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ ﴾

تدميرا.

وذلك دورنا المرتقب، وعملنا الذى نرجو أن يشرفنا الله به فى القريب، فإنا لنطمع أن يعذبهم الله بأيدينا ويخزهم، وينصرنا عليهم، ويشف صدور قوم مؤمنين..

وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافا، لنبيدهم فقال:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾

بشرى للمؤمنين:

يؤكد هذه النهاية ويبشر بقرب وقوعها قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ ﴾

فإن العطف بالفاء يقتضى الترتيب مع التعقيب، فالوعد واقع قريبا بعد هذه الكرة.

والتعبير (**بإذا**) يدل على تحقيق المجيء لا محالة.

وبشائر النصر التى تحدونا أولا وأخيرا فى هذه السورة.

قال تعالى بعد هذه الآيات:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (١)

وقال تعالى فى آخر السورة:

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (٢)

تعليق على المقال:

والذى يقرأ هذا المقال يتبين له أن كاتبه يرى أن المراد من (**الكتاب**) فى قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾

هو القرآن الكريم لا التوراة:

وهذا الفهم لا يمكن أن ينساق إلى ذهن من يقرأ الآيات القرآنية بتدبر، لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

---

(١) الإسراء: ٩.　　(٢) الإسراء: ١٠٤.

ثم يقول بعد ذلك:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

فالكتاب فى الآية الثانية يقصد به عين الكتاب في الآية الأولى، وهو التوراة التى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، وجعلها هدى لبنى إسرائيل، وسبق أن بينا ذلك، وأنه المعنى المتبادر من الآيات، والذى لايمكن أن يفهم المتأمل فى كتاب الله غيره، فقد أجمع عليه جمهور المفسرين، ، وقليل منهم أضاف إلى ذلك أنه يجوز أن يراد به اللوح المحفوظ، ومنهم القاسمى، (١). وقد سبق بيان فائدة إخبار الله بنى إسرائيل فى التوراة أنهم يفسدون فى الأرض مرتين.

وبإثباتنا أن المراد بالكتاب فى الآية الثانية هو التوراة، نكون قد رددنا أساس رأيه من أن المراد به هو القرآن ـ كما يقول الدكتور طنطاوى ـ(٢) ورددنا ما بناه على هذا الرأى من أن مرتى الإفساد فى الإسلام، وأن ذلك من الإنباء بالغيب الذى يكون فى المستقبل بالنسبة لنزول الآية الكريمة على النبى ﷺ..

ولنا تعليقات يسيرة على بعض ما جاء فى هذا المقال منها:

أولا: يقول: ما السر فى أن يخبر الله عن إسرائه برسوله ﷺ فى آية واحدة أول السورة، ينقطع بعدها الحديث عن الإسراء جملة إلى آخر السورة، ويبدأ الحديث عن بنى إسرائيل وما أنعم الله عليهم وعهد إليهم وعن دور خطير يكون لهم، وما وجه المناسبة بين هذه الآيات والآحداث..؟ الخ.

ونقول: إن الله تعالى ما ذكر الإسراء إلا ليكون آية من الآيات من أول الإسراء مثارا لتشكيك من فى قلوبهم مرض فى رسالة النبى ﷺ وصدق نبوته، كما اتخذها ذريعة للسخرية برسول الله ﷺ ومن آمن به فالله تعالى يقول لهؤلاء الذين فى قلوبهم مرض، ويصدون عن سبيل الله من آمن، ويهزأون برسوله الكريم ﷺ إن لم تنتهوا عن إثارة الفساد فى الأرض، ووضع العراقيل أمام الدعوة، ليصيبنكم ما أصاب بنى إسرائيل قبلكم، حين عاثوا فسادا في الأرض مرتين، وعلوا علوا كبيرا، فقد سلط الله عليهم بعد كل من المرتين

(١) تفسير القاسمى : ١٠ : ٣٩٠٢ .

(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة:٢: ٣٨١ وما بعدها بتصرف.

من يسومهم سوء العذاب، ومن يجوس خلال ديارهم بالقتل والتخريب.

وتبدأ السورة بتسبيح الله..

وتضم موضوعات شتى، معظمها عن العقيدة، [1] وبعضها عن قواعد السلوك الفردى والجماعى وآدابة القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بنى إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذى كان إليه الإسراء..

ولكن العنصر البارز فى كيان هذه السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول الحبيب المحبوب ﷺ .. وموقف القوم منه فى مكة.. والقرآن الذى نزل عليه.. وطبيعة هذا القرآن، وما يهدى إليه، واستقبال القوم له.. واستطرد بهذه المناسبة إلى طبيعة الرسالة والرسل، وإلى امتياز الرسالة الإسلامية بطابع غير طابع الخوارق الحسية وما يتبعها من هلاك المكذبين بها.. وإلى تقرير التبعة الفردية فى الهدى والضلال الاعتقادى، والتبعة الجماعية فى السلوك العملى فى محيط المجتمع.. كل ذلك بعد أن يعزر الله سبحانه إلى الناس، فيرسل إليهم الرسل بالتبشير والتحذير والبيان والتفصيل:

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [2]

ويتكرر فى سياق السورة تنزيه الله وتسبيحه وحمده وشكر آلائه.. ففى مطلعها:

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ﴾ [3]

وفى أمر بنى إسرائيل بتوحيد الله يذكرهم بأنهم من ذرية المؤمنين مع نوح:

﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [4].

وعند دعاوى المشركين عن الآلهة يعقب بقوله:

﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤٣ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [5].

---

(١) فى ظلال القرآن: ٤ : ٢٢٠٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) الإسراء: ١٢.

(٣) الإسراء: ١.

(٤) الإسراء: ٣.

(٥) الإسراء: ٤٣ ـ ٤٤.

وفي حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن:

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ (١)

وتنتهي السورة بالحمد:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ (٢)

فى تلك الموضوعات المنوعة حول ذلك المحور الواحد الذى بينا يمضى سياق السورة فى مواقف متتابعة..

يبدأ الموقف الأول بالإشارة إلى الإسراء:

﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

مع الكشف عن حكمة الإسراء:

﴿ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾

وبمناسبة المسجد الأقصى يذكر كتاب موسى وما قضى لبنى إسرائيل، من نكبة وهلاك وتشريد مرتين، بسبب طغيانهم وإفسادهم، مع إنذارهم بثالثة ورابعة:

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾

ثم يقرر أن الكتاب الأخير ـ القرآن ـ يهدى للتى هى أقوم، بينما الإنسان عجول مندفع، لا يملك زمام انفعالاته.. ويقرر قاعدة التبعة الفردية فى الهدى والضلال، وقاعدة التبعة الجماعية فى التصرفات والسلوك..

وهكذا نجد السياق ينتقل من سيرة بنى إسرائيل، وكتابهم الذى آتاه الله موسى عليه السلام، ليهتدوا به فلم يهتدوا، بل ضلوا فهلكوا.. ينتقل السياق إلى القرآن:

﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ

---

(١) الإسراء: ١٠٨.　　(٢) الإسراء: ١١١.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١)

هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق، وكل خير يهتدى إليه البشر فى كل زمان ومكان..

يهدى للتى هى أقوم فى عالم الضمير والشعور، بالعقيدة الواضحة التى لا تعقيد فيها ولا غموض ــ كما عرفنا عن عقيدة اليهود ومن على شاكلتهم ــ والتى تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية فى تناسق واتساق..

ويهدى للتى هى أقوم فى التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فإذا هى كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التى لا تنفصم، متطلعة إلى أعلى وهى مستقرة على الأرض، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة، فلا مادية.. كما نشهد الواقع اليهودى المادى.. ولا رهبانية أيضا..

ويهدى للتى هى أقوم فى عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تترخص حتى تشيع فى النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال..

ويهدى للتى هى أقوم فى علاقات الناس بعضهم ببعض:أفراد وأسرا، وحكومات وشعوبا، ودولا وأجناسا.. كما رأينا فى هدى النبى ﷺ فى علاقته باليهود.

وعرفنا أنه يقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التى لا تتأثر بالرأى والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض.. الأسس التى أقامها العليم الخبير لخلقه، وهو أعلم بمن خلق، وأعرف بما يصلح لهم فى كل أرض وفى كل جيل، فيهديهم للتى هى أقوم فى نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولى اللائق بعالم الإنسان..

ويهدى للتى أقوم فى تبنى الرسالات السماوية ــ ومنها رسالة موسى ــ والربط بينهما،

---

(١) الإسراء: ٩ ــ ١٠.

وتعظيم مقدساتها، وفق هدى الحق، وصيانة حرماتها، وفق وحى السماء، فإذا البشرية كلها بجميع رسالاتها السماوية فى سلام ووئام..

ولكن اليهود ـ كما عرفنا ـ هم اليهود!

فأما الذين لا يهتدون بهدى القرآن، فهم متروكون لهوى الإنسان.. الإنسان العجول..

الإنسان الجاهل بما ينفعه وما يضره، المندفع الذى لا يضبط انفعالاته ولو كان من ورائها الشر له:

﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (١)

ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها، ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه وهو لا يدرى. أو يدرى ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه.. فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادى؟

ألا إنهما طريقان مختلفان : شتان شتان . هدى القرآن وهوى الإنسان!

ومن الإشارة إلى الإسراء وما صاحبه من آيات، والإشارة إلى نوح ومن حُملوا معه من المؤمنين، والإشارة إلى قصة بنى إسرائيل، وما قضاه الله لهم فى الكتاب، وما يدل عليه هذا القضاء من سنن الله فى العباد، ومن قواعد العمل والجزاء، والإشارة إلى الكتاب الأخير الذى يهدى للتى هى أقوم ..

من هذه الإشارة إلى آيات الله التى أعطاها للرسل ، ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية فى هذا الوجود، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم، وجهودهم وجزاءهم، وكسبهم وحسابهم، فإذا نواميس العمل والجزاء والكسب والحساب مرتبطة أشد ارتباط بالنواميس الكونية الكبرى، محكومة بالنواميس ذاتها، قائمة على قواعد وسنن لا تتخلف ، دقيقة منظمة دقة النظام الكونى الذى يصرف الليل والنهار، مدبرة بإرادة الخالق الذى جعل الليل والنهار آيتين..

ويبدأ الموقف الثانى بقاعدة التوحيد ـ وهى قد أصابها التحريف اليهودى والتخريف الصهيونى الجهول ـ كما أسلفنا ـ وذلك ليقيم عليها البناء الاجتماعى كله، وآداب العمل

---

(١) الإسراء : ١١ .

والسلوك فيه، ويشدها إلى هذا المحور الذى لا يقوم بناء الحياة إلا مستندا إليه..

ويتحدث فى الموقف الثالث: عن أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن الكريم، وتقولاتهم على الرسول الحبيب المحبوب ﷺ.. ويأمر المؤمنين أن يقولوا قولا آخر، ويتكلموا بالتى هى أحسن..

وفى الموقف الرابع: يبين لماذا لم يرسل الله خاتم النبيين ﷺ بالخوارق، فقد كذب بها الأولون، فحق عليهم الهلاك اتباعا لسنة الله، كما يتناول موقف المشركين من إنذار الله لهم فى رؤيا الرسول ﷺ وتكذيبهم وطغيانهم..

ويجىء فى هذا السياق طرف من قصة إبليس، وإعلانه أنه سيكون حربا على ذرية آدم.. يجىء هذا الطرف من القصة كأنه كشف لعوامل الضلال الذى يبدو من المشركين، والإفساد فى الأرض الذى يقوم به اليهود.. ويعقب عليه بالتخويف من عذاب الله، والتذكير بنعم الله فى تكريم الإنسان، وما ينتظر الطائعين والعصاة:

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١)

وهو مشهد يصور الخلائق محشورة.. وكل جماعة تنادى بعنوانها باسم المنهج الذى اتبعته، أو الرسول الذى اقتدت به، أو الإمام الذى ائتمت به فى الحياة الدنيا..

فهل تبع اليهود موسى عليه السلام؟!

إنهم انحرفوا عن رسالته، وكفروا بالحق الذى آمن به ودعا إليه!

إن موسى عليه السلام ـ كما أسلفنا ـ من المسلمين، فهل أتباعه ـ كما يزعمون ـ كذلك؟!

وهنا فى هذا الموقف الرهيب الرعيب تنادَى كل جماعة، ليُسلَّم لها كتاب عملها وجزائها فى الدار الآخرة.. فمن أوتى كتابه بيمينه فهو فرح بكتابه يقرؤه ويتملاه، ويوفّى

---

(١) الإسراء ٧١ ـ ٧٢.

الأجر! ومن عمى فى الدنيا عن دلائل الحق ـ كهؤلاء اليهود ومن على شاكلتهم ـ فهو فى الآخرة أعمى عن طريق النجاة، وأضل سبيلا، وأشد ضلالا.. وجزاؤه معروف. ولكن السياق يرسمه فى هذا المشهد المزدحم المهيب، الهائل الرعيب، أعمى ضالا يتخبط، لا يجد من يهديه ولا ما يهتدى به ويدعه كذلك لا يقرر فى شأنه أمرا هنا؛ لأن مشهد العمى والضلال فى ذلك الموقف العصيب الرهيب الرعيب هو وحده جزاء مرهوب، يؤثر فى القلوب!

ويستعرض فى الموقف الأخير كيد المشركين للرسول الحبيب المحبوب ﷺ، ومحاولة فتنته عن بعض ما أُنزل إليه، ومحاولة إخراجه من مكة. ولو أخرجوه قسرا ـ ولم يخرج هو مهاجرا بأمر الله ـ لحل بهم الهلاك الذى حل بالقرى من قبلهم حين أخرجت رسلها أو قتلتهم ـ كما عرفنا فى تاريخ اليهود ـ ويأمر الرسول ﷺ أن يمضى فى طريقه يقرأ القرآن ويقيم الصلاة، ويدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه، ويعلن مجىء الحق وزهوق الباطل، ويعقب بأن هذا القرآن الذى أرادوا فتنته عن بعضه فيه شفاء وهدى للمؤمنين، بينما الإنسان قليل العلم، وهو يعرض موقفا من مواقف هؤلاء اليهود ـ كما أسلفنا ـ وهم يسألون عن الروح ما هو؟ والمنهج الذى سار عليه القرآن ـ وهو المنهج الأقوم ـ أن يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشرى بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية التى وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وفى غير مجالها الذى تملك وسائله وتحيطُ به. فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله، اختص بعلمه دون سواه:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١)

وليس فى هذا حجر على العقل البشرى أن يعمل.. ولكن فيه توجيها لهذا العقل أن يعمل فى حدوده وفى مجاله الذى يدركه. ولكنها سمات يهود فلا جدوى من الخبط فى التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه، لأنه لا يملك وسائل إدراكه..!

والروح غيب من غيب الله لا يدركه سواه، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى وبعض الخلائق التى لا نعلم حقيقتها.. وعلم الإنسان محدود بالقياس إلى علم الله المطلق، وأسرار هذا الوجود أو سع من أن يحيط بها العقل البشرى المحدود.. والإنسان لا يدبر هذا الكون، فطاقاته ليست شاملة، إنما وهب منها بقدر محيطه وبقدر

---

(١) الإسراء : ٨٥ .

حاجته ليقوم بالخلافة فى الأرض، ويحقق فيها ما شاء الله أن يحقق، فى حدود علمه القليل.

ولقد أبدع الإنسان فى هذه الأرض ما أبدع، ولكنه وقف حسيرا أمام ذلك السر اللطيف ـ الروح ـ لا يدرى ما هو، ولا كيف جاء، ولا كيف يذهب، ولا أين كان ولا أين يكون، إلا ما يخبر به العليم الخبير فى التنزيل.

ويستمر فى الحديث عن القرآن وإعجازه، بينما هم يطلبون خوارق مادية، ويطلبون نزول الملائكة، ويقترحون أن يكون للرسول بيت من زخرف أو جنة من نخيل وعنب، يفجر الأنهار خلالها تفجيرا! أو يفجر لهم من الأرض ينبوعا! أو أن يرقى هو فى السماء ثم يأتيهم بكتاب مادى معه يقرأونه..

إلى آخر هذه المقترحات التى يمليها العنت والمكابرة ـ وكما هو شأن اليهود أيضا ومن على شاكلتهم ـ لا طلب الهدى والاقتناع..

ويرد على هذا كله بأنه خارج عن وظيفة الرسول وطبيعة الرسالة، ويكل الأمر إلى الله.. ويتهكم على أولئك الذين يقترحون هذه الاقتراحات كلها بأنهم لو كانوا يملكون خزائن رحمة الله ـ على سعتها وعدم نفاذها ـ لأمسكوا خوفا من الإنفاق! وقد كان حسبهم أن يستشعروا أن الكون وما فيه يسبح لله:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

وأن الآيات الخارقه قد جاء بها موسى من قبل، فلم تؤد إلى إيمان هؤلاء المتعنتين، لأن كثرة الخوارق لا تنشىء الإيمان فى القلوب الجاحدة:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ (١)

وهذا المثل من قصة موسى وبنى إسرائيل يذكر لتناسقه مع سياق السورة، وذكر المسجد الأقصى فى أولها، وطرف من قصة بنى إسرائيل مع موسى. وكذلك يعقب عليه بذكر الآخرة والمجىء بفرعون وقومه لمناسبة مشهد القيامة القريب فى سياق السورة، ومصير المكذبين..

وتنتهى السورة بالحديث عن القرآن والحق الأصيل فيه.. القرآن الذى نزل مفرقا ليقرأه الرسول على القوم زمنا طويلا بمناسبته ومقتضياته، وليتأثروا به ويستجيبوا له استجابة حية عملية، والذى يتلقاه الذين أوتوا العلم من قبله بالخشوع والتأثر إلى حد البكاء والسجود:

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٢)

وهو مشهد موح يلمس الوجدان.. ويرسم تأثير هذا القرآن فى القلوب المتفتحة لاستقبال فيضه، العارفة بطبيعته وقيمته، بسبب ما أوتيت من العلم قبله.. هذا المشهد الموحى للذين أوتو العلم من قبله يعرضه السياق بعد تخيير القوم فى أن يؤمنوا بهذا القرآن أولا يؤمنوا..

يقول ابن كثير « **إن الذين أوتوا العلم من قبله** » أى من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم ويقيمونه، ولم يبدلوه.(٣).

فهل يفهم اليهود ذلك؟!

---

(١) الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٤. (٢) الإسراء : ١٠٥ ـ١٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير : ٣:٦٨ ، وانظر : تفسير القرطبى : ١٠ : ٣٤٠، والكشاف: ٢: ٣٧٨، والماوردى : ٢: ٤٦٢.

من هذا العرض الموجز لمقاصد السورة يتبين لنا أن الحديث فيها ـ كما سبق ـ مسوق لإثبات رسالة الرسول الحبيب المحبوب ﷺ، وحقيقة ما أنزل عليه.. وأن الذين يقترحون غيره من الآيات ما تأملوه وما عرفوه حق المعرفة، وأنهم إذا استمروا فى هذا الإعراض سيصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم، وكذلك ما أصاب بنى إسرائيل بعد فسادهم وإفسادهم فى الأرض..

ثانياً : ما قاله من أن الآيات مكية ، وأن المسلمين بمكة كانوا مستضعفين ، فلم يكن لبنى إسرائيل يومئذ صلة ولا شأن مع المسلمين، ولم يكن لهم أثر بمكة يقتضى أن يتحدث الله عنهم فى سورة مكية يمثل هذا التفصيل.. الخ.

هذا القول نوافقه عليه فى جملته.. إلا أننا ـ كما يقول الدكتور طنطاوى ـ[1] نخالفه فيما ذهب إليه من أنه لم يكن لبنى إسرائيل صلة بالمسلمين، تقتضى أن يتحدث القرآن عنهم بمثل هذا التفصيل..

ومن أسباب مخالفتنا له، أن عدم وجود الصلة التجارية أو السكنية بين مسلمى مكة واليهود، وعدم وجود الأثر أو الخطر، لا يقتضى أن يترك القرآن الكريم الحديث عن بنى إسرائيل بالتفصيل، إذ هناك ما هو أهم من كل ذلك، وهو تشابه موقف أهل مكةواليهود من الدين الحق، فكلاهما قد وقف من الرسالات السماوية موقف الجاحد العاصى، فبين القرآن الكريم لأهل مكة أن الله تعالى قد أنزل التوراة على موسى لهداية بنى إسرائيل، ولكنهم لم يعملوا بها، بل أفسدوا فى الأرض، فكان مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[2]

فبنو إسرائيل حملوا التوراة، وكلفوا أمانة العقيدة والشريعة« **ثم لم يحملوها** » لأن حملها يبدأ بالإدراك والفهم والفقه، وينتهى بالعمل لتحقيق مدلولها فى عالم الضمير، وعالم الواقع ولكن سيرة بنى إسرائيل كما عرضها القرآن الكريم لا تدل على أنهم قدروا هذه الأمانة، ولا أنهم فقهوا حقيقتها، ولا أنهم عملوا بها ـ كما يشهد بذلك واقعهم قديما وحديثا ـ ومن ثم كانوا كالحمار يحمل الكتب الضخام، وليس له منها إلا الثقل، فهو ليس صاحبها. وليس شريكا فى الغاية منها!

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢ : ٣٨٤ وما بعدها بتصرف .

(٢) الجمعة : ٥ .

وهى صورة زرية بائسة، ومثل سيىء شائن، ولكنها صورة معبرة عن حقيقة صادقة..

ومثل هؤلاء اليهود هؤلاء الذين غبرت بهم أجيال كثيرة، والذين يعيشون فى هذا الزمان، وهم يحملون أسماء، ويرفعون رايات، ولا يعملون عمل المسلمين. وبخاصة أولئك الذين يقرأون الكتب، ويقومون بدور المعلم والموجه والمفكر والأستاذ مهما كانت مناصبهم ـ وهم لا ينهضون بما تفرضه عليهم العقيدة، وهم كثيرون كثيرون! وهذا خلق يهود! فليست المسألة مسألة كتب تحمل وتدرس، إنما هى مسألة فقه وعمل بما فى الكتب!.

وسبق أن عرضنا لآيات كثيرة فى سور مكية لبنى إسرائيل..

وحسبنا أن نذكر مثلا للانحراف عن سوء الفطرة، ونقض لعهد الله المأخوذ عليها، ونكوص عن آيات الله بعد رؤيتها والعلم بها..

ذلك الذى آتاه الله آياته، فكانت فى متناول نظره وفكره، ولكنه انسلخ منها، وتعرى عنها، ولصق بالأرض، واتبع الهوى، فلم يستمسك بالميثاق الأول، ولا بالآيات الهادية، فاستولى عليه الشيطان، وأمسى مطرودا من حمى الله، لا يهدأ ولا يطمئن ولا يسكن إلى قرار..

ولكن البيان القرآنى المعجز لا يصوغ المثل هذه الصياغة! إنما يصوره فى مشهد حى متحرك، عنيف الحركة شاخص السمات، بارز الملامح، واضح الانفعالات، يحمل كل إيقاعات الحياة الواقعة، إلى جانب العبارات الموحية:

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾[1]

روى عبد الرزاق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: هو رجل من بنى

(١) الأعراف : ١٧٥ ـ ١٧٧ .

إسرائيل يقال له: بلعام بن باعوراء، وكذا رواه شعبة وغير واحد عن منصور به.. وتعددت الروايات وتنوعت فيمن هو.. قال ابن كثير: وأما المشهور فى سبب نزول هذه الآية الكريمة فإنما هو رجل من المتقدمين فى زمن بنى إسرائيل كما قال ابن مسعود وغيره من السلف..[1].

جاء فى المنار: والضمير فى «**عليهم**» للناس المخاطبين بالدعوة، وأولهم كفار مكة، والسورة مكية، وقيل: لليهود، لأن المثل تابع لقصة موسى فى السورة..[2].

وعلى كل فهو مثل ينطبق تمام الانطباق على اليهود ومن على شاكلتهم.. وعلينا أن نأخذ من النبأ ما وراءه [3]. فهو يمثل حال الذين يكذبون بآيات الله بعد أن تبين لهم فيعرفوها ثم لا يستقيموا عليها.. وما أكثر ما يتكرر هذا النبأ فى حياة البشر – وبخاصة اليهود – ما أكثر الذين يعطون علم دين الله، ثم لا يهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه، واتباع الهوى به.. هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم – فى وهمهم – عرض الحياة الدنيا.. وهو خلق يهود!

وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها، ويعلن غيرها، ويستخدم علمه فى التحريفات المقصودة، والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل! يحاول بها هذا السلطان المعتدى على سلطان الحق وحرماته فى الأرض جميعا!

لقد رأينا من هؤلاء من يدعو للطواغيت الذين يدعون حق التشريع ويبارك الجاهلية.. ويخلع على هذا الفجور رداء الدين وشاراته وعناوينه!

فماذا يكون هذا إلا أن يكون مصداقا لنبأ الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ؟!

وماذا يكون هذا إلا أن يكون المسخ الذى يسجله القرآن عن صاحب النبأ:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾

ولو شاء الله لرفعه بما آتاه من العلم بآياته. ولكنه سبحانه لم يشأ؛ لأن ذلك الذى علم

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢: ٢٦٤ – ٢٦٥ بتصرف.
(٢) تفسير المنار : ٩: ٤٠٥ .
(٣) فى ظلال القرآن : ٣: ١٣٩٧ بتصرف .

الآيات أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولم يتبع الآيات!

إنه مثل كل من آتاه الله من العلم ، فلم ينتفع بهذا العلم، ولم يستقم على طريق الإيمان، وانسلخ من نعمة الله، ليصبح تابعا ذليلا للشيطان، ولينتهى إلى المسخ فى مرتبة الحيوان، وهو خلق يهود!

ثم ما هذا اللهاث الذى لا ينقطع ؟

إنه ـ فى حسنا كما توحيه إيقاعات النبأ وتصوير مشاهده فى القرآن ـ ذلك اللهاث وراء أعراض هذه الحياة الدنيا التى من أجلها ينسلخ الذين يؤتيهم الله آياته فينسلخون منها.. وذلك اللهاث القلق الذى لا يطمئن أبدا. والذى لا يترك صاحبه، سواء وعظته أم لم تعظه، فهو منطلق فيه أبدا، وهو خلق يهود!

والحياة البشرية ما تنى تطلع علينا بهذا المثل فى كل زمان وفى كل مكان، وفى كل جيل وفى كل قبيل.. حتى إنه لتمر فترات كثيرة، وما تكاد العين تقع إلا على هذا المثل. فيما عدا الندرة النادرة ممن عصم الله ممن لا ينسلخون من آيات الله، ولا يخلدون إلى الأرض، ولا يتبعون الهوى، ولا يستذلهم الشيطان، ولا يلهثون وراء الحطام الذى يملكه أصحاب السلطان! فهذا مثل لا ينقطع وروده ووجوده، وما هو بمحصور فى قصة وقعت، فى جيل من الزمان، فهو خلق يهود ومن على شاكلتهم!

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو هذا النبأ على قومه الذين كانت تتنزل عليهم آيات الله، كى لا ينسلخوا منها وقد أوتوها.. ثم ليبقى من بعده ومن بعدهم يتلى، ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئا أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة، وأن يصيروا إلى هذا اللهاث الذى لا ينقطع أبدا، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذى لا يظلمه عدو لعدو، فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة!

إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات.. إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع.. ولكن ها هو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا.. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحى من أديمه اللاصق بكيانه.. لأنه يهودى الخلق!

أو ليست الكينونة البشرية متلبسة بالإيمان بالله تلبس الجلد بالكيان؟!

ها هو ذا ينسلخ من آيات الله، ويتجرد من الغطاء، الواقى، والدرع الحامى، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضا للشيطان، لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام فيتبعه ويلزمه ويستحوذ عليه، لأنه يهودى الخلق!

ثم إذا نحن أولاء أمام مشهد مفزع بائس نكد .. إذا نحن بهذا المخلوق، لاصقا بالأرض، ملوثا بالطين! ثم إذا مسخ فى هيئة الكلب، يلهث إن طورد، ويلهث إن لم يطارد!

كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى، والخيال شاخص يتبعها فى انفعال وانبهار وتأثر.. فإذا انتهى المشهد الأخير منها.. مشهد اللهاث الذى لا ينقطع.. سمع التعليق المرهوب الموحى، على المشهد كله:

﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾

ذلك مثلهم! فلقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرتهم وكيانهم وبالوجود كله من حولهم.. ثم إذا هم ينسلخون منها انسلاخا.. ثم إذا هم أمساخ شائهو الكيان، هابطون عن مكان الإنسان، إلى مكان الحيوان.. مكان الكلب الذى يتمرغ فى الطين.. وكان لهم من الإيمان جناح يرفون به إلى عليين، وكانوا من فطرتهم الأولى فى أحسن تقويم، فإذا هم ينحطون إلى أسفل سافلين:

﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾

وهل أسوأ من هذا المثل؟

وهل أسوأ من الانسلاخ والتعرى من الهدى؟!

وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى؟!

وهل يظلم إنسان نفسه كما يظلمها من يصنع بها هكذا؟ من يعريها من الغطاء الواقى والدرع الحامى، ويدعها غرضا للشيطان يلزمها ويركبها، ويهبط بها إلى عالم الحيوان اللاصق بالأرض، الحائر القلق اللاهث لهاث الكلب أبدا؟!

حقا إنه خلق يهود، ومن على شاكلتهم!

وقد ترتب على ذلك أن سلط الله عليهم من يذلهم بسبب فسوقهم عن أمر الله(١)، فإذا ما سار أهل مكة على هذا الطريق المعوج الذى سار عليه بنو إسرائيل بعد أن جاءهم خاتم النبيين ﷺ بالهدى ودين الحق، فسيصيبهم من العقاب ما أصابهم.

وهذا التفصيل الذى تحدث القرآن الكريم به هنا عن بنى إسرائيل، قد جاء ما هو أطول منه بكثير فى سور مكية، كسورة الشعراء، والأعراف، وطه، والقصص، وغير ذلك من السور المكية التى تحدثت عنهم باستفاضة.

وإذاً فهناك مقتض لهذا الحديث المفصل عن بنى إسرائيل فى سورة الإسراء المكية، وهو تماثل موقف أهل مكة وبنى إسرائيل من الدين الحق، ومخالفة الفريقين لشريعة سماوية خالدة، هى شريعة الإسلام، لا لقانون وضعى أو لعرق دنيوى، وتبشير للمسلمين. بحسن العقبى، لاستجابتهم لله ولرسوله ﷺ.

ثالثا : قال فى قوله تعالى:

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾

لا تنطبق هذه المرة تمام الانطباق إلا على الدور الذى قاموا به على عهد النبى ﷺ وأصحابه، وما عاقبهم الله به، وسلط عليهم فيه.. إلخ.

ونحن لا نوافقه فيما ذهب إليه للأسباب التالية:

١ـ الذى عليه المفسرون أن المراد بالأرض فى قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

أرض الشام التى كان يسكنها اليهود وقت نزول التوراة، وليس المراد بها أرض الجزيرة العربية، لأنها ـ كما عرفنا ـ لم تكن سكنا لهم عند نزول التوراة.

٢ـ نحن نعرف أنهم حصل منهم إفساد فى عهد النبى ﷺ ـ كما سبق ولكن هذا الإفساد ـ رغم ضراوته ـ كان دون ما قاموا به من إفساد قبل ذلك، بدليل أن الحق تبارك وتعالى قد نعى عليهم فى القرآن الكريم رذائل كثيرة اقترفوها..

---

(١) بنو إسرائيل فى القرآن والسنة : ٢: ٣٨٥ وما بعدها بتصرف.

منها أنهم قتلوا قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ بعض أنبياء الله، وحاولوا قتل عيسى، واتخذوا لذلك كافة الطرق والوسائل، إلا أنهم لم يفلحوا فى مسعاهم لأسباب خارجة عن إرادتهم.

وإذاً فإفسادهم فى الأرض قبل بعثة النبى ﷺ كان أشد وأفحش من إفسادهم بعد بعثته ﷺ.

٣ــ إفسادهم فى الأرض فى عهد النبى ﷺ وأصحابه، كان يأخذ فى غالبه ــ كما أسلفنا ــ طابع النفاق والمخادعة وعدم المجاهرة، خوفا من المسلمين، عدا ما عرفنا من معارك خيبر، أما إفسادهم قبل ذلك فكان يأخذ طابع الظلم الصريح، والعصيان الواضح، والطغيان المتعمد، كما يفيده قوله تعالى:

﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾

وهذا يدل على أن المقصود بإفسادهم فى الأرض مرتين، ما كان منهم قبل بعثة خاتم النبيين ﷺ.

٤ــ قوله تعالى﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ هذا العلو الكبير الذى وصفتهم به الآية الكريمة لا ينطبق على حالهم فى عهد النبى ﷺ ولا فى عهد أصحابه، لأن اليهود فى هذه الفترة كانوا يمثلون جزءا من اليهود المنتشرين فى الأرض، وبلغ بهم ضعف الحال أن بعضهم انضم إلى طائفة الخزرج، وبعضهم انضم إلى طائفة الأوس ــ كما عرفنا ــ فإذا ما حصل قتال بين الطائفتين، قاتل حلفاء الخزرج من اليهود إخوانهم المنضمين إلى الأوس، وقاتل حلفاء الأوس من اليهود أبناء عمومتهم حلفاء الخزرج، وقد بين القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ﴾(١)

وإذاً فقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا ﴾ عقب قوله تعالى:

---

(١) البقرة : ٨٥ .

﴿ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ ينطبق على أدوار الفساد الكبيرة التي قاموا بها قبل الإسلام، أيام أن طغوا وبغوا وعلوا علوّا كبيرا في الأرض.

٥ـ ما أصابهم من عقوبات في عهد النبي ﷺ وفي عهد أصحابه، جزاء غدرهم ـ كما أسلفنا ـ شيء هين بالنسبة لما أصابهم من عقوبات قبل ذلك، على أيدى البابليين والرومان وغيرهم، لأن ما أصابهم في العهد النبوى كان عدلا، وكان يختلف من موقف إلى آخر، وكان في الوقت ذاته ينصب على الجزء الذى يسكن الجزيرة العربية من اليهود، بينما العقوبات التي نزلت بهم قبل ذلك، على أيدى البابليين والرومان ـ مثلا ـ كانت لجميع اليهود الذين كانوا متجمعين في منطقة واحدة، هي أرض الشام.

ثم إن العقوبات التي أنزلها المسلمون بهم في صدر الإسلام، كانت في أوقات متفرقة، وكانت على قدر إساءة المسيء منهم..

ومن هذا نرى أن ما قام به اليهود من إفساد في المرة الأولى ينطبق على الدور الذى قاموا به قبل الإسلام، وأن العباد الذين سلطهم الله عليهم

عليهم لإذلالهم بسبب فسادهم وإفسادهم كانوا أيضا قبل الإسلام.

رابعا : جزم بأن المعاقبين لليهود في المرة الأولى لا تنطبق أوصافهم إلى على أصحاب رسول الله ﷺ، فهم الذين يستحقون شرف هذه النسبة.. وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار، أما أتباع بختنصر فقد ذكروا أنه قتل على دم زكريا وحده سبعين ألفا .. فهو اجتياح وليس جوسا..

ونحن نخالفه في ذلك لأمور، أهمها:

أ ـ أن الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم عباد لله تعالى، والذين سلطهم الله على بني إسرائيل لإذلالهم بعد إفسادهم الأول هم عباد له مع كفرهم.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى :

﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (١)

(١) الزمر : ١٦ .

ففى هذه الآية نسب الله تعالى العباد إلى نفسه. بصيغة العموم التى تشمل مؤمنهم وكافرهم، وهناك آيات أخرى نسب الله فيها العباد جميعا إلى ذاته، سواء أكانوا مؤمنين أم كافرين[1].

ب ـ يقول: وهم الذين لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار.. ولم يبين لنا معنى الجوس عنده. إلا أن الذى يفهم من كلامه أن الجوس ـ فى رأيه ـ معناه التردد بين الدور والمساكن بدون قتال يذكر.

وهذا التفسير للجوس ـ فى رأينا ـ يأباه سياق الآيات، ومخالف للمشهور عن أئمة التفسير واللغة..

أما أنه يأباه سياق الآيات، فلأن الآية تذكر أن فسادا كبيرا، وطغيانا عظيما يقع على بنى إسرائيل فى المرة الأولى من مرتى إفسادهم، وأنهم بعد ذلك يؤدبون على إفسادهم، بأن يبعث الله عليهم عبادا له أقوياء، وقد بين الله تعالى مهمة هؤلاء العباد فقال: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ أى فترددوا بين مساكنكم يا بنى إسرائيل، لقتلكم ولسلب أموالكم ولتخريب دياركم. وهذا ينطبق على ما نزل باليهود من عقوبات عامة مدمرة قبل الإسلام، على يد البابليين والرومان وغيرهم، ولا ينطبق على العقوبات التى أنزلها المسلمون بهم فى العهدالنبوى، لأنها كانت عقوبات تتسم بالعدالة ـ كما عرفنا ـ إذ لم تتناول إلا من يستحقها منهم.

وأما أنه مخالف للمشهور عن أئمة التفسير واللغة فى معنى الجوس فإليك الدليل:

١ ـ قال ابن جرير: وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول:

معنى جاسوا: قتلوا، ويستشهد لقوله ذلك ببيت حسان:

ومنّا الذى لاقَى بسيف محمـد فجاس به الأعداءَ عُرض العساكـر

قال: وجائز أن يكون معناه: فجاسوا خلال الديار، فقتلوهم ذاهبين وجائين [2].

قال القرطبى: فجمع بين قول أهل اللغة [3].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (عبد).

(٢) تفسير الطبرى: ١٥: ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) تفسير القرطبى: ١٠: ٢١٦.

٢ـ وقال صاحب الكشاف: وأسند الجوس ـ وهو التردد خلال الديار بالفساد ـ إليهم، فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم [١].

٣ـ وقال البيضاوى [٢] : **(فجاسوا)** ترددوا لطلبكم.. (**خلال الديار**) وسطها للقتل والغارة، فقتلوا كبارهم، وسبوا صغارهم، وحرقوا التوراة، وخربوا المسجد.

٤ـ وقال ابن منظور:الجوْس: مصدر جاس جوسا وجوَسانا: تردد، وفى التنزيل العزيز: «**فجاسوا خلال الديار**» أى ترددوا بينهما للغارة ، وهو الجوَسان ، وقال الفراء : قتلوكم بين بيوتكم .. وقال الزجاج : « فجاسوا خلال الديار» أى فطافوا فى خلال الديار ينظرون، هل بقى أحد لم يقتلوه؟ [٣].

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن الجوْس معناه هنا التردد بين الديار للقتل والإفساد..

ثم على فرض التسليم برأيه فى معنى الجوْس لنا أن نسأل: هل المسلمون لم يكلفهم تأديب اليهود إلا أن جاسوا خلال الديار؟

الذى يبدو أن المسلمين كلفهم تأديب اليهود أكثر من ذلك، لأنهم بالنسبة لبنى قينقاع حاصروهم بضعة عشر يوما، وأجلوهم عن المدينة ـ كما أسلفنا ـ بعد مفاوضات ومجادلات .. وبالنسبة لبنى النضير حاصرهم المسلمون ـ كذلك ـ حتى اضطروا إلى الجلاء عن المدينة .. وبالنسبة لبنى قريظة حاصرهم المسلمون ـ أيضا ـ ثم قتلوا المقاتلين .. وبالنسبة ليهود خيبر دارت معارك ضارية ـ كما عرفنا ـ انتهت بالقضاء على اليهود عسكريا.. فتأديب اليهود قد كلف المسلمين أكثر من جوس الديار، بالمعنى الذى يراه.

جـ ـ قوله تعالى:

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾

يفيد أن المسجد يؤخذ من أيدى اليهود عنوة، ومن يأخذه يخربه ويهدمه، وهذه الأوصاف والأعمال تنطبق على البابليين والرومان وغيرهم، لأنهم عندما دخلوا أورشليم قبل الإسلام دمروها وهدموا هيكلها.

---

(١) تفسير الكشاف: ٢: ٣٥٢ . (٢) تفسير البيضاوى : ٣٧١ .

(٣) لسان العرب : (جوس)، وانظر : تاج العروس ، والمعجم الوسيط.

أما المسلمون فإنهم عندما فتحوا فلسطين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٥ هـ ـ ٦٣٦ م لم يكن لليهود أثر فيها، ولم يأخذوا المسجد الأقصى منهم، وإنما أخذوه من النصارى، وهم الرومان يومئذ، الذين كانوا قد استولوا على بلاد الشام مئات السنين، ثم بعد أن دخلوه أزالوا معالم الوثنية والشرك، وطهروه للعابدين، ولم يحصل من المسلمين تخريب أو تدمير لمسجد أو غيره من بلاد الله كما يفيده قوله تعالى:

﴿ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾

وإذاً فالعباد الذين سلطهم الله على بنى إسرائيل بعد إفسادهم الأول فى الأرض، تنطق أوصافهم وأعمالهم وعقوباتهم المدمرة لبنى إسرائيل على العباد الذين أذلوهم قبل الإسلام، كالبابليين والرومان، ولا تنطبق على أصحاب رسول الله ﷺ كما قال.

خامسا: تحدث تحت عنوان رد الكرة فقال: قال تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾

ردت ليهود الكرة علينا بعد ألف وثلاثمائة ونيف وسبعين من تأديب الله لهم، منذ بعث عليهم عباده المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ فجاسوا خلال الديار..إلخ

ونحن لا نوافقه لأمور، منها:

أ ـ أن قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾

يفيد أنه حسنت حالهم، وتركوا ما هم عليه من فساد وإفساد، حتى رد الله لهم الكرة على عدوهم، وتلك سنة الله فى خلقه، ينصر من تاب إليه وأناب، وهذا المعنى الذى تفيده الآية لا يمكن أن يوصف به اليهود فى عصرنا، إذ هم ما زالوا على فسادهم وإفسادهم وكفرهم وطغيانهم، ولكن يمكن أن توصف به القلة المؤمنة التى أطاعت طالوت وقاتلت معه ـ كما أسلفنا ـ وأيدت داود عليه السلام وناصرته، وقالت عندما برزت لجالوت وجنوده:

﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

وإذا فقوله تعالى :

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾

أكثر ما يكون انطباقا على بنى إسرائيل الذين قاتلوا مع طالوت بعزيمة صادقة، وإيمان راسخ، وصبر جميل، ولهذا نصرهم الله على أعدائهم .

ب ـ ما قاله من أن اليهود ردت الكرة علينا، وأُمدوا بثلاث، ما أُمدوا فى تاريخهم بمثلها: بأموال تتدفق عليهم من أقطار الأرض.. وبنين مهاجرين ومقاتلين.. وكثرة الناصر لهم والنافر لنجدتهم.. الخ ينطبق على حالهم فى عهد داود عليه السلام ـ كما أسلفنا ـ لأنهم فى ذلك العهد أمدهم الله بالأموال الكثيرة، والبنين الوفيرة، وصاروا أكثر عددا من أعدائهم، ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا: إن عهد حكم داود وسليمان عليهما السلام لبنى إسرائيل هو العهد الذهبى الوحيد لهم طوال تاريخهم، أما ما جاء بعد ذلك من تاريخ بنى إسرائيل إلى وقتنا الحاضر، فما هو إلا سلسلة من المآسى والنكبات ـ كما عرفنا وكما سيجىء ـ وسيستمر احتقار العالم لهم، وكرهه إياهم، وانتقامه منهم إلى يوم القيامة، وإن بدا فى عصرنا هذا أنه متعاطف معهم ومساند لباطلهم، وذلك بسبب أنانيتهم وسعيهم فى الأرض فسادا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (١)

هذا، وإن اليهود مهما أُمدوا وأُعينوا من دول الكفر الكبرى فهم ليسوا أكثر أبناء ولا نفيرا منا نحن المسلمين، وليسوا أيضا أكثر أموالا منا إذا وازنا بين ما نملكه من ثروات فوق الأرض وتحتها، ومن قدرة على العمل الذى يجلب المال بحكم كثرة العدد، لو أحسنا التصرف فيما نملك.

وعندما يطبق المسلمون تعاليم إسلامهم تطبيقا كاملا، ويؤدون رسالتهم فى الحياة كما أمرهم الله، ويحسنون الشعور بالمسئولية، ويراقبون الله فى كل تصرفاتهم.. عندما يكونون كذلك يفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض..

سادسا: يقول: وقد قرر سبحانه أنه سيجمعهم ألفافا لنبيدهم، فقال:

---

(١) الأعراف : ١٦٧ .

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾

ويبدو بوضوح أنه يفسر (**الآخرة**) هنا بمعنى المرة الآخرة من مرتى إفسادهم.. وهو مخالف لأقوال المفسرين.

قال ابن جرير(١) : فإذا جاءت الساعة، وهى وعد الآخرة، جئنا بكم لفيفا، يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفا: أى مختلطين، قد التف بعضكم ببعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحيّه.

وقال القرطبى(٢): ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ أى القيامة ﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾ أى من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر، لا يتعارفون.

وقال صاحب الكشاف (٣): ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ يعنى قيام الساعة ﴿ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا ﴾ جميعا مختلطين إياكم وإياهم، ثم يحكم بينكم، ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم.

وقال القاسمى: أى قيام الساعة (٤)..

سابعا: يقول فى صدر مقاله : وأبادر فأطمئن الذين يهولهم هذا التخريج فيرونه مخالفا للمأثور والمعروف من أقوال المفسرين إلى أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شىء، وإلى أن المأثور عن بعض الصحابة مضطرب لا تقوم به حجة، وإلى أن الأمر لا يعدو أن يكون تاريخا أو تأويلا، لا يقاول فى مخالفته إنه تحريف للكلم عن مواضعه

وهذا القول نرد عليه ــ أولا ــ بأنه خروج عن ظاهر القرآن، بل عن صريحه الذى لا يمكن للمتأمل أن يفهم غيره، وهو أن المراد من الكتاب فى قوله تعالى ﴿ وَقَضَيۡنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ هو التوراة، لا القرآن الكريم.. وهذا ــ كما سبق ــ هو قول جمهور المفسرين.

والخروج عن النصوص الصريحة يعتبر مجافاة للحق، ولا ينبغى للمسلم أن يتجاوز مدلول الألفاظ القرآنية ويخرج عما تقتضيه معانيها.

---

(١) تفسير الطبرى : ١٥ : ١٧٦ ــ ١٧٧.
(٢) تفسير القرطبى : ١٠ : ٣٣٨.
(٣) تفسير الكشاف : ٢: ٣٧٧.
(٤) تفسير القاسمى : ١٠ : ٤٠٠٨.

ونرد عليه ــ ثانيا ــ بأن ذلك لا يساعد عليه التاريخ الصحيح ـ كما أسلفنا ــ فإذا ضممنا إلى ذلك أن الآيات تفيد أن رد الكرة لليهود يكون نتيجة صلاح فى الدين، وإحسان فى العمل، وتوبة من الآثام.. كان استيلاء اليهود اليوم على فلسطين نتيجة لذلك .. وهذا كله يناقض الواقع الذى نلمسه بأيدينا، من حيث فسادهم وإفسادهم واعتداؤهم وطغيانهم .. وعلينا أن نجتمع على العقيدة ونمكن لدين الله فى الحياة .. حتى ينصرنا الله..

ويومئذ يفرح المؤمنين بنصر الله..

* * *



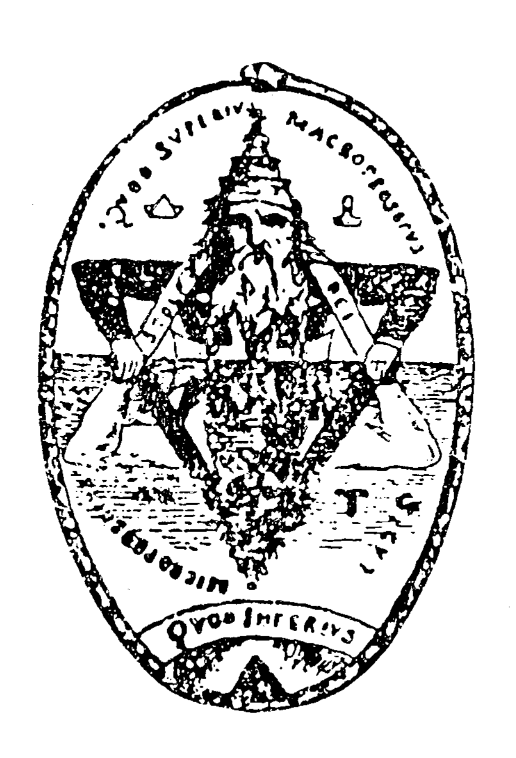
الفصل الثانى

بروتوكولات حكماء صهيون

تاريخ البروتوكولات ـ مؤامرة شريرة ضد البشرية ـ معنى البروتوكولات ـ أخطر كتاب ظهر فى العالم ـ قرارات المؤتمر الصهيونى الأول واختلاس البروتوكولات ـ ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك ـ استمرار المعارك ـ الاغتيال ـ تقدير العقاد ـ تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية ـ كيف ظهرت البروتوكولات للعالم ـ البروتوكول الأول ـ البروتوكول الثانى ـ البروتوكول الثالث ـ البروتوكول الرابع ـ البروتوكول الخامس ـ البروتوكول السادس ـ البروتوكول السابع ـ البروتوكول الثامن ـ البروتوكول التاسع ـ البروتوكول العاشر ـ البروتوكول الحادى عشر ـ البروتوكول الثانى عشر ـ البروتوكول الثالث عشر ـ البروتوكول الرابع عشر ـ البروتوكول الخامس عشر ـ البروتوكول السادس عشر ـ البرتوكول السابع عشر ـ البروتوكول الثامن عشر ـ البروتوكول التاسع عشر ـ البروتوكول العشرون ـ البروتوكول الحادى والعشرون ـ البروتوكول الثانى والعشرون ـ البروتوكول الثالث والعشرون ـ البروتوكول الرابع والعشرون ـ تعقيب الأستاذ سرجى نيلوس ـ قول ماركس اليهودى.

«نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه. ومحركي الفتن فيه وجلاديه».

(الدكتور أوسكار ليفي)



الشعار اليهودي- البلشفي محوطاً بالأفعى الرمزية. انظر تصدير البريطان، والبروتوكول ٣، وتعقيب الأستاذ نيلوس.

تاريخ البروتوكولات :

يقول الدكتور أحمد شلبى[1] تدل الظواهر على وجود علاقة زمنية بين البروتوكولات وبين نهاية القرن التاسع عشر، وعلى وجود ارتباط بين هذه البروتوكولات وبين مؤتمر « بال » الذى عقد سنة ١٨٩٧م [2].

مؤامرة شريرة ضد البشرية:

وهذه البروتوكولات عبارة عن مؤامرة شريرة ضد البشرية، ويبدو أنها كانت رد فعل لما عاناه اليهود خلال القرن التاسع عشر من اضطهاد فى أوربا، وما نزل بهم من جور وتعسف، فتدارسوا فى هذا المؤتمر ـ ضمن ما تدارسوه ـ وسائل الانتقام من البشرية جميعا التى اعتقد اليهود أنها اشتركت كلها بطريق أو بآخر فى إذلالهم والنيل منهم.

معنى البروتوكولات:

وبروتوكولات معناها: محاضر جلسات، ويسميها بعض الباحثين « قرارات » وتلتقى التسميتان إذا لاحظنا نصوص البروتوكولات، وأنها عبارة عن تقرير وضعه بعض الباحثين ـ وأن هذا التقرير عرض على المؤتمرين فى « بال » بسويسرا، وأن المؤتمرين أقروه، فالبروتوكولات تقرير بالنسبة لواضعيها، ومحاضر بالنسبة لعرضها على المؤتمرين فى جلساتهم، وقرارات بالنسبة لقبولها وتأييدها.

أخطر كتاب ظهر فى العالم:

والكتاب الذى ضم أول ترجمة عربية أمينة كاملة لتلك البروتوكولات ، أخطر كتاب ظهر فى العالم ـ كما يقول المرحوم الأستاذ محمد خليفة التونسى[3] ـ ولا يستطيع أن

---

(١) مقارنةالأديان : اليهودية : ٢٥٦ بتصرف.

(٢) يرى بعض الباحثين أن هذه البروتوكولات كانت القرارات السرية لمؤتمر بال ، أما القرارات العلنية فهى التى أعلنت عن ضرورة قيام دولة لليهود فى فلسطين.

(٣) الخطر اليهودى : بروتوكولات حكماء صهيون: ٢٩ وما بعدها بتصرف.

يقدره حق قدره إلا من يدرس البروتوكولات كلها كلمة كلمة فى أناة وتبصر، ويربط بين أجزاء الخطة التى رسمتها، على شرط أن يكون بعيد النظر، فقيها بتيارات التاريخ وسنن الاجتماع، وأن يكون ملما بحوادث التاريخ اليهودى والعالمى بعامة، لا سيما الحوادث الحاضرة وأصابع اليهود من ورائها، ثم يكون خبيرا بمعرفة الاتجاهات التاريخية والطبائع البشرية، وعندئذ وحسب ستتكشف له مؤامرة يهودية جهنمية، تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله، لإخضاعه كله لمصلحة اليهود، ولسيطرتهم دون سائر البشر!

ولو توهمنا أن مجمعا من أعتى الأبالسة الأشرار قد انعقد ليتبارى أفراده أو طوائفه منفردين أو متعاونين فى ابتكار أجرم خطة لتدمير العالم واستعباده، إذن لما تفتق عقل أشد هؤلاء الأبالسة إجراما وخسة وعنفا عن مؤامرة شر من هذه المؤامرة التى تمخض عنها المؤتمر الأول لحكماء صهيون سنة ١٨٩٧م، وفيه درس المؤتمرون خطة إجرامية لتمكين اليهود من السيطرة على العالم، وهذه البروتوكولات توضح أطرافا من هذه الخطة!

إن هذا الكتاب لينضح بل يفيض بالحقد والاحتكار والنقمة على العالم أجمع العالم أجمع ويكشف عن فطنة حكماء صهيون إلى ما يمكن أن تنطوى عليه النفس البشرية من خسة وقسوة ولؤم، كما يكشف عن معرفتهم الواسعة بالطرق التى يستطاع بها استغلال نزعاتها الشريرة العارمة، لمصلحة اليهود وتمكينهم من السيطرة على البشر جميعا، بل يكشف عن الوسائل الناجحة التى أعدها اليهود للوصول إلى هذه الغاية!

هذا الكتاب يوقف أمامنا النفس البشرية على مسرح الحياة اليومية الأرضية مفضوحة كل معايبها، عارية من كل ملابسها التى نسجتها الإنسانية فى تطورها من الوحشية إلى المدنية، لتستر بها عوراتها، وتلطف بها من حدة نزعاتها، وتتسامى بها إلى أفق مهذب!

إن هذه الملابس أو الضوابط كالشرائع والقوانين والعادات الكريمة قد استطاعت خلال تطورات التاريخ أن تخفى كثيرا من ميول النفس السيئة، وتعطل كثيرا منها ومن آثارها، ولكن حكماء صهيون هنا قد هتكوا كل هذه الملابس، وأنكروا كل هذه الضوابط، وفضحوا أمامنا الطبيعة البشرية، حتى ليحس الإنسان ـ وهو يتأملها فى هذا الكتاب ـ بالغثيان، والاشمئزاز والدوار، ويود لو يغمض عينيه، أو يلوى وجهه، أو يفر بنفسه هربا من النظر إلى بشاعتها، وبينما هم يبرزون الجوانب الشريرة فى الطبيعة البشرية يخبئون النواحى الخيرة منها، أو يهملونها من حسابهم. فيخطئون. وهنا تظهر مواضع الضعف فى نظرياتهم وما يرتبون عليها من خطط..!

وهم لا يخطئون غالبا إلا مغرضين، وذلك عندما تعميهم اللهفة والحرص على تحقيق أهدافهم قبل الأوان، أو يفيض فى نفوسهم الحقد العريق الذى يمد لهم مدا فى اليأس من كل خير فى الضمير البشرى، فيتساهلون مضطرين فى اختيار الأسس والوسائل القوية لهذه الغايات، وندر ما نظروا إلى شىء إلا وعيونهم مكحولة بل مغشاة بالأهواء الجامحة، ولذلك قلما تسلم لهم خطة تامة إلى أمد بعيد!

قرارات المؤتمر الصهيونى الأول واختلاس البروتوكولات:

عقد زعماء اليهود ثلاثة وعشرين مؤتمرا منذ سنة ١٨٩٧م حتى سنة ١٩٥١م وكان آخرها هو المؤتمر الذى انعقد فى القدس لأول مرة فى أغسطس من هذه السنة، ليبحث فى الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها، كما ذكرت جريدة الزمان فى ٢٨/٧/١٩٥١م وكان الغرض من هذه المؤتمرات جميعا دراسة الخطط التى تؤدى إلى تأسيس مملكة صهيون العالمية.

أما أول مؤتمراتهم فكان فى مدينة بال بسويسرا سنة ١٨٩٧م برياسة زعيمهم «هرتزل» وقد اجتمع فيهّ نحو ثلثمائة من أعتى حكماء صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية، وقد قرروا فى المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وكان قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان والتحفظ إلا عن أصحابها بين الناس، أما غيرهم فمحجوبون عنها، ولو كانوا من أكابر زعماء اليهود، فضلا عن فضح أسرارها سرا، وإن كان فيما ظهر منها ما يكشف بقوة ووضوح عما لا يزال خافيا!

فقد استطاعت سيدة فرنسية أثناء اجتماعها بزعيم من أكابر رؤسائهم فى وكر من أوكارهم الماسونية السرية فى فرنسا، أن تختلس بعض الوثائق ثم تفر بها، والوثائق المختلسة هى هذه البروتوكولات التى بين أيدينا.

وصلت هذه الوثائق إلى «أليكس نيقولا نيفتش» كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية فى عهد القيصرية، فقدر خطورتها ونياتها الشريرة ضد العالم، لا سيما بلاده روسيا، ثم رأى أن يضعها فى أيدى أمينة أقدر من يده على الانتفاع بها ونشرها، فدفعها إلى صديقه العالم الروسى الأستاذ «سرجى نيلوس» الذى لا شك أنه درسها دراسة دقيقة كافية، وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية يومئذ، فأدرك خطورتها أتم إدراك، واستطاع من

جراء هذه المقارنة أن يتنبأ بكثير من الأحداث الخطيرة التى وقعت بعد ذلك بسنوات كما قدرها، والتى كان لها دوى هائل فى جميع العالم، كما كان لها أثر فى توجيه تاريخه وتطوراته..!

منها نبوءته بتحطيم القيصرية فى روسيا، ونشر الشيوعية فيها، وحكمها حكما استبداديا غاشما، واتخاذها مركزا لنشر المؤتمرات والقلاقل فى العالم!

ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدى اليهود قبل تأسيس إسرائيل!

ومنها نبوءته بعودة اليهود إلى فلسطين،وقيام دولة إسرائيل فيها!

ومنها نبوءته بسقوط الملكيات فى أوربا، وقد زالت الملكيات فعلافى ألمانيا والنمسا ورومانيا وأسبانيا وإيطاليا!

ومنها إثارة حروب عالمية لأول مرة فى التاريخ، يخسر فيها الغالب والمغلوب معا، ولا يظفر بمغانمها إلا اليهود. وقد نشبت منها حربان واليهود يهيئون الأحوال الآن لنشوب الثالثة، فنفوذ اليهود فى أمريكا لا يعادله نفوذ أقلية، ثم إنهم أهل سلطان فى روسيا، وهاتان الدولتان أعظم قوتين عالميتين، واليهود يجرونهما إلى الحرب لتحطيمهما معا،وإذا تحطمتا ازداد طمع اليهود فى حكم العالم كله حكما مكشوفا بدل حكمهم إياه حكما مقنعا!

ومن نبوءته أيضا نشر الفتن والقلاقل والأزمات الاقتصادية دوليا، وبنيان الاقتصاد على أساس الذهب الذى يحتكره اليهود!

وغير ذلك من النبوءات كثير!

يقول الأستاذ التونسى: وأنا لا أتقول على الأستاذ «نيلوس» فى كل ذلك لأضيف إليه فصلا ليس له، لأنه كله مدون تفصيلا فى المقدمة والتعقيب اللذين كتبهما هو للبروتوكولات، وهما مترجمتان فى طبعتنا هذه ـ التى نقدمها فى هذا الكتاب ـ وجميع ذلك يدل على إحاطة الرجل خبرا بحوادث زمانه، وحسن دراسته للبروتوكولات، وبعد نظره السياسى، وفقهه بالاجتماع.

ذعر اليهود لنشر البروتوكولات وأثر ذلك:

وقع الكتاب فى يد «نيلوس» سنة ١٩٠١م، وطبع منه نسخا قليلة لأول مرة بالروسية

سنة ١٩٠٢ فافتضحت نيات اليهود الإجرامية، وجن جنونهم خوفا وفزعا ، ورأوا العالم يتنبه إلى خططهم الشريرة ضد راحته وسعادته، وعمت المذابح ضدهم فى روسيا.. واشتد هلعهم لذلك كله، فقام زعيمهم الكبير الخطير «تيودور هرتزل» أبو الصهيونية، وموسى اليهود فى العصر الحديث يلطم ويصرخ لهذه الفضيحة، وأصدرعدة نشرات يعلن فيها أنه قد سرقت من« قدس الأقداس » بعض الوثائق السرية التى قصد إخفاؤها على غير أصحابها، ولو كانوا من أعاظم اليهود، وأن ذيوعها قبل الأوان يعرض اليهود فى العالم لنشر النكبات، وهب اليهود فى كل مكان يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم، لكنها مزيفة عليهم، ولكن العالم لم يصدق مزاعم اليهود للاتفاقات الواضحة بين خطة البروتوكولات والأحداث الجارية فى العالم يومئذ، وهذه الاتفاقات لا يمكن أن تحدث مصادفة لمصلحة اليهود وحدهم، وهى أدلة بينة أو قرائن أكيدة لا سبيل إلى إنكارها أو الشك فيها ، فانصرف الناس عن مزاعم اليهود ، وآمنوا إيمانا وثيقا أن البروتوكولات من عملهم، فانتشرت هى كما انتشرت تراجمها إلى مختلف اللهجات الروسية، وانتشرت معها المذابح والاضطهادات ضد اليهود فى كل أنحاء روسيا، حتى لقد قتل منهم فى إحدى المذابح عشرة آلاف، وحوصروا فى أحيائهم!

واستقتل اليهود فى الدفاع عن أنفسهم، وسمعتهم المهتوكة، وجدُّوا فى إخفاء فضيحتهم أو حصرها فى أضيق نطاق، فأقبلوا يشترون نسخ الكتاب من الأسواق بأى ثمن، ولكنهم عجزوا، واستعانوا بذهبهم ونسائهم وتهديداتهم ونفوذ هيئاتهم وزعمائهم فى سائر الأقطار الأوربية، لا سيما بريطانيا، لكى تضغط على روسيا دبلوماسيا، لإيقاف المذابح، ومصادرة نسخ الكتاب علنيا ، فتم لهم ذلك بعد جهود جبارة!

ولكن «نيلوس» أعاد نشر الكتاب مع مقدمة وتعقيب بقلمه سنه ١٩٠٥م، ونفدت هذه الطبعة بسرعة غريبة بوسائل خفية، لأن اليهود جمعوا نسخها من الأسواق بكل الوسائل وأحرقوها، ثم طبع فى سنة ١٩١١م فنفدت نسخة على هذا النحو، ولما طبع سنة ١٩١٧م صادره البلاشفة الشيوعيون الذين استطاعوا فى تلك السنة تدمير القيصرية، والقبض على أزمة الحكم فى روسيا، وكان معظمهم من اليهود الصرحاء أو المستورين أو من صنائعهم، ثم اختفت البروتوكولات من روسيا حتى الآن !

وكان قد وصلت نسخة من الطبعة الروسية سنة ١٩٠٥م إلى المتحف البريطانى British Mvseum فى لندن ختمت بخاتمة، وسجل عليها تاريخ تسليمها

(١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦م) وبقيت النسخة مهملة حتى حدث الانقلاب الشيوعى فى روسيا سنة ١٩١٧م، فوقع اختيار جريدة ال«مورننغ بوست» Morning post على مراسلها الأستاذ «فكتور مارسدن» ليوافيها بأخبار الانقلاب الشيوعى من روسيا، واطلع قبل سفره على عدة كتب روسية كانت من بينها البروتوكولات التى بالمتحف البريطانى، فقرأ النسخة وقدر خطرها، ورأى ـ وهو فى سنة ١٩١٧م ـ نبوءة ناشرها الروسى الأستاذ نيلوس بهذا الانقلاب سنة ١٩٠٥م، أى قبل وقوعه باثنتى عشرة سنة، فعكف المراسل فى المتحف على ترجمتها إلى الانجليزية ثم نشرها ـ وهو الذى أطلق عليها عنوان « الخطر اليهودى » إضافة إلى عنوانها الأول، وقدمه عليه فى طبعته، وكتبه بحروف أكبر ليزيده تنويها ـ وقد أعيد طبعها مرات بعد ذلك. وكانت الأخيرة والخامسة منها سنة ١٩٢١م (ومنها نسختنا) ثم لم يجرؤ ناشر فى بريطانيا ولا أمريكا على طبعها بعد ذلك كما يقول مؤرخ إجليزى معاصر، هو الأستاذ «دجلاس» فى كتابه على حركات سرية المعاصرة، ودون أن نطيل القول فى أسباب صمت الناشرين عنها ـ على ما وضحها الأستاذ «ريد» ـ نتبين أصابع اليهود من وراء كل صمت مريب!

وفى سنة ١٩١٩م ترجم الكتاب إلى الألمانية، ونشر فى برلين، ثم توقف طبعه بعد أن جمعت أكثر نسخه،وكان هذا مظهرا من مظاهر نفوذ اليهودية فى ألمانيا قبل انتصارها عليها بعد الحرب العالمية الأولى...!

ومن المتعذر أن نتتبع رحلة هذا الكتاب العجيب فى بلاد العالم بين الظهور والاختفاء..

استمرار المعارك:

واستمرت المعارك حول البروتوكولات تضعف أو تشتد فى بريطانيا.. وازدادت عنفا خلال الحرب العالمية الثانية وفى أدبارها، عندما حاول اليهود جهدهم تسخير بريطانيا لإقامة دولتهم « إسرائيل» وإجلاء العرب عن فلسطين وتخوم سيناء الشرقية فى مصر..!

وخلال ذلك كله كان ذوو الأقلام الجريئة بين الساسة والصحفيين والمفكرين والأدباء فى بريطانيا يبدأون ويعيدون فى حديث المؤامرة الصهيونية ضد بلادهم ودينهم..!

ومن دراسات هؤلاء الكتاب هناك مقالات صحفية نشر كثير منها فى الصحيفتين البريطانيتين «المونىغ بست» و«التايمز»، ومجلة «الرسالة» و«المقتطف» فى مصر نحو سنة

١٩٤٨م وأيضا فصول من كتب، من أدق ما نشر منها فصل طويل للمؤرخ الإنجليزى المعاصر «دجلاس ريد»، فى القسم الرابع من كتابه« من الدخان إلى الخنق».

كما ظهرت كتب خاصة، من أوفاها فى تحليل البروتوكولات ومقارنتها بأقوال زعماء اليهود والأحداث الجارية كتاب للمستر «جون كريج سكوت»، ظهر بالإنجليزية سنة١٩٥٤م أى بعد ظهور طبعتنا العربية بسنوات ـ وهى التى نقدمها فى هذا الكتاب ـ وقد ترجم كتابه إلى العربية فى مصر سنة ١٩٥٧م ونشرته دار النصر بعنوان « الحكومة السرية فى بريطانيا».

وقامت هذه كلها بتوضيح خطط البروتوكولات وأهدافها ووسائلها، معززة بالشواهد الكثيرة من الفتن العالمية، وتصريحات قادة اليهود فى القرنين الأخيرين..!

الاغتيـال:

وشاع أنه ما من أحد ترجم هذا الكتاب أو عمل على إذاعته بأى وسيلة إلا انتهت حياته بالاغتيال أو بالموت الطبيعى ظاهرا، ولكن فى ظروف تشكك فى وسيلته!

وأفزعت هذه الشائعة بعض الناس ومنعتهم ترجمته، ومن ذلك أن جريدة الأساس ـ إحدى الجرائد المصرية ـ تمكنت فى سنة ١٩٤٦م من الحصول بوسيلة صحفية على نشر للبروتوكولات، مكتوبة بالآلة الكاتبة لقاء ثمانين جنيها، ودفعت النسخة إلى أحد المترجمين فيها، وطلبت منه ترجمتها لقاء أجر إضافى كاف لإغرائه، فأحجم عن ترجمتها برهة، بعد أن بلغته تلك الشائعة..

وقد صرح الأستاذ التونسى بأن الذى طلبت منه الترجمة هو الأستاذ «أنيس منصور»، وقد أشار إلى ذلك فى الأخبار ٢٠/١٠/١٩٥٦م حيث قال ما نصه:

فى سنة ١٩٤٧م كنت محررا فى جريدة الأساس، وكلفتنى الجريدة بترجمة بروتوكولات حكماء صهيون، وهذه البروتوكولات من الكتب السرية عند اليهود، ولا تعطى إلا لليهود فقط، ولاتباع فى المكتبات،لأنها مجموعة من الخطط المنطقية الخبيثة جدا للاستيلاء على العالم كله، وبدأت أقرأ هذه البروتوكولات التى نقلها لى على الآلة الكاتبة صحفى ألمانى اسمه« هنرى كاستر» يحرر الآن صحيفة« درأرينت » الألمانية التى تصدر فى مصر، وفهمت فى ذلك الوقت أنه سرق كتاب البروتوكولات من مكتبة الحاخام!

وبدأت أقرأ الكتاب، وأجد كل الذين ترجموه فى انجلترا وفرنسا وأسبانيا وإيطاليا قد قتلوا جميعا، وأن الصحف التى نشرته قد نسفت، لأن اليهود حريصون على أن يظل سرا!

وترددت قليلا.. ثم كثيرا.. وسألت العقاد عن صحة هذا الكلام فأيده ضاحكا، ولم أفهم فى ذلك الوقت هل كان العقاد جادا أو ساخرا.

وقرأت كتابا للصحفى الألمانى « كونرا دمامبرن » عن «الزعيم هتلر » وجاء فى الفصل الأول من هذا الكتاب أن فيلسوفه « روزنبرغ » قد استفاد من هذا الكتاب وطبقه على يهود ألمانيا وأبادهم جميعا!

ووجدت للكتب معنى آخر.. وفكرت فى ترجمته، ولم أكد أبدأ فى كتابة المقدمة له حتى عرفت أن أديبا آخر هو « خليفة التونسى » قد فرغ من ترجمته.. وحمدت الله..

وذكر التونسى أن أنيس منصور لما علم أن الترجمة ستنشر تباعا فى «مجلة الرسالة» حذره كثيرا، ولما رأى إصراره لقبه« الشهيد الحى» وكرر نصيحته بالحذر.

ويقول: وأنا أشكر لصديقنا الأستاذ أنيس خالص نصحه وإشفاقه وصراحته.. ولا أنسى أن أشكر له أيضا جملته الأخيرة هنا « وحمدت الله » بكل معانيها الظاهرة والخفية، سواء منها الطيبة و..الطيبة أيضا.. وأقول ما قال شاعر قديم يناجى نفسه أمام خطر كهذا:

فإن تنج منها تنج من ذى عظيمة وإلا فإنى إخالك ناجيا

قلت: وقد جاءنى التحذير مرات، أثناء إذاعة هذه الدراسات من إذاعة القرآن الكريم صباحا، وإعادة إذاعتها من البرنامج العام مساء، من إذاعة الكويت، على مدى سبعة أشهر كاملة!

ولا أدرى ماذا يحدث بعد إعادة النظر فيها وطبعها وتداولها بين الناس، وأفوض أمرى إلى الله الذى استخلص لنفسه أنفسنا فلم يعد لنا منها شىء . ولم يعد لنا خيار فى إقدام أو إحجام.. وما علينا إلا أن نمضى فى الطريق إلى الله لانتلفت ولا نتخير، وإنها الحسنى على كل حال.. والشهادة فى سبيل الحق عليا الدرجات عند الله .. والمؤمن يستشعر ــ دائما ــ أنه أقوى من تهديد الطغاة البغاة العتاة، حين ينتصر الإيمان فيه على الحياة، ويدرك أن النفس

إلى موت ، وأن المال إلى فوت ، سواء أنفقهما فى سبيل الله أم فى سبيل سواه ! وهنا تفوح رائحة الجنة ، وتهب نفحات الإيمان ، ويدرك المؤمن أنه قضاء الله الغالب وقدره الذى لا يرد.

تقدير العقاد:

وفى مقدمة هذا الكتاب تقدير الأستاذ العقاد كما نشر فى جريدة الأساس فى ٢٣/١١/١٩٥١وفيه:

والترجمة العربية التى بين أيدينا اليوم منقولة من الطبعة الإنجليزية الخامسة، نقلها الأديب المطلع الأستاذ محمد خليفة التونسى، وحرص على ترجمتها بغير تصرف يخل بمبناها ومعناها، فأخرجها فى عبارة دقيقة واضحة، وأسلوب فصيح سليم..

ثم قال: أجمل الأستاذ المترجم ما اشتملت عليه فصول الكتاب من شرح الخطط المتفق عليها، وهى تتلخص فى تدبير الوسائل للقبض على زمام السياسة العالمية من وراء القبض على زمام الصيرفة، وفيها تفسير للمساعى التى انتهت بقبض الصيارفة الصهيونيين على زمام الدولار فى القارة الأمريكية ومن ورائها جميع الأقطار، وتفسير إلى جانب ذلك للمساعى الأخرى التى ترمى إلى السيطرة على المعسكر الآخر من الكتلة الشرقية، وانتهت بتسليم ذلك المعسكر إلى أيدى أناس من الصهيونيين أو الماديين الذين بنوا بزوجات صهيونيات يعملن فى ميادين السياسة والاجتماع.

وتتعدد وسائل الفتنة التى تمهد لقلب النظام العالمى وتهدده فى كيانه بإشاعة الفوضى والإباحة بين شعوبه، وتسليط المذاهب الفاسدة والدعوات المنكرة على عقول أبنائه،وتقويض كل دعامة من دعائم الدين أو الوطنية أو الخلق القويم!

ذلك هو فحوى الكتاب، وجملة مقاصده ومراميه..

وها نحن نقدم البروتوكولات وفق أول ترجمة عربية أمينة كاملة. بتصرف يسير للتعليقات، حيث اقتضت الضرورة حذف أرقام الصفحات المقيدة بالطبعة التى نقل منها، وحذف بعض الهوامش لإحالتها إلى أخرى، وتصويب بعض الأخطاء المطبعية، كما فى الهامش الثانى من البروتوكول الأول، حيث ورد (انظر البروتوكول ٣٠) والصواب (البروتوكول ٢٠).. وتعقيبنا على ما جاء فى الهامش قبل الأخير من التعليق على تقرير «نيلوس»!

تصدير الطبعة الخامسة للترجمة الإنجليزية

إن نفاد طبعة أخرى أيضاً من هذا الكتاب ليدل على أنه لم ينقص تلهف الناس على استقبال أخبار بروتوكولات صهيون PROTOCOLS OFZION ، وانه ليزداد وضوحاً فى كل يوم أن سياسة البروتوكولات الآن تطبق بعنف على الأميين، لأن حكوماتها كما يفاخر المستر إسرائيل زانجفيل Mr . Israel Zangwill مطوقة باليهود ووكلائهم. وأن العالم مدين للأستاذ سرجى نيلوس Milus Professor Sergyei بنشر هذا الكتاب المفزع. وهكذا بينما روسيا تتخذ ضحية لبغضاء اليهودية الخالدة، ويقع عليها اختيار حكماء صهيون لتكون عبرة الانتقام اليهودى - فإن روسيا كذلك تكشف مدى الخطر الذى أيقظ العالم. وإن العالم لمدين لشجاعة هذا الابن الحق لروسيا الحقيقية، ولعزمه ووفائه، بأن كشفت الآن اليد الخفية Hidden Hand حتى جلدها ومخالبها، وأن الفوضى والعماء Chaos [١] ، الذى يطبق على كل مكان هنا ليجد فى هذا الكتاب غايته وسببه واضحين.

على كل قارىء أن يدرس المقدمة والتعقيب اللذين قدمهما لنا نيلوس نفسه، ولا سيما التعقيب وصلته بالبروتوكول الثالث الذى يكشف خطوات الأفعى الرمزيةSympolic Serpent [٢] فى التفافها القاتل حول أوربا. وأن حسرة الكاتب البالغة على مصير بلاده

---

(١) وضع الدكتور أحمد أمين بك (كلمة العماء) مقابلة لكلمة « Chaos » حين ترجم عن الإنجليزية كتاب « مبادئ الفلسفة » للأستاذ رايوبرت وذكر هناك سبب اختياره اياها ، وقد تابعناه فى ذلك مع اختلاف استعمال الكلمة هنا عن استعمالها هناك من حيث الحقيقة والمجاز ، وهذا الاختلاف لا يمنع من متابعته ، لأن الكلمة معناها الفلسفى « المادة فى حالة الاختلال وعدم الانتظام » ومعناها المجازى هنا« الأحداث فى اختلالها وعدم انتظامها» فبين المعنيين الأصلى والمجازى تشابه واضح .

(١) ورد ذكر الأفعي الرمزية في البروتوكول الثالث .. كما ورد أيضا ذكرها والمراد منها بالتفصيل في التعقيب الذي كتبه الأستاذ نيلوس أول ناشر الكتاب (انظر فى آخر الكتاب) وحسبنا هنا أن نذكر باختصار أن الأفعي رمز الأمة اليهودية، فرأسها يرمز إلى المتفقهين في أسرار السياسة من حكماء اليهود، وبدنها يرمز إلى بقية الشعب اليهودي من الرعاع، وهي اليوم شعار البلاشفة في روسيا السوفيتية .. وهم يكادون يكونون جميعا من اليهود، فالحكومة الروسية حكومة يهودية تقريباً وسياستها لا تختلف كثيراً عن سياسة البروتوكولات، فهي ولا ريب من تأليف اليهود وإخراجهم كما يظهر لكل متأمل. وينبغى ألا تفوتنا الإشارة هنا في اتخاذ اليهود الأفعى شعاراً لهم أنهم نقلوه عن المصريين القدماء، لأن الأفعى المقدسة فى نظر الفراعنة رمز الحكمة والقوة والدهاء وكانوا يجسمونها =

المحبوبة (روسيا) الذى كان يوشك أن يحل بها، والذى حاول هو سدى أن يتفاداه ـ لا يمكن أن تخيب فى أن تزلزل عواطف كل قارئ يشعر شعوره، وفى تنفذ إلى أعماق فؤاده.

ويجب وجوباً أن نستحضر فى عقولنا أن الأستاذ نيلوس قد نشر البروتوكولات أولاً فى سنة ١٩٠٢ وأن الطبعة التى أخذت ترجمتنا عنها قد نشرت سنة ١٩٠٥، وأن النسخة ذاتها التى اتخذناها فى الترجمة هى الآن فى المتحف البريطانى مختوماً عليها تاريخ تسليمها وهو ١٠ أغسطس سنة ١٩٠٦، أنه لا يمكن تفنيد هذه التواريخ التى تبرهن على أن الحرب العالمية، وصلب روسيا، والإضرابات، والثورات، والاغتيالات ـ قد حدثت جميعاً « وفق خطة» . كما تبرهن على أن تلك الخطة لم تكن خطة ألمانيا ولا خطة إنجلترا ولا أى أمـة أخـرى إلا أمة اليهودية بلغتها السرية ـ اليد الخفية The hidden Hand ـ التى كشف عنها الآن بعد أمد طويل فى البروتوكولات التى لا حاجة بنا إلى القول بأنها لم يقصد منها أن تراها عيون الأمميين (غير اليهود).

ويزعم اليهـود ، ضـرورة أن البروتـوكولات زور ، ولكـن الحـرب العظمى[١] ليست زوراً، ولا مصير روسيا زوراً، وبهذين الأمرين تنبأ حكماء صهيون منذ أمد طويل يرجع إلى سنة ١٩٠١م.

إن الحرب العظمى لم تكن حربا ألمانية بل إنها مكيدة دبرتها اليهودية، وقتال بسبب اليهود على تبادل ذخائر العالم، لقد كان اليهود هم الذين سخروا كل قواد الجيش وكل قواد الأساطيل، وأن بيانات معركة جتلاند gutland Battle ونتيجتها ـ لتقدم مثلاً واحدا صغيرا يبين كيف قاد اليهود الحرب سواء في البر أو البحر، وكيف حازوا «مغانم» الحرب لليهود، وكيف أنهم حصلوا على سلطة القيادة والتوجيه على كل المتحاربين من أجل اليهود.

= على تيجانهم كما يظهر من آثارهم، وليست الأفعى وحدها كل ما نقل اليهود عن المصريين الأقدمين وغيرهم، إذ لا شيء فى عقائدهم ونظمهم قد ابتدعوه بل هم ينقلون ما ينقلون ويهودونه حتى يناسب عصرهم الشرير، وهم حتى اليوم عالة على غيرهم من الأمم فى كل مناشط الحياة ومظاهر الحضارة، يأخذون ولا يعطون كما يتضح من تاريخهم وعدم مشاركتهم في ابتداع شيء من صور الحضارة منذ أقدم العصور.

(١) أي الحرب العالمية الأولي، والمعني أن حدوث هذه النكبات فعلا كما حددت البروتوكولات لا يمكن أن يكون بالمصادفة بل بتدبير اليهود، وفيه أدلة على أن البروتوكولات من عمل اليهود، ليست مزيفة عليهم..

أيها القارئ: إن نشر هذا الكتاب ليلقى عليكِ مسئولية كبيرة.

«لندن» أغسطس سنة ١٩٢١. البريطان

كيف ظهرت البروتوكولات للعالم[1].

لقد تسلمت من صديق [2] شخصى ـ هو الآن ميت ـ مخطوطاً يصف بدقة ووضوح عجيبين خطة وتطوراً لمؤامرة عالمية مشئومة، موضوعها الذى تشمله هو جر العالم الحائر إلى التفكك والانحلال المحتوم.

هذه الوثيقة وقعت في حوزتي منذ أربع سنوات (١٩٠١)، وهى بالتأكيد القطعى صورة حقة فى النقل من وثائق أصلية سرقتها سيدة فرنسية من أحد الأكابر ذوى النفوذ والرياسة السامية من زعماء الماسونية الحرة Freomasoary [*] وقد تمت السرقة في نهاية اجتماع سرى بهذا الرئيس فى فرنسا حيث وكر «المؤتمر الماسونى اليهودى jewish malsonieconspiracy ».

وللذين يريدون أن يروا ويسمعوا، أخاطر [3] بنشر هذا المخطوط تحت عنوان «بروتوكولات حكماء صهيون» وبالتفرس المبدئي خلال هذه المذكرات ـ قد تشعرنا بما نشعر به أمام ما نسميه عادة « الحقائق المسلمة truisms ». إنها تظهرْ فى هيئة الحقائق المألوفة كثيراً أو قليلاً، وإن عبر عنها بحدة وبغضاء لا تصاحبان عادة الحقائق المألوفة، فبين سطورها تتأجج بغضاء دينية، وعنصرية عميقة الغور متغطرسة قد خبئت بنجاح أمداً طويلاً، وإنها لتجيش وتفيض، كما هو واقع، من أناة طافح بالغضب والنقمة، مدرك تمام الإدراك أن نصره النهائى قريب.

ونحن لا نستطيع أن نغفل الإشارة إلى أن عنوانها لا ينطبق تماماً على محتوياتها، فهي ليست على وجه التحديد مضابط جلسات بل هى تقرير وضعه شخص ذو نفوذ، وقسمه أقساماً ليست مطردة اطراداً منطقياً على الدوام. وهي تحملنا على الاحساس بأنها جزء من

---

(١) كاتب هذه المقدمة هو الأستاذ سرجي نيلوس أول ناشر للبروتوكولات بالروسية، وهذا ما يفهم من تصدير الطبعة الخامسة الإنجليزية الذي سبق هنا، وإن لم تذيل المقدمة باسمه ولم تصدر منسوبة إليه صراحة.

(٢) هو إليكسي نيقولا نيفتش، كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية أيام القيصرية.

(*) الماسونية الحرة الشرقية (عن الأصل الإنجليزى).

(٣) هكذا يقول الناشر الروسي، وليس في هذا التعبير غلو ولاشطط وحسب القارئ أن يتصور مقدار ما تفضح البروتوكولات من أسرار سياسة اليهود، وسعة نفوذهم في العالم، وعدم إحجامهم عن ارتكاب أي جريمة فردية أو جماعية عن طريق وكلائهم الأشرار الفاسدين..

عمل أخطر وأهم، بدايته مفقودة. وأن كان أصل كل هذه الوثائق السالف ذكرها يعبر هنا عن نفسه بوضوح.

ووفق تنبؤات الآباء القديسين Holy Fathers لابد أن تكون دائما أعمال أعداء المسيح محاكاة [١] لحياة المسيح، ولابد أن يكون لهم خائنهم [٢] غير أن خائنهم،من وجهة نظر دنيوية، لن يظفر بغاياته طبعاً، وإذن فمن المؤكد أن ينتصر « الحاكم العالمى » انتصاراً كاملاً، لكن لفترة وجيزة. وهذه الإشارة إلى كلمات وسولوفيف W. Soloviev لا يقصد بها أن تتخذ برهاناً على سندهم authority العلمى، فالعلم من وجهة النظر الأخروية eschatological لا مكان له، والجانب المهم هو القضاء والقدر. أن سولوفيف يعطينا النسيج CAUVAS والمخطوط المعروض أمامنا سيقوم بالتطريز embroidery [٣].

وقد نكون ملومين حقاً علي التشكك في طبيعة هذه الوثيقة، غير أنه لو أمكن البرهان على هذه المؤامرة العالمية الواسعة بخطابات أو تصريحات من شهود عيان، وأمكن أن يكشف قناع زعمائها وهم ممسكون بخيوطها الدموية ـ إذن لكشفنا بهذه الواقعة الحقة «أسرار الظلم» ولكن لكي تحقق المؤامرة نفسها يجب أن تبقى سراً حتى يوم تجسدها فى « ابن الفناء » [٤].

---

(١) يظهر أن الأستاذ نيلوس يشير بذلك إلى ما ورد في العهد الجديد عن المسحاء (جمع مسيح) الكاذبين الذين لهم مثل سيرة المسيح الظاهرة لا الباطنة ويزعمون أنهم مسحاء من عند الله، وقد حذر السيد المسيح عيسى أتباعه منهم (انظر مثلا إنجيل متى : الإصحاح ٢٤ الآيات ٢٣ ـ ٢٧).

(٢)في الأصل Judas وهى تستعمل بمعنى خائن، ولكنها أصلاً علم على شخص هو يهوذا الاسخريوطى، وهو حواري المسيح، وقد جعل له كهنة اليهود ثلاثين من الفضة كي يسلم لهم المسيح، فخان معلمه وسلمه لهم (انظر قصته في إنجيل متى :الإصحاح ٢٦، وإنجيل مرقص: الإصحاح ١٤، وإنجيل لوقا: الإصحاح ٢٢، وإنجيل يوحنا: الإصحاح ١٨) ومن ذلك صار يهوذا صفة تطلق على كل خائن، ووصف الكريم عندنا (حاتم) وأصله حاتم الطائي، والطامع أشعب وأصله رجل من المدينة اشتهر بالطمع ، والمراد التشبيه.

(٣) المعنى أن كلمات سولوفيف (التى يحيل إليها نيلوس دون أن يعينها) تمد القارئ بفكرة عامة عن الموضوع، والبروتوكولات تمده بالتفصيلات.

(٤) يعتقد أكثر المسيحيين أن الأقنوم الثاني (الابن) اتخذ جسداً في أحشاء مريم بقوة الروح المقدس فصار إنساناً حقيقيا ليتمكن من تخليص العالم من الخطيئة. وما دامت حياة عدو المسيح محاكاة لحياته، فلابد من تجسد، وكما تجسد المسيح تتجسد المؤامرة اليهودية التي حملتها القرون الطويلة حتى تضعها ممثلة في إنسان من اليهود، أو مسيح كاذب يحكم العالم فيعيد الملك إلى إسرائيل حسب اعتقاد اليهود، والأستاذ نيلوس يسخر هنا حين يقيس تجسد المسيح الكاذب الفاني على تجسد الأقنوم الثانى الخالد في السيد المسيح عليه السلام.

إننا لا نستطيع البحث عن براهين مباشرة في مشكلات الخطط الإجرامية التي أمامنا، ولكن علينا أن نقنع بالبينات العرضية أو القرائن. وإن مثلها ليملأ عقل كل متأمل مسيحى [١] غيور.

إن المكتوب فى هذا الكتاب ينبغى أن يقنع «من لهم آذان للسمع» [٢] لما فيه من وضوح، ولأنه مقدم إليهم بقصد حثهم على حماية أنفسهم، إذ الوقت متسع لهذه الحماية، حتى يكونوا على حذر.

إن ضميرنا سيكون راضيا إذا وصلنا بفضل الله إلى هذا الغرض الأهم من تحذير العالم الأممى (غير اليهودى) دون إثارة الحقد فى قلبه ضد شعب إسرائيل الأعمى. ونحن نثق بأن الأمميين لن يضمروا مشاعر الكراهية ضد جمهور إسرائيل المؤمن خطأ ببراءة الخطيئة الشيطانية لزعمائه [٣] من الكتبة والفريسيين pharisees [٤] الذين برهنوا مرة قبل ذلك على أنهم هم أنفسهم سبب ضلال إسرائيل [٥] وإذا نحينا جانبا نقمة الله من الظالمين لم تبق إلا وسيلة واحدة: هى اتحاد المسيحيين جميعا فى سيدنا يسوع المسيح والفناء الشامل فيه مستغفرين لأنفسنا وللآخرين.

ولكن أهذا ممكن مع حالة العالم الضالة الآن ؟ إنه مستحيل مع سائر العالم، ولكنه ممكن مع حالة روسيا المؤمنة [٦]. فالظروف السياسية الحاضرة للدول الأوربية الغربية

---

(١) إنما خص الأستاذ نيلوس بكلامه المسيحيين هنا، لأنه مسيحي يخاطب مسيحيين ليستنهضهم وينذرهم ، ويحاول أن يقنعهم عن طريق الدين، وليس معنى هذا أنه يستبعد من خطابه المسلمين وغيرهم، بل يخاطب من وراء ذلك كل متدين، سواء أكان مسيحيا أم مسلما أم غير ذلك، إذ يلزمه تدينه بالثورة على هذه المؤامرة الصهيونية اليهودية التي تحاول القضاء علي الأديان والأخلاق والمبادى الإنسانية ومقاييسها ونظمها الاجتماعية وتجعل المجتمع أنانياً منحلاً فاسداً ليكون عبيداً لليهود.

(٢) هذه كلمة المسيح وردت في الأناجيل، وكان الأستاذ نيلوس يصرخ بها صرخة المسيح لأمته المسيحية (روسيا) كي يثير حماستهم الدينية ضد اليهود كما أشرنا في الهامش السابق.

(٣) يؤمن اليهود بأن الله أباح لهم ولزعمائهم كل شر ضد غير اليهود.

(٤) جرينا في ترجمة الكلمتين على نهج الترجمة العربية للأناجيل، والكتبة والفرنسيون (المراءون) كانوا يلاحقون السيد المسيح بالامتحان رغبة فى تعجيزه وفضحه، ولكنه كان منتصرا عليهم دائما، وكانوا متمسكين بحرفية النصوص ولو أدت إلى عكس المراد من ورائها، بينما كان هو ينفذ إلى اللب ويراعي الحكمة من وراء النصوص.

(٥) يشير نيلوس إلى إنكار اليهود للمسيح عيسى حين جاءهم، ثم اضطهادهم إياه ضالين ظالمين .

(٦) هذا (علي رأي نيلوس) أيام كانت روسيا محكومة بالقياصرة قبل أن يستولي عليها أبالسة الشيوعية من اليهود وصنائعهم، وينشروا الإلحاد والفساد فيها.

والأقطار التابعة لها فى الجهات الأخرى قد تنبأ بها أمير الحواريين prince of Apostles .

إن النوع البشري ـ في استرواحه sspiration لإكمال حياته الأرضية وبحثه عن مملكة الاكتفاء العام [1] التي تحقق المثل الأعلى للحياة الإنسانية ـ قد غير اتجاه مثله بدعوى أن الإيمان المسيحى كاذب قطعاً، وأنه لا يحقق الآمال المعلقة عليه. وأن العالم ـ الذى حطم معبوداته السابقة وخلق معبودات جديدة، وأقام آلهة جديدة على قواعدها ـ إنما يبنى لهذه الآلهة الجديدة هياكل: كل منها أعظم فخفخة، وأكبر فخامة من الآخر؛ ثم يعود فينكسه [2] ويدمره.

إن النوع البشري قد فقد الفهم الصحيح للسلطة التي منحها الملوك المسحاء [3] من الله، وهو يقترب من حالات الفوضى . وسرعان ما تبلى بلى تاماً ضوابط الموازين الجمهورية والدستورية، وستنهار هذه الموازين، وستجر معها فى انهيارها كل الحكومات إلى أغوار هاوية الفوضى المتلفة.

إن آخر حصن للعالم، وآخر ملجأ من العاصفة المقبلة هو روسيا . فإيمانها لا يزال حياً، وإمبراطورها المسيح لا يزال قائما كحاميها المؤكد.

إن كل جهود الهدم من جانب أعداء المسيح اليساريين الظاهرين Sinistors الظاهرين وعماله الفطناء الأغبياء ـ مركزة على روسيا. والأسباب مفهومة والغايات معلومة، فيجب أن تكون معروفة لروسيا المتدينة المؤمنة.

وإن اللحظة التاريخية المقبلة أعظم وعيداً، وإن الأحداث المقتربة ـ وهى مقنعة بالغيوم الكثيفة ـ أشد هولاً، فيجب أن يضرب الروسيون ذوو القلوب الجريئة الباسلة بشجاعة عظيمة، وتصميم جبار، وينبغي أن يعقدوا أيديهم بشجاعة حول لواء كنيستهم المقدس، وحول عرش إمبراطورهم. وطالما الروح تحيا، والقلب الجياش يخفق فى الصدور فلا مكان لطيف اليأس القاتل. ولكننا نعتمد على أنفسنا وعلى ولائنا وإيماننا لنظفر برحمة

---

(١) أى حكومة دنيوية يحصل فيها كل فرد على ما يكفيه، وهذا حلم بشرى محال .

(٢) أي يقلبه، من نكست الإناء، أي قلبته.

(٣) المسحاء جمع مسيح، وكان الملوك قديما يمسحون بالزيت المقدس مباركة لهم واعترافا بسلطتهم علي أيدي زعماء رجال الدين.

الله القادر Almighty، ولنؤجل ساعة انهيار روسيا [1] (١٩٠٥).

(١) من العجيب أن يتنبأ الأستاذ نيلوس في الفقر الأربع الأخيرة هنا وفي التعقيب آخر الكتاب بالانقلاب السياسى الشيوعي البلشفي اليهودي قبل حدوثه بنحو اثنى عشر عاما، ولقد نصح قومه مخلصا، وأنذرهم بالكارثة قبل حلولها، وصرخ فيهم صرخة المسيح «من كان له أذنان للسمع فليسمع» ولكن صرخته لم تسمع. ولم تنجح في تفادي الكارثة ولا في تأخيرها عن موعدها. فلقد نجح ذهب اليهود ودسائسهم ضد روسيا، ثم التضحية ببعض جيوشهم السرية هناك في قتلها وتمكين اليهود من حكمها، واتخاذها وكراً للدسائس ونشر المبادئ الهدامة في العالم أجمع، توصلاً إلى إقامة مملكة يهودية يجلس علي عرشها ملك من نسل داود ويدين لها العالم كله بالخضوع والولاء، جاء في كتاب «المؤامرة اليهودية» ما ترجمته: «إن المحفل الأمريكاني الماسونى الذى يدير الماسونية الكونية ـ كل أعضائه من أعاظم زعماء اليهود وحدهم ـ عقد مؤتمرا قرر فيه خمسة من اليهود أصحاب الملايين خراب روسيا القيصرية بإنفاق مليار دولار، وتضحية مليون يهودى لإثارة الثورة فى روسيا، وهؤلاء الخمسة الذين تبرعوا بالمال ثم: إسحاق موتيمر وشستر، وليفي، ورون. وشيف، وكان المال مرصوداً للدعاية وإثارة الصحافة العالمية على القيصرية وذلك على أثر المذابح الدائرة ضد اليهود حوالي نهاية القرن التاسع عشر». هذا وكان تروتسكي اليهودى كما يعرف ذلك العارفون، من أعظم الممكنين للرفيق لينين من السيطرة على روسيا بعد الانقلاب، ثم طرده ستالين هذا اليهودى ودبر اغتياله ولم يزل أغلب أعضاء المجلس السوفييتي الشيوعي الذي يحكم روسيا الآن (١٩٥١) من اليهود الصرحاء.

البروتوكول الأول:

سنكون صرحاء، ونناقش دلالة كل تأمل، ونصل إلى شروح وافية بالمقارنة والاستنباط، وعلى هذا المنهج سأعرض فكرة سياستنا وسياسة الجوييم Goys (وهذا هو التعريف اليهودى لكل الأمميين [١] Gentiles).

يجب أن يلاحظ أن ذوى الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوى الطبائع النبيلة. وإذن فخير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية academic [٢]. كل إنسان يسعى إلى القوة، وكل واحد يريد أن يصير دكتاتوراً، على أن يكون ذلك فى استطاعته. وما أندر من لا ينزعون إلى إهدار مصالح غيرهم توصلا إلى أغراضهم الشخصية.

ماذا كبح الوحوش المفترسة ـ التى نسميها الناس ـ عن الافتراس؟ وماذا حكمها حتى الآن؟ لقد خضعوا فى الطور الأول من الحياة الاجتماعية للقوة الوحشية العمياء، ثم خضعوا للقانون، وما القانون فى الحقيقة إلا هذه القوة ذاتها مقنعة فحسب. وهذا يتأدى بنا إلى تقرير أن قانون الطبيعة هو: الحق يكمن فى القوة.

إن الحرية السياسية ليست حقيقة، بل فكرة. ويجب أن يعرف الإنسان كيف يسخر هذه الفكرة عندما تكون ضرورية، فيتخذها طعماً لجذب العامة إلى صفه، إذا كان قد قرر أن ينتزع سلطة منافس له. وتكون المشكلة يسيرة إذا كان هذا المنافس موبوءاً بأفكار الحرية Freedom التى تسمى التحررية [٣]. Liberalism ومن أجل هذه الفكرة يتخلى

---

(١) المراد بالجوييم أو بالأممين من عدا اليهود، ومعني الكلمة عندهم البهائم والأنجاس والكفرة والوثنيون، وفي هذا ما يدل علي أن اليهود ينظرون إلى من عداهم نظرات الحقد والاحتقار والمقت والاشمئزاز، ولقد استعملنا كلمة الأممي والأمميين والأممية علماً للدلالة على من عدا اليهود ترجمة لكلمة ،.Gentil .

(٢) المناقشات الأكاديمية المناقشات على طريقة الجامعات عقلية نظرية يترك لكل مناقش فيها مطلق الحرية فى الرأى والقول.

(٣) التحررية تتسم بأنها نزعة في السلوك أكثر مما هي مذهب عقلي في التفكير،ويقصد بها انسلاخ الفرد من كل ما ما تواضع عليه المجتمع من آداب وقوانين في رغباته وشهواته، ثم سيرته حسب ضميره ونزعته الخاصة. وقد وضعنا هذا المصدر النسبي ـ حسب المصطلحات الدالة علي المذاهب ـ مقابل المصدرliberalism ، واستعملنا تصريفات أخري من جذره مع مراعاة تشديد الراء في كل الصيغ مقابل تصريفات الكلمة الإنجليزية الأخرى، كى لا نخلط بينها وبين الحريةfreedom وتصريفاتها الأخرى. ويراد بالتحررية أحيانا الضمير والعدل ومعرفة كل واحد حقوق غيره.

عن بعض سلطته.

وبهذا سيصير انتصار فكرتنا واضحا، فإن أزمة الحكومة المتروكة خضوعاً لقانون الحياة ستقبض عليها يد جديدة. وما على الحكومة الجديدة إلا أن تحل محل القديمة التى أضعفتها التحررية، لأن قوة الجمهور العمياء لا تستطيع البقاء يوماً واحداً بلا قائد.

لقد طغت سلطة الذهب على الحكام المتحررين Fiberal ولقد مضى الزمن الذى كانت الديانة فيه هي الحاكمة، وإن فكرة الحرية لا يمكن أن تتحقق ، إذ ما من أحد يستطيع استعمالها استعمالاً سديدا.

يكفى أن يعطى الشعب الحكم الذاتى فترة وجيزة لكى يصير هذا الشعب رعايا بلا تمييز، ومنذ تلك اللحظة تبدأ المنازعات والاختلافات التي سرعان ما تتفاقم، فتصير معارك اجتماعية، وتندلع النيران فى الدول ويزول أثرها كل الزوال.

وسواء انهكت الدول الهزاهز[١] الداخلية أم أسلمتها الحروب الأهلية إلى عدو خارجى، فإنها فى كلتا الحالتين تعد قد خربت نهائيا كل الخراب وستقع فى قبضتنا. وأن الاستبداد المالى ــ والمال كله في أيدينا ــ سيمد إلى الدولة عوداً لا مفر لها من التعلق به، لأنها ــ إذا لم تفعل ذلك ــ ستغرق فى اللجة لا محالة.

ومن يكن متأثراً ببواعث التحررية [٢] فتخالجه الإشارة إلى أن بحوثا من هذا النمط منافية للأخلاق ، فسأسأله هذا السؤال: لماذا لا يكون منافيا للأخلاق لدى دولة يتهددها عدوان: أحدهما خارجى، والآخر داخلى ــ أن تستخدم وسائل دفاعية ضد الأول تختلف عن وسائلها الدفاعية ضد الآخر، وأن تضع خطط دفاع سرية، وأن تهاجمه فى الليل أو بقوات أعظم ؟

ولماذا يكون منافياً للأخلاق لدى هذه الدولة أن تستخدم هذه الوسائل ضد من يحطم أسس حياتها وأسس سعادتها؟

هل يستطيع عقل منطقى سليم أن يأمل فى حكم الغوغاء حكماً ناجحاً باستعمال المناقشات والمجالات، مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات والمجادلات بمناقشات أخرى

---

(١) Convulsions معناها الهزات أو الارتجافات، وقد فضلنا ترجمتها بالهزاهز لأنها أدق وفي المصباح المنير «الهزاهز الفتن يهتز فيها الناس» .

(٢) أى من يثقل ضميره اتباع هذه الوسائل فيراها مخالفة للأخلاق الفاضلة.

وربما تكون المناقشات الأخرى مضحكة غير أنها تعرض فى صورة تجعلها أكثر إغراء فى الأمة لجمهرتها العاجزة عن التفكير العميق، والهائمة وراء عواطفها التافهة وعاداتها وعرفها ونظرياتها العاطفية [1].

إن الجمهور الغر الغبى، ومن ارتفعوا من بينه، لينغمسون فى خلافات حزبية تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة، وإن كان كل قرار للجمهور يتوقف على مجرد فرصة، أو أغلبية ملفقة تجيز لجهلها بالأسرار السياسية حلولا سخيفة فتبزر بذور الفوضى فى الحكومة.

إن السياسة لا تتفق مع الأخلاق فى شىء. والحاكم المقيد بالأخلاق ليس بسياسى بارع، وهو لذلك غير راسخ على عرشه [2].

لابد لطالب الحكم من الالتجاء إلى المكر والرياء، فإن الشمائل الإنسانية العظيمة من الإخلاص، والأمانة تصير رذائل فى السياسة، وأنها تبلغ فى زعزعة العرش أعظم مما يبلغه ألد الخصوم. هذه الصفات لا بدّ أن تكون هى خصال البلاد الأممية (غير اليهودية) ولكننا غير مضطرين إلى أن نقتدى بهم على الدوام.

إن حقنا يكمن فى القوة. وكلمة« الحق » فكرة مجردة قائمة على غير أساس فهى كلمة لا تدل على أكثر من « اعطنى ما أريد لتمكننى من أن أبرهن لك بهذا على أنى أقوى منك » .

أين يبدأ الحق وأين ينتهى؟ أى دولة يساء تنظيم قوتها، وتنتكس فيها هيبة القانون

---

(١) من المؤسف أن هذا صحيح فى البلاد التى لم تنضج سياسياً ولكنه غير صحيح فى البلاد التى نضجت سياسياً كالجزر البريطانية فالمناقشات هناك هى سبيل الحكم والشعب هناك يعرف الحدود بل يحسها بالتربية كإحساس الغريزة ويلتزمها، والحرية هناك مطلقة والرأى إقناع واقتناع ، والرأى النافذ للأغلبية.

(٢) يلاحظ أن البروتوكولات هنا تغترف من كتاب « الأمير » لمكيافلى اغترافاً (راجع الترجمة الإنجليزية لكتاب الأمير The prince ص ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٨، طبعة أفريمان)، ودعواها هنا كاذبة، حتى فى سياسة الشعوب التى لم تنضج سياسياً. وسير الحكام الأفاضل مثل عمر فى التاريخ تهدم هذا الرأى من أساسه، ولا دليل حق على أن الشعوب فى عهد الحكام الأشرار كانت أحسن حالاً منها فى عهد الحكام الأخيار. بل إن التاريخ يثبت على الدوام أن الشعوب فى عهد الساسة الأخيار يكونون أسعد حالاً منها فى عهد ساستها الأشرار. والمغالطة ناشئة من أن بعض الحكام غير الناضجين فى السياسة يكونون ذوى نيات خيرة، ولكن ليست لهم المقدرة السياسية على تنفيذها، فيتعثرون ويعثرون شعوبهم معهم. غير أن السبب هو النقص فى مقدرتهم السياسية لا فى تمسكهم بالأخلاق الفاضلة.

وتصير شخصية الحاكم بتراء عقيمة من جراء الاعتداءات التحررية (١) المستعمرة - فإنى أتخذ لنفسى فيها خطا جديداً للهجوم، مستفيداً بحق القوة لتحطيم كيان القواعد والنظم القائمة، والإمساك بالقوانين وإعادة تنظيم الهيئات جميعاً. وبذلك أصير دكتاتوراً على أولئك الذين تخلوا بمحض رغبتهم عن قوتهم، وأنعموا بها علينا (٢).

وفى هذه الأحوال الحاضرة المضطربة لقوى المجتمع ستكون قوتنا أشد من أى قوة أخرى، لأنها ستكون مستورة حتى اللحظة التى تبلغ فيها مبلغاً لا تستطيع معه أن تنسفها أى لحظة ماكرة.

ومن خلال الفساد الحالى الذى نلجأ إليه مكرهين ستظهر فائدة حكم حازم يعيد إلى بناء الحياة الطبيعية نظامه الذى حطمته التحررية (٣).

إن الغاية تبرر الوسيلة، وعلينا ـ ونحن نضع خططنا ـ ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقى بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضرورى ومفيد (٤).

وبين أيدينا خطة عليها خط استراتيجى Strategie (٥) موضح. وما كنا لننحرف عن هذا الخط إلا كنا ماضين فى تحطيم عمل قرون.

إن من يريد إنفاذ خطة عمل تناسبه يجب أن يستحضر فى ذهنه حقارة الجمهور وتقلبه، وحاجته إلى الاستقرار، وعجزه عن أن يفهم ويقدر ظروف عيشته وسعادته، وعليه

---

(١) أى الاعتداءات التى مصدرها نزعة الناس إلى التحرر، دون نظر إلى عواقب الاعتداءات.

(٢) هكذا فعل اليهود بروسيا حين دمروا الحكم القيصرى مستغلين مفاسده فى إثارة الجماهير ضده، حتى إذا تخلصوا منه حكموها حكمهم الشيوعى، وأن نهج الشيوعيين فى الحكم هو النهج المرسوم هنا، وللقارئ العربى إذا أراد معرفة ذلك الرجوع إلى كتاب« آثرت الحرية» المترجم للعربية ومؤلفه « فكتور كرافتشنكو» ترجمة الأستاذ محمد بدران والدكتور زكى نجيب محمود .

(٣) المعنى أن الفساد الحالى سيشعر الناس بالحاجة إلى الحكم« الإسرائيلى» الحازم، ويحملهم على ترقبه ومعرفته والخضوع له عند مجيئه.

(٤) سياسة البروتوكول هنا تغترف اغترافاً مما كتبه مكيافلى فى كتاب« الأمير» بل هذه كلماته بنصها أحياناً لا بروحها ومعناها فحسب.

(٥) فضلنا تعريب الكلمة على ترجمتها لأنها مشهورة يعرفها حتى العامة ومعنى الاستراتيجية فى قيادة الجيوش وما تستتبعه هذه القيادة، ولا توجد كلمة فى العربية تؤدى معناها كاملا. ومعنى الفقرة: أن موقفنا فى حربنا ضد العالم وحكمه قد وضع أساسه أبطالنا الأقدمون، وسعى فى تنفيذه حكماؤنا منذ قرون حتى الآن، فإذا سالمنا العالم أفسدنا كل أعمالهم الماضية.

أن يفهم أن قوة الجمهور عمياء خالية من العقل المميز، وأنه يعير سمعه ذات اليمين وذات الشمال.

إذا قاد الأعمى أعمى مثله فيسقطان معاً فى الهاوية.وأفراد الجمهور الذين امتازوا من بين الهيئات ــ ولو كانوا عباقرة ــ لا يستطيعون أن يقودوا هيئاتهم كزعماء دون أن يحطموا الأمة.

ما من أحد يستطيع أن يقرأ الكلمات المركبة من الحروف السياسية إلا من نشأ تنشئة للملك الأوتوقراطى autocratisc [١]، وإن الشعب المتروك لنفسه أى للمتازين من الهيئات [٢]، لتحطمه الخلافات الحزبية التى تنشأ من التهالك على القوة والأمجاد، وتخلق الهزاهز والفتن والاضطراب.

هل فى وسع الجمهور أن يميز بهدوء ودون ما تحاسد، كى يدبر أمور الدولة التى يجب ألا تقحم معها الأهواء الشخصية؟ وهل يستطيع أن يكون وقاية ضد عدو أجنبى؟ هذا محال. إن خطة مجزأة أجزاء كثيرة بعدد ما فى أفراد الجمهور من عقول لهى خطة ضائعة القيمة، فهى لذلك غير معقولة، ولا قابلة للتنفيذ[٣]: إن الأوتوقراطى autoctrat وحده هو الذى يستطيع أن يرسم خططا واسعة، وأن يعهد بجزء معين لكل عضو فى بنية الجهاز الحكومى ومن هنا نستنبط أن ما يحقق سعادة البلاد هو أن تكون حكومتها فى قبضة شخص واحد مسئول. وبغير الاستبدال المطلق لا يمكن أن تقوم حضارة.[٤]، لأن الحضارة لا يمكن أن تروج وتزدهر إلا تحت رعاية الحاكم كائناً من كان، لا بين أيدى الجماهير.

إن الجمهور بربرى، وتصرفاته فى كل مناسبة على هذا النحو، فما أن يضمن الرعاع

---

(١) الأوتوقراطية نظام الحاكم الفرد المستبد المطلق وقد فضلنا كعادتنا تعريب الكلمة على ترجمتها وهم يريدون بذلك مثل مملكتهم وملكها المسيح المخلص.

(٢) هذه مغالطة، لأن الممتاز فى مواهبه السياسية لا بد أن يكون حاكماً ممتازاً، ومنشأ الخلط هنا، وفى سياسة الهيئات، وهو وضع الحكم فى أيدى رجال لهم امتيازاتهم فى غير ميادين السياسة أو ليست لهم مواهب سياسية ناضجة.

(٣) أقرب نظام يشبه النظام المرسوم هنا هو نظام الحكم فى روسيا الشيوعية التى يحكمها طاغية مطلق، والنظام الشيوعى وضعه وينفذه اليهود (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

(٤) يريد أن الخطة التى تنشأ عن التوفيق بين آراء أعضاء البرلمان خطة مرقمة فاسدة، على عكس الفكرة الموحدة المتماسكة التى يديرها حاكم مستبد وحده. (انظر البروتوكول العاشر وهوامشه)؟

الحرية، حتى يمسخوها سريعاً فوضى، والفوضى فى ذاتها قمة البربرية.

وحسبكم فانظروا إلى هذه الحيوانات المخمورة alceholised التى أفسدها الشراب، وإن كان لينتظر لها من وراء الحرية منافع لا حصر لها، فهل نسمح لأنفسنا وأبناء جنسنا بمثل ما يفعلون ؟.

ومن المسيحيين أناس قد أضلتهم الخمر، وانقلب شبانهم مجانين بالكلاسيكيات Classics والمجون المبكر الذين أغراهم به وكلاؤنا [١] ومعلمونا، وخدمنا، وقهرماناتنا[٢] فى البيوتات الغنية وكتبتنا [٣] Clerks ومن إليهم، ونساؤنا فى أماكن لهوهم ـ وإليهن أضيف من يسمين « نساء المجتمع » ـ والرغبات من زملائهم فى الفساد والترف.

يجب أن يكون شعارنا كل « وسائل العنف والخديعة ».

إن القوة المحضة هى المنتصرة فى السياسة، وبخاصة إذا كانت مقنعة بالألمعية اللازمة لرجال الدول. يجب أن يكون العنف هو الأساس. ويتحتم أن يكون ماكراً خداعاً حكم تلك الحكومات التى تأبى أن تداس تيجانها تحت أقدام وكلاء agents قوة جديدة. إن هذا الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ولذلك يتحتم ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا .

وفى السياسة يجب أن نعلم كيف نصادر الأملاك بلا أدنى تردد إذا كان هذا العمل يمكننا من السيادة والقوة. إن دولتنا ـ متبعة طريق الفتوح السلمية ـ لها الحق فى أن تستبدل بأهوال الحرب أحكام الإعدام، وهى أقل ظهوراً وأكثر تأثيراً، وإنها لضرورة لتعزيز الفرع الذى يولد الطاعة العمياء. إن العنف الحقود وحده هو العامل الرئيسى فى قوة العدالة [٤] فيجب أن نتمسك بخطة العنف والخديعة لا من أجل المصلحة فحسب، بل من أجل الواجب والنصر أيضاً.

---

(١) أى صنائعنا الذين نتخذهم آلات لتنفيذ أغراضنا.

(٢) وضعنا كلمة قهرمانات لكلمة Governesse والقهرمانة هى القيمة على شئون المنزل، أو على شئون الأطفال فيه،وهى المربية (الدادة) وقلما تخلو منها البيوت الكبيرة.

(٣) اخترنا هذا الجمع لأنه المعروف بيننا لمن يكتبون الرسائل والحسابات ونحوها فى البيوت التجارية ودواوين الحكومة وما إليها، وقد خصص لفظ الكتاب جمع كاتب أيضاً للأدباء، مقابل كلمة Writers.

(٤) هكذا تحكم روسيا الآن كما يدل على ذلك كتاب « آثرت الحرية » والنظام الإدارى الذى رسمه حكماء اليهود هنا هو الذى طبقه خلفاؤهم اليهود فى روسيا.

إن مبادئنا فى مثل قوة وسائلنا التى نعدها لتنفيذها، وسوف ننتصر ونستعبد الحكومات جميعاً تحت حكومتنا العليا لا بهذه الوسائل فحسب بل بصرامة عقائدنا أيضاً، وحسبنا أن يعرف عنا أننا صارمون فى كبح كل تمرد[١].

كذلك كنا قديماً أول من صاح فى الناس « الحرية والمساواة والإخاء » [٢] كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهلة متجمهرة من كل مكان حول هذه الشعائر، وقد حرمت بترددها العالم من نجاحه، وحرمت الفرد من حريته الشخصية الحقيقية التى كانت من قبل فى حمى يحفظها من أن يخنقها السفلة.

إن أدعياء الحكمة والذكاء من الأمميين (غير اليهود) لم يتبينوا كيف كانت عواقب الكلمات التى يلوكونها، ولم يلاحظوا كيف يقل الاتفاق بين بعضها وبعض، وقد يناقض بعضها بعضاً [٣]. أنهم لم يروا أنه لا مساواة فى الطبيعة، وأن الطبيعة قد خلقت أنماطاً غير متساوية فى العقل والشخصية والأخلاق والطاقة. وكذلك فى مطاوعة قوانين الطبيعة [٤].

إن أدعياء الحكمة هؤلاء لم يكهنوا ويتنبأوا أن الرعاع قوة عمياء وإن المتميزين المختارين حكامًا من وسطهم عميان مثلهم فى السياسة. فإن المرء المقدور له أن يكون حاكما ـ ولو كان أحمق ـ يستطيع أن يحكم،ولكن المرء غير المقدور له ذلك ـ ولو كان عبقرياً ـ أن يفهم شيئا فى السياسة. وكل هذا كان بعيداً عن نظر الأمميين مع أن الحكم الوراثى قائم على هذا الأساس. فقد اعتاد الأب أن يفقه الابن فى معنى التطورات السياسية

---

(١) هذه هى المملكة العلوية الفاضلة التى يعد اليهود بها العالم ليكون فيها خدماً أذلاء، مقابل حياتهم ونظمهم الحاضرة، فليذكر ذلك الغافلون.

(١) يدعى اليهود بهذا أنهم واضعو شعار الثورة الفرنسية وأنهم المثيرون لها.

(٢) إن هذه المبادى لا تتناقض إلا حين يفهم كل منها مطلقاً من حدوده وهذا فهم خطأ، كما لا يسوء استعمالها إلا حين لا يقف مزاولوها عند حدودها الحقيقية العملية، ولكن إذا عرف كل واجبه ومقامه، واستعمل حريته فى القيام بواجباته حسب الطريقة المناسبة لمواهبه وظروفه، وعرف لذى الفضل فضله ولمن دونه واجب تقويمه وانصافه كأنه من أسرته، لم يكن ضرر فى هذه المبادى ولم يكن هناك تناقض بينها، واليهود يسلمون بذلك (انظر البرتوكول الرابع). ومن ذلك يظهر تناقضهم.

(٣) إن هذا الاختلاف لا يناقض مبدأ المساواة كما يفهمها العقلاء مساواة فى حرية الحياة والملك والفوز بثمرات العمل والمواهب ونحو ذلك فأما ما وراء ذلك من اختلاف فى العقل والشخصية والطاقة والعمل ونحو ذلك فهو خير للناس ومعروف عندهم، لا ريب فيه ولا مهرب منه، ولكنه لا يحول بينهم وبين المساواة فى حق الحياة والامتلاك ونحوهما مما ذكرنا.

وفى مجراها بأسلوب ليس لأحد غير أعضاء الأسرة المالكة أن يعرفه وما استطاع أحد أن يفشى الأسرار للشعب المحكوم (١). وفى وقت من الأوقات كان معنى التعليمات السياسية ـ كما تورثت من جيل إلى جيل ـ مفقوداً. وقد أعان هذا الفقد على نجاح أغراضنا.

إن صيحتنا« الحرية والمساواة والإخاء» قد جلبت إلى صفوفنا فرقاً كاملة من زوايا العالم الأربع عن طريق وكلائنا المغفلين،وقد حملت هذه الفرق ألويتنا فى نشوة ، بينما كانت هذه الكلمات ـ مثل كثير من الديدان ـ تلتهم سعادة المسيحيين، وتحطم سلامهم واستقرارهم، ووحدتهم، مدمرة بذلك أسس الدول. وقد جلب هذا العمل النصر لنا كما سنرى بعد، فإنه مكننا بين أشياء أخرى من لعب دور الآس(٢) فى أوراق اللعب الغالبة، أى محق الامتيازات، وبتعبيرآخر مكننا من سحق كيان الأرستقراطية (٣) الأممية (غير اليهودية) التى كانت الحماية الوحيدة للبلاد ضدنا.

لقد أقمنا على أطلال الأرستقراطية الطبيعية والوراثية أرستقراطية من عندنا على أساس بلوقراطى Plutorcatic (٤) وعلى العلم (٥) الذى يروجه علماؤنا ولقد عاد النصر أيسر فى الواقع، فإننا من خلال صلاتنا بالناس الذين لا غنى لنا عنهم ولقد أقمنا الأرستقراطية الجديدة على الثروة التى نتسلط عليها كنا دائماً نحرك أشد أجزاء العقل الإنسانى إحساساً، أى نستثير مرض ضحايانا من أجل المنافع، وشرهم ونهمهم، والحاجات

---

(١) ينشأ عن احتكار الحكام للأسرار السياسية كلها وأسبابها قصور المحكومين عن فهم الحوادث وأسبابها الحقيقية ببساطة فهمًا صحيحاً، فتلتوى لذلك أمامها الحقائق أو يضربون فى متاهات من الخيالات، ولو اكتفى الحكام باحتكار الأسرار العليا وحدها ومرنوا المحكومين على النظر فى الحوادث وأسبابها السهلة مدة طويلة وشاركوهم فى الحكم وتحمل المسئوليات لكفاهم ذلك وكفى الناس متاعب كثيرة،لأن تمرين المحكومين على ذلك سيربيهم تربية سياسية صحيحة كما يجرى الآن فى بريطانيا.

(٢) فى أوراق اللعب(الكوتشينه) أوراق ممتازة أعلاها الآس، فإنه يقلبها جميعاً والمعنى أن اليهود تغلبوا على امتيازات المختارين من غير اليهود كما يغلب الآس سائر الأوراق الممتازة.

(٣) الأرستقراطية حكومة الأقلية الفاضلة، العادلة كما عرفها أرسطو.

(٤) أى الحكم على أساس الغنى والثروة، فالبلوتقراطية حكومة الأقلية الغنية التى تملك معظم الثروة، أو هى حكومةالأغنياء وهؤلاء لا تعنيهم إلا الثروة وجمعهامن أى سبيل دون رعاية لأى مبدأ أو عاطفة شريفة.

(٥) المراد بالعلم الذى يروجه علماؤهم علم الاقتصاد السياسى political economy وقد دسوا فيه نظريات لا تعتمد على أساس من واقع الحياة (انظر البرتوكول ٢٠) .

المادية للإنسانية (١) وكل واحد من هذه الأمراض يستطيع وحده مستقلاً بنفسه أن يحطم طليعة الشعب (٢) وبذلك نضع قوة إراد الشعب تحت رحمة أولئك الذين سيجردونه من قوة طليعته.

إن تجرد كلمة «الحرية» جعلها قادرة على إقناع الرعاع بأن الحكومة ليست شيئاً آخر غير مدير ينوب عن المالك الذى هو الأمة، وأن فى المستطاع خلعها كقفازين باليين. وأن الثقة بأن ممثلى الأمة يمكن عزلهم قد أسلمت ممثليهم لسلطاننا، وجعلت تعيينهم عملياً فى أيدينا.

البروتوكول الثانى:

يلزم لغرضنا أن لا تحدث أى تغييرات إقليمية عقب الحروب، فبدون التعديلات الإقليمية ستتحول الحروب إلى سباق اقتصادى، وعندئذ تتبين الأمم تفوقنا فى المساعدة التى سنقدمها، وأن اطراد الأمور هكذا سيضع الجانبين كليهما تحت رحمة وكلائنا الدوليين ذوى ملايين العيون الذين يملكون وسائل غير محدودة على الإطلاق. وعندئذ ستكتسح حقوقنا الدولية كل قوانين العالم، وسنحكم البلاد بالأسلوب ذاته الذى تحكم به الحكومات الفردية رعاياها.

وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم(٣)، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ضمن لعبتنا فى أيدى مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصاً على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة، وهؤلاء الرجال - كما علمتهم من قبل - قد درسوا علم الحكم من خططنا السياسية، ومن تجربة التاريخ، ومن ملاحظة الأحداث الجارية (٤). والأمميون (غير اليهود) لا ينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة بل يتبعون نسقاً نظريا من غير تفكير فيما يمكن أن تكون

---

(١) أليست هذه هى الطريقة الشيوعية اليهودية التى يوقع بها الشيوعيون ضحاياهم فى أحابيلهم؟ فهم لا يستغلون فى الإنسان عاطفة كريمة، بل يستثيرون أخس عواطفه وشهواته ليسلطوه على المجتمع.

(٢) المراد بطليعة الشعب الممتازون الذين يتقدمون طوائف الشعب ويتزعمونها ويقضون فى أمورها؛ واليهود يركزون ضرباتهم على هؤلاء المتزعمين، فإذا حطموهم تحطمت دون مشقة الطوائف التى تسير وراءهم بلا تفكير.

(٣) من المؤسف أن السياسة فى معظم البلاد تسير على هذا النحو سواء كان ذلك بسبب اليهود أو بغيرهم، واليهود على كلا الحالين يستفيدون كثيراً من الجرى على هذه السياسة.

(٤) فى هذه السطور تتركز أصول الاجتهاد فى الحكم والفقه والعلوم وغيرها.

نتائجه. ومن أجل ذلك لسنا فى حاجة إلى أن نقيم للأمميين وزناً.

دعوهم يتمتعون ويفرحون بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم، أو دعوهم يعيشون فى أحلامهم بملذات وملاه جديدة، أو يعيشوا فى ذكرياتهم للأحلام الماضية. دعوهم يعتقدوا أن هذه القوانين النظرية التى أوحينا إليهم بها إنما لها القدر الأسمى من أجلهم. وبتقييد أنظارهم إلى هذا الموضوع، وبمساعدة صحافتنا نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة. أن الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها، وستأخذ جزافاً فى مزاولة المعرفة التى حصلتها من العلم الذى قدمه إليها وكلاؤنا رغبة فى تربية عقولنا حسب الاتجاه الذى توخيناه.

لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء. ولا حظوا هنا أن نجاح دارون Darwin وماركس Marx ونيتشيه Nietsche [1] قد رتبناه من قبل. والأثر غير الأخلاقى لاتجاهات هذه العلوم فى الفكر الأممى (غير اليهودى) سيكون واضحاً لنا على التأكيد. ولكى نتجنب ارتكاب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى، يتحتم علينا أن ندرس ونعى فى أزهاننا الخط الحالى من الرأى، وهو أخلاق الأمة وميولها.

ونجاح نظريتنا هو فى موافقتها لأمزجة الأمم التى نتصل بها، وهى لا يمكن أن تكون ناجحة إذا كانت ممارستها العملية غير مؤسسة على تجربة الماضى مقترنة بملاحظات الحاضر.

إن الصحافة التى فى أيدى الحكومة القائمة هى القوة العظيمة التى بها نحصل على توجيه الناس. فالصحافة تبين المطالب الحيوية للجمهور وتعلن شكاوى الشاكين، وتولد الضجر أحياناً بين الغوغاء. وإن تحقيق حرية الكلام قد ولد فى الصحافة، غير أن الحكومات لم تعرف كيف تستعمل هذه القوة بالطريقة الصحيحة، فسقطت فى أيدينا، ومن خلال الصحافة أحرزنا نفوذاً، وبقينا نحن وراء الستار، وبفضل الصحافة كدسنا الذهب، ولو أن ذلك كلفنا أنهاراً من الدم. فقد كلفنا التضحية بكثير من جنسنا ، ولكن كل تضحية من جانبنا تعادل آلافاً من الأمميين (غير اليهود) أمام الله.

---

(١) تنبأ نيتشه فى كتابه « وراء الخير والشر » لفلسفة ماركس اليهودية الشيوعية بالانتشار وحدد الدولة التى ستعتنقها وهى روسيا، وما كان أحد يتصور يومئذ ذلك، فتحققت نبوءته، وقد أكرهت روسيا بالعنف والخديعة على احتضان شيوعية ماركس اليهودى على أيدى اليهود..

البروتوكول الثالث:

أستطيع اليوم أن أؤكد لكم أننا على مدى خطوات قليلة من هدفنا ولم تبق إلا مسافة قصيرة كى تتم الأفعى الرمزية Sympolic Serpeni [(١)] ـ شعار شعبنا ـ دورتها، وحينما تغلق هذه الدائرة ستكون كل دول أوربا محصورة فيها بأغلال لا تكسر.

إن كل الموازين[(٢)] البنائية القائمة ستنهار سريعًا، لأننا على الدوام نفقدها توازنها كى نبليها بسرعة أكثر، ونمحق كفايتها.

لقد ظن الأمميون أن هذه الموازين، قد صنعت ولها من القوة ما يكفى، وتوقعوا منها أن تزن الأمور بدقة، ولكن القوامين عليها ـ أى رؤساء الدول كما يقال ـ مرتبكون بخدمهم الذين لا فائدة لهم منهم، مقودون كما هى عادتهم بقوتهم المطلقة على المكيدة والدس بفضل المخاوف السائدة فى القصور.

والملك لم تكن له سبل إلا قلوب رعاياه، ولهذا لم يستطع أن يحصن نفسه ضد مدبرى المكايد والدسائس الطامحين إلى القوة. وقد فصلنا القوة المراقبة عن قوة الجمهور العمياء، فقدت القوتان معاً أهميتهما، لأنهما حين انفصلتا صارتا كأعمى فقد عصاه.

ولكى نغرى الطامحين إلى القوة بأن يسيئوا استعمال حقوقهم ـ وضعنا القوى: كل واحد منها ضد غيرها، بأن شجعنا ميولهم التحررية نحو الاستقلال، وقد شجعنا كل مشروع فى هذا الاتجاه ووضعنا أسلحة فى أيدى كل الأحزاب وجعلنا السلطة هدف كل طموح إلى الرفعة. وقد أقمنا ميادين تشتجر فوقها الحروب الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات. وسرعان ما ستنطلق الفوضى، وسيظهر الإفلاس فى كل مكان.

لقد مسخ الثرثارون الوقحاء [(٣)] المجالس البرلمانية والإدارية مجالس جدلية.

---

(١) انظر تعقيب نيلوس فى آخر الكتاب، والشعار اليهودى البلشفى ..

(٢) أى السنن التى تضبط المجتمع وتسيره ، فى تفكيره وإحساسه وسلوكه، واليهود دائمو النقد لها، وتعطيل آثارها بهدمها، وتشكيك الناس فيها وتركهم فى حيرة من أمرهم وأمرها، وفى الوقت ذاته يقدمون بدلها وضدها مقاييس مضللة يطبعونها بطابع علمى فيغتر قصار النظر بها. ولو كانوا من قادة الفكر والرأى، إذا لم يكونوا ذوى أصالة فى النظر، وتجربة طويلة واعية..

(٣) Insuppressable ومعناها الذى لا يقهر والمقصود الأعضاء الذين لا يقدرون العواقب. والوقاحة هى الصلابة، والوقحاء أصحاب وجوه صلاب.

والصحفيون الجريئون، وكتاب النشرات Pamphleteers [1] الجسورون يهاجمون القوى الإدارية هجوماً مستمراً. وسوف يهيىء سوء استعمال السلطة تفتت كل الهيئات لا محالة، وسينهار كل شيء صريعاً تحت ضربات الشعب الهائج.

إن الناس مستعبدون في عرق جباههم للفقر بأسلوب أفظع من قوانين رق الأرض. فمن هذا الرق يستطيعون أن يحرروا أنفسهم بطريقة أو بأخرى، على أنه لا شيء يحررهم من طغيان الفقر المطبق. ولقد حرصنا على أن نقحم حقوقاً للهيئات خيالية محضة، فإن كل ما يسمى« حقوق البشر » لا وجود له إلا في المثل التي لا يمكن تطبيقها عملياً. ماذا يفيد عاملاً أجيراً قد حنى العمل الشاق ظهره، وضاق بحظه ـ أن يجد ثرثار حق الكلام، أو يجد صحفي حق نشر أي نوع من التفاهات؟ ماذا ينفع الدستورالعمال الأجراء إذا هم لم يظفروا منه بفائدة غير الفضلات التي نطرحها إليهم من موائدنا جزاء أصواتهم لانتخاب وكلائنا؟

إن الحقوق الشعبية سخرية من الفقير ، فإن ضرورات العمل اليومي تقعد به عن الظفر بأي فائدة على شاكلة هذه الحقوق، وكل ما لها هو أن تنأى به عن الأجور المحدودة المستمرة، وتجعله يعتمد على الإضرابات والمخدومين والزملاء . وتحت حمايتها أباد الرعاع الأرستقراطية التي عضدت الناس، وحميتهم لأجل منفعتهم، وهذه المنفعة لا تنفصل عن سعادة الشعب، والآن يقع الشعب بعد أن حطم امتيازات الأرستقراطية تحت نير الماكرين من المستغلين والأغنياء المحدثين.

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال، جئنا لنحررهم من هذا الظلم،حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين. ونحن على الدوام نتبني الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية [2].

إن الأرستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها ـ قد أفادها أن هذه الطبقات

---

(١) من كلمة pamphlet (أي الملزمة) أو الرسالة أو النبذة وهم كتاب النشرات أو الرسائل القصيرة أو الكتيبات ، وقد جرى الاصطلاح بين المتأدبين قديماً على تسمية كتاب الرسائل بالمترسلين أخذاً من الرسالة فوجدناها وافية بالمراد مقابل pamphleteteers ولكنها غريبة على القراء، فوضعنا بدلها كلمة: كتاب النشرات، لأنها أكثر معرفة عند القراء في الاصطلاح التأليفي.

(٢) هنا تلتقي الماسونية والشيوعية والصهيونية وتظهر الصلة بينها جميعاً. وكذلك تلتقي في مواضع أخرى .

العاملة طيبة الغذاء جيدة الصحة قوية الأجسام، غير أن فائدتنا نحن فى ذبول الأميين وضعفهم. وإن قوتنا تكمن في أن يبقي العامل في فقر ومرض دائمين، لأننا بذلك نستبقيه عبداً لإرادتنا، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا. وإن الجوع سيخول رأس المال حقوقا على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الأرستقراطية من الحقوق (١).

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر، وهذه المشاعر هى وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كل من يصدوننا عن سبيلنا (٢).

وحينما يأتى أوان تتويج حاكمنا العالمى سنتمسك بهذه الوسائل نفسها، أى نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شىء قد يثبت أنه عقبة فى طريقنا.

لم يعد الأميون قادرين على التفكير فى مسائل العلم دون مساعدتنا. وهذا هو السبب في أنهم لا يحققون الضرورة الحيوية لأشياء معينة سوف نحتفظ بها حين تبلغ ساعتنا أجلها، أعنى أن الصواب وحده بين كل العلوم وأعظمها قدراً هو ما يجب أن يعلم فى المدارس، وذلك هو علم حياة الإنسان والأحوال الاجتماعية، وكلاهما يستلزم تقسيم العمل، ثم تصنيف الناس فئات وطبقات. وأنه لحتم لازم أن يعرف كل إنسان فيما بعد أن المساواة الحقة لا يمكن أن توجد. ومنشأ ذلك اختلاف طبقات أنواع العمل المتباينة. وأن من يعملون بأسلوب يضر فئة كاملة لابد أن تقع عليهم مسئولية تختلف أمام القانون عن المسئولية التى تقع على من يرتكبون جريمة لا تؤثر إلا فى شرفهم الشخصى فحسب.

إن علم الأحوال الاجتماعية الصحيح الذي لا نسلم أسراره للأميين سيقنع العالم أن الحرف والأشغال يجب أن تحصر في فئات خاصة كي لا تسبب متاعب إنسانية تنشأ عن تعليم لا يساير العمل الذي يدعي الأفراد إلى القيام به. وإذا ما درس الناس هذا العلم فسيخضعون بمحض إرادتهم للقوى الحاكمة وهيئات الحكومة التي رتبتها. وفي ظل الأحوال الحاضرة للجمهور والمنهج الذى سمحنا له باتباعه ـ يؤمن الجمهور في جهله إيماناً أعمى بالكلمات المطبوعة وبالأوهام الخاطئة التي أوحينا بها إليه كما يجب، وهو يحمل

(١) ليت العمال يسمعون ذلك ويعونه ، ليعرفوا أي سم يدس لهم اليهود، أو غيرهم حينما يتظاهرون بالعطف عليهم ويعدونهم ويمنونهم بمالا يمكن تحقيقه ولو حسنت النيات فكيف إذا ساءت؟ وأدعياء الإصلاح لا يعدونهم إلا غروراً.

(٢) ومن هنا يظهر أن الشيوعيين وغيرهم الذين لا يعرفون طريقاً لاستغلال الإنسان إلا على هذا النحو الوضيع ليسوا غير منفذين للسياسة الصهيونية ولو بغير وعي .

البغضاء لكل الطبقات التى يظن أنها أعلى منه لأنه لا يفهم أهمية كل فئة . وإن هذه البغضاء ستصير أشد مضاء حيث تكون الأزمات الاقتصادية مستحكمة، لأنها ستوقف الأسواق والإنتاج والإنتاج، وسنخلق أزمة اقتصادية عالمية بكل الوسائل الممكنة التى فى قبضتنا، وبمساعدة الذهب الذى هو كله فى أيدينا. وسنقذف دفعة واحدة إلى الشوارع بجموع جرارة من العمال فى أوربا ، ولسوف تقذف هذه الكتل عندئذ بأنفسها إلينا فى ابتهاج، وتسفك دماء أولئك الذين تحسدهم ــ لغفلتها ــ منذ الطفولة، وستكون قادرة يومئذ على انتهاب ما لهم من أملاك. إنها لن تستطيع أن تضرنا، لأن لحظة الهجوم ستكون معروفة لدينا، وسنتخذ الاحتياطات لحماية مصالحنا.

لقد أقنعنا الأمميين بأن مذهب التحررية سيؤدى بهم إلى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون فى مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات.

حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطي كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه أنه السيد، وحاول أن يفرض القوة. وأن الجمهور مثله مثل كل أعمى آخر ــ قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى، ولأنه لم يرغب فى الرجوع إلى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت أقدامنا.

تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها « الكبرى » ان أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيداً لأنها من صنع أيدينا (١). ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدماً من خيبة إلى خيبة، حتى أنهم سوف يتبرأون منا، لأجل الملك الطاغية من دم صهيون، وهو المالك الذى نعده لحكم العالم. ونحن الآن ــ كقوة دولية ــ فوق المتناول، لأنه لو هاجمتنا إحدى الحكومات الأممية لقامت بنصرنا أخريات. إن المسيحيين من الناس فى خستهم الفاحشة ليساعدوننا على استقلالنا حينما يخرون راكعين أمام القوة، وحينما لا يرثون للضعيف، ولا يرحمون فى معالجة الأخطاء، ويتساهلون مع الجرائم، وحينما يرفضون أن يتبينوا متناقضات الحرية وحينما يكونون صابرين إلى درجة الاستشهاد فى تحمل قسوة الاستبداد الفاجر.

---

(١) انظر ما كتب عن مسار الأفعى الرمزية في التعقيب الملحق بآخر البروتوكولات وهنا وفي مواضع أخرى يدعي اليهود أن الثورة الفرنسية من عمل أيديهم وهذه دعوى مسرفة.

إنهم ـ على أيدى دكتاتورييهم الحاليين من رؤساء وزراء ووزراء ـ ليتحملون إساءات كانوا يقتلون من أجل أصغرها عشرين ملكاً، فكيف بيان هذه المسائل؟

ولماذا تكون الجماعات غير منطقية على هذا النحو فى نظرها إلى الحوادث؟

السبب هو أن المستبدين يقنعون الناس على أيدى وكلائهم بأنهم إذا أساؤوا استعمال سلطتهم ونكبوا الدولة، فما أجريت هذه النكبة إلا لحكمة سامية، أى التوصل إلى النجاح من أجل الشعب ومن أجل الإخاء والوحدة والمساواة الدولية.

ومن المؤكد أنهم لا يقولون لهم: إن هذا الاتحاد لا يمكن بلوغه إلا تحت حكمنا فحسب، ولهذا نرى الشعب يتهم البرىء، ويبرىء المجرم مقتنعاً بأنه يستطيع دائما أن يفعل ما يشاء وينشأ عن هذه الحالة العقلية أن الرعاع يحطمون كل تماسك، ويخلقون الفوضى فى كل ثنية وكل ركن.

إن كلمة «الحرية» تزج بالمجتمع فى نزاع مع كل القوى حتى قوة الطبيعة وقوة الله. وذلك هو السبب فى أنه يجب علينا ـ حين نستحوذ على السلطة ـ أن نمحق كلمة الحرية من معجم الإنسانية باعتبار أنها رمز القوة الوحشية الذى يمسخ الشعب حيوانات متعطشة إلى الدماء. ولكن يجب أن نركز في عقولنا أن هذه الحيوانات تستغرق فى النوم حينما تشبع من الدم، وفى تلك اللحظة يكون يسيراً علينا أن نسخرها وأن نستعبدها. وهذه الحيوانات إذا لم تعط الدم فلن تنام، بل سيقاتل بعضها بعضاً.

البروتوكول الرابع:

كل جمهورية تمر خلال مراحل متنوعة: أولاها فترة الأيام الأولى لثورة العميان التي تكتسح وتخرب ذات اليمين وذات الشمال. والثانية هى حكم الغوغاء الذى يؤدى إلى الفوضى، ويسبب الاستبداد. إن هذا الاستبداد من الناحية الرسمية غير شرعى، فهو لذلك غير مسؤول. وإنه خفى محجوب عن الأنظار ولكنه مع ذلك يترك نفسه محسوساً به. وهو على العموم تصرفه منظمة سرية تعمل خلف بعض الوكلاء، ولذلك سيكون أعظم جبروتاً وجسارة. وهذه القوة السرية لن تفكر في تغيير وكلائها الذين تتخذهم ستاراً، وهذه التغييرات قد تساعد المنظمة التي ستكون كذلك قادرة على تخليص نفسها من خدمها القدماء الذين سيكون من الضرورى عندئذ منحهم مكافآت أكبر جزاء خدمتهم

الطويلة.

من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها؟ هذا هو بالضبط ما عليه حكومتنا الآن. إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم ليعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا. ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة فى خطة عملنا وفى مركز قيادتنا ـ ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيراً.

يمكن ألا يكون للحرية ضرر، وأن نقوم فى الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارة بسعادة الناس، لو أن الحرية كانت مؤسسة على العقيدة وخشية الله، وعلى الأخوة والإنسانية، نقية من أفكار المساواة التى هى مناقضة مناقضة مباشرة لقوانين الخلق. والتى فرضت التسليم. إن الناس محكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم [١] (هيئاتهم الدينية) وسيعيشون فى هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض. وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية. ثم لكي نحول عقول المسيحيين [٢] عن سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة، وهكذا ستنصرف كل الأمم إلى مصالحها، ولن تفطن فى هذا الصراع العالمى إلى عدوها المشترك. ولكن لكي تزلزل الحرية حياة الأمميين الاجتماعية زلزالاً، وتدمرها تدميراً ـ يجب علينا أن نضع التجارة على أساس المضاربة.

وستكون نتيجة هذا أن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر فى أيدى الأمميين (غير اليهود) بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا.

إن الصراع من أجل التفوق، والمضاربة في عالم الأعمال ستخلقان مجتمعا أنانيا غليظ القلب منحل الأخلاق. هذا المجتمع سيصير منحلاً كل الانحلال ومبغضاً أيضاً من الدين والسياسة. وستكون شهوة الذهب رائده الوحيد. وسيكافح هذا المجتمع من أجل

(١) ليس المراد بالكنائس هنا أماكن العبادة عند المسيحيين بل الهيئات الدينية عند جميع المتدينين على اختلاف مللهم ونحلهم كما يقال في الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستنتينية أي الهيئة الدينية الكاثوليكية و .. ولذلك يقولون أحياناً: الكنيسة الإسلامية أي الهيئة الدينية الإسلامية.

(٢) خصت البروتوكولات المسيحيين بالذكر لأنهم أكثر عدداً وأعظم قوة من غيرهم من ذوى الملل والنحل، فإذا استطاعوا تدمير المسيحية سهل عليهم تدمير غيرها من الأديان كما ذكر فى آخر البروتوكول ١٩، فالمراد هنا أصحاب الأديان جميعا كما جاء ذلك في عدة مواضع .

الذهب متخذاً اللذات المادية التي يستطيع أن يمده بها الذهب مذهبا أصيلا. وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين دون احتجاج بدافع نبيل، ولا رغبة فى الثورات أيضاً بل تنفيساً عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا.

البروتوكول الخامس :

ما نوع الحكومة الذى يستطيع المرء أن يعالج به مجتمعات قد تفشت الرشوة والفساد فى كل أنحائها: حيث الغنى لا يتوصل إليه إلا بالمفاجآت الماكرة، ووسائل التدليس، وحيث الخلافات متحكمة على الدوام ، والفضائل فى حاجة إلى أن تعززها العقوبات والقوانين الصارمة، لا المبادئ المطاعة عن رغبة، وحيث المشاعر الوطنية والدينية مستغرقة فى العقائد العلمانية Cosmopolitam .

ليست صورة الحكومة التي يمكن أن تعطاها هذه المجتمعات بحق إلا صورة الاستبداد التي سأصفها لكم.

إننا سننظم حكومة مركزية قوية، لكي نحصل على القوى الاجتماعية لأنفسنا. وسنضبط حياة رعايانا السياسية بقوانين جديدة كما لو كانوا أجزاء كثيرة جداً في جهاز. ومثل هذه القوانين ستكبح كل حرية، وكل نزعات تحررية يسمح بها الأمميون (غير اليهود) وبذلك يعظم سلطاننا فيصير استبدادا يبلغ من القوة أن يستطيع في أي زمان وأي مكان سحق الساخطين المتمردين من غير اليهود.

سيقال: إن نوع الاستبداد الذى أقترحه لن يناسب تقدم الحضارة الحالي، غير أني سأبرهن لكم على أن العكس هو الصحيح. إن الناس حينما كانوا ينظرون إلى ملوكهم نظرهم إلى إرادة الله كانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم. ولكن منذ اليوم الذي أوحينا فيه إلى العامة بفكرة حقوقهم الذاتية ـ أخذوا ينظرون إلى الملوك نظرهم إلى أبناء الفناء العاديين. ولقد سقطت المسحة المقدسة [١] عن رؤوس الملوك في نظر الرعاع، وحينما انتزعنا منهم عقيدتهم هذه انتقلت القوة إلى الشوارع [٢] ، فصارت كالملك المشاع فاختطفناها. ثم أن من بين مواهبنا الإدارية التي نعدها لأنفسنا موهبة حكم الجماهير

---

(١) أى زالت عنهم مسحة القداسة وأنكر الناس علي الملوك الحق الإلهي المطلق في حكم الشعوب.

(٢) أي صارت السلطة للشعوب لا الملوك وصارت الأمم مصدر السلطات.

والأفراد بالنظريات المؤلفة بدهاء، وبالعبارات الطنانة، وبسنن الحياة وكل أنواع الخديعة الأخري. كل هذه النظريات التي لا يمكن أن يفهمها الأمميون أبداً مبنية على التحليل والملاحظة ممتزجين بفهم يبلغ من براعته ألا يجارينا فيه منافسونا أكثر مما يستطيعون أن يجارونا في وضع خطط للأعمال السياسية والاغتصاب، وأن الجماعة المعروفة لنا لا يمكن أن تنافسنا في هذه الفنون ربما تكون جماعة اليسوعيين Jesuits ، ولكننا نجحنا في أن نجعلهم هزواً وسخرية في أعين الرعاع الأغبياء، وهذا مع أنها جماعة ظاهرة بينما نحن أنفسنا باقون في الخفاء محتفظون بمنظمتنا سراً.

ثم ما الفرق بالنسبة للعالم بين أن يصير سيده هو رأس الكنيسة الكاثوليكية، وأن يكون طاغية من دم صهيون؟.

ولكن لا يمكن أن يكون الأمزان سواء بالنسبة إلينا نحن «الشعب المختار» قد يتمكن الأمميون فترة من أن يسوسونا ولكننا مع ذلك لسنا في حاجة إلى الخوف من أي خطر ما دمنا في أمان بفضل البذور العميقة لكراهيتهم بعضهم بعضاً، وهي كراهية متأصلة لا يمكن انتزاعها.

لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية، بنشر التعصبات الدينية والقبلية خلال عشرين قرناً. ومن هذا كله تتقرر حقيقة: هي أن أي حكومة منفردة لن تجد لها سنداً من جاراتها حين تدعوها إلى مساعدتها ضدنا، لأن كل واحدة منها ستظن أن أى عمل ضدنا هو نكبة علي كيانها الذاتى [1].

نحن أقوياء جداً، فعلى العالم أن يعتمد علينا وينيب إلينا. وأن الحكومات لا تستطيع أبداً أن تبرم معاهدة ولو صغيرة دون أن نتدخل فيها سراً.

« بحكمى فليحكم الملوك Per me reges rogunt » .

إننا نقرأ في شريعة الأنبياء أننا مختارون من الله لنحكم الأرض، وقد منحنا الله العبقرية، كي نكون قادرين على القيام بهذا العمل إن كان في معسكر أعدائنا عبقرى فقد

---

(١) هذه محنة من شر المحن التي تقاسيها الشعوب التي عظم فيها نفوذ اليهود،لأن هذا النفوذ غالبا يستعمل ضد مصلحة الشعوب، وإذا أرادت الأمة التخلص منه لم تستطع إلا بتضحية كثير من مصالحها لشدة الترابط بين مصالحها ومصالح اليهود. كما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى .

يحاربنا، ولكن القادم الجديد لن يكن كفؤاً لأيد عريقة [١] كأيدينا.

إن القتال بيننا سيكون ذا طبيعة مقهورة لم ير العالم لها مثيلاً من قبل والوقت متأخر بالنسبة إلى عباقرتهم. وإن عجلات جهاز الدولة كلها تحركها قوة، وهذه القوة فى أيدينا هي التي تسمى: الذهب .

وعلم الاقتصاد السياسي: الذي محصه علماؤنا الفطاحل قد برهن على أن قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج .

ويجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة، ليكون لرأس المال مجال حر، وهذا ما تسعى لاستكماله فعلا يد خفية فى جميع أنحاء العالم . ومثل هذه الحرية ستمنح التجارة قوة سياسية، وهؤلاء التجار سيظلمون الجماهير بانتهاز الفرص .

وتجريد الشعب من السلاح في هذه الأيام [٢] أعظم أهمية من دفعه إلى الحرب، وأهم من ذلك أن نستعمل العواطف المتأججة في أغراضنا بدلاً من إخمادها وأن نشجع أفكار الآخرين ونستخدمها في أغراضنا بدلاً من محوها، إن المشكلة الرئيسية لحكومتنا هي: كيف تضعف عقول الشعب بالانتقاد [٣] وكيف تفقدها قوة الإدراك التى تخلق نزعة المعارضة ، وكيف تسحر عقول العامة بالكلام الأجوف.

فى كل الأزمان كانت الأمم ـ مثلها مثل الأفراد ـ تأخذ الكلمات على أنها أفعال، كأنما هي قانعة بما تسمع، وقلما تلاحظ ما إذا كان الوعد قابلا للوفاء فعلاً أم غير قابل. ولذلك فإننا ـ رغبة في التظاهر فحسب ـ سننظم هيئات يبرهن أعضاؤها بالخطب البليغة على مساعداتهم في سبيل «التقدم» ويثنون عليها [٤].

---

(١) أي أن العبقري الجديد لن يبلغ في المقدرة على الحكم مبلغ حكماء صهيون الذين تدربوا علي سياسة الجماهير منذ قرون يورث خلالها السابقون منهم اللاحقين أسرار السياسة ويدربونهم على الحكم .

(٢) إن تجريد الشعوب من السلاح وخاصة في الأوقات التي يتهددها فيها خطر خارجي يجمد في قلوبها الشجاعة والنخوة،ويغريها باليأس والاستسلام. وهذا ما تقاسيه بعض البلاد العربية الآن وهو من شر ما تصاب به الشعوب من البلايا .

(٣) إن النقد على غير أساس صحيح يربك العقول ويضللها، ويغريها بالإفراط في الجدال لمحض الجدل، لا لرغبة في معرفة الحق. وهومن شر البلايا التي تسلط على الشعوب الجاهلة .

(٤) هذه حقيقة جديرة بالالتفات في السياسة، والزعماء الدجالون يلجأون في تضليل الشعوب إلى الوعود البراقة، وإن الجماهير الجاهلة تميل دائما إلى تصديقها غفلة، أو أملاً كاذبا في تغيير الحال أو ثقة زائفة بالزعماء، أو كل ذلك ونحوه.

وسنزيف مظهراً تحررياً لكل الهيئات وكل الاتجاهات ، كما أننا سنضفى هذا المظهر على كل خطبائنا . وهؤلاء سيكونون ثرثارين بلا حد ، حتى إنهم سينهكون الشعب بخطبهم ، وسيجد الشعب خطابة من كل نوع أكثر مما يكفيه ويقنعه.

ولضمان الرأي العام يجب أولاً أن نحيره كل الحيرة بتغييرات من جميع النواحي لكل أساليب الآراء المتناقضة حتى يضيع الأمميون (غير اليهود) فى متاهتهم . وعندئذ سيفهمون أن خيرما يسلكون من طرق هو أن لا يكون لهم رأي في المسائل السياسية: هذه المسائل لا يقصد منها أن يدركها الشعب، بل يجب أن تظل من مسائل القادة الموجهين فحسب. وهذا هو السر الأول (١) .

والسر الثاني (٢) ـ وهو ضروري لحكومتنا الناجحة ـ أن تتضاعف وتتضخم الأخطاء والعادات والعواطف والقوانين العرفية في البلاد، حتى لا يستطيع إنسان أن يفكر بوضوح في ظلامها المطبق، وعندئذ يتعطل فهم الناس بعضهم بعضاً .

هذه السياسة ستساعدنا أيضاً فى بذر الخلافات بين الهيئات،وفى تفكيك كل القوى المتجمعة، وفى تثبيط كل تفوق فردى ربما يعوق أغراضنا بأى أسلوب من الأساليب.

لا شيء أخطر من الامتياز الشخصى . فإنه إذا كانت وراءه عقول فربما يضرنا أكثر مما تضرنا ملايين الناس الذين وضعنا يد كل منهم على رقبة الآخر ليقتله .

يجب أن نوجه تعليم المجتمعات المسيحية (٣) فى مثل هذا الطريق: فكلما احتاجوا إلى كفء لعمل من الأعمال فى أى حال من الأحوال سقط فى أيديهم وضلوا فى خيبة بلا أمل .

إن النشاط الناتج عن حرية العمل يستنفد قوته حينما يصطدم بحرية الآخرين. ومن هنا تحدث الصدمات الأخلاقية وخيبة الأمل والفشل.

(١ ، ٢) هذان السران من أخطر الأسرار السياسية، وعليهما تبني النتائج الخطيرة المشار إلى بعضها في الفقرة التالية لهما.

(٣) هذا أيضا يشمل المجتمعات غير المسيحية.

بكل هذه الوسائل سنضغط المسيحيين (١) ، حتى يضطروا إلى أن يطلبوا منا أن نحكمهم دولياً. وعندما نصل إلى هذا المقام سنستطيع مباشرة أن نستنزف كل قوى الحكم فى جميع أنحاء العالم، وأن نشكل حكومة عالمية عليا.

وسنضع موضع الحكومات القائمة ماردا Monstor يسمى إدارة الحكومة العليا Administration of the supergovernment وستمتد أيديه كالمخالب الطويلة المدى، وتحت إمرته سيكون له نظام يستحيل معه أن يفشل فى إخضاع كل الأقطار.

البروتوكول السادس :

سنبدأ سريعاً بتنظيم احتكارات عظيمة ـ هى صهاريج للثورة الضخمة ـ لتستغرق خلالها دائما الثروات الواسعة للأمميين (غير اليهود) إلى حد أنها ستهبط جميعها وتهبط معها الثقة بحكومتها يوم تقع الأزمة السياسية (*) .

وعلى الاقتصاديين الحاضرين بينكم اليوم هنا أن يقدروا أهمية هذه الخطة.

لقد انتهت أرستقراطية الأمميين كقوة سياسية، فلا حاجة لنا بعد ذلك إلى أن ننظر إليها من هذا الجانب. لكن الأرستقراطيين من حيث هم ملاك أرض ما يزالون خطراً علينا. لأن معيشتهم المستقلة مضمونة لهم بمواردهم . ولذلك يجب علينا وجوباً أن نجرد الأرستقراطيين من أراضيهم بكل الأثمان. وأفضل الطرق لبلوغ هذا الغرض هو فرض الأجور والضرائب. إن هذه الطرق ستبقى منافع الأرض فى أحط مستوى ممكن.. وسرعان ما سينهار الأرستقراطيين من الأمميين لأنهم ـ بما لهم من أذواق موروثة (١) ـ غير قادرين على القناعة بالقليل.

وفى الوقت نفسه يجب أن نفرض كل سيطرة ممكنة على الصناعة والتجارة وعلى المضاربة بخاصة فإن الدور role الرئيسى لها أن تعمل كمعادن للصناعة.

---

(١) ليست عداوة اليهود مقصورة على المسيحيين بل تشمل كل من عدا اليهود، وهم يختصونهم بالذكر فى هذا الوضع وغيره من الكتاب، لأن الأمم المسيحية أكثر وأقوى مما عداها. فإذا انتصر اليهود عليهم سهل أن ينتصروا على غيرهم من المسلمين والبوذيين ونحوهم كما أشاروا إلى ذلك فى مواضع هنا.

(*) المقصود كما يظهر أن اليهود سيسحبون أموالهم فى اللحظة الأخيرة (عن الأصل الإنجليزى).

(٢) أى أن الأرستقراطيين بما اعتادوه ونشأوا عليه من حب للترف وغرام بالبذخ لا يستطيعون أن يقنعوا بالمال القليل الذى تمدهم به غلات الأرض حين تنحدر فى مستوى خفيض فيضطرون إلى التنازل عن أراضيهم بالبيع أو الرهن.

وبدون المضاربة ستزيد الصناعة رؤوس الأموال الخاصة، وستتجه إلى إنهاض الزراعة بتحرير الأرض من الديون والرهون العقارية التى تقدمها البنوك الزراعية . وضرورى أن تستنزف الصناعة من الأرض كل خيراتها وأن تحول المضاربات كل ثروة العالم المستفادة على هذا النحو إلى أيدينا.

وبهذه الوسيلة سوف يقذف بجميع الأمميين (غير اليهود) إلى مراتب العمال الصعاليك Proletariat وعندئذ يخر الأمميون أمامنا ساجدين ليظفروا بحق البقاء .

ولكى نخرب صناعة الأمميين، ونساعد المضاربات ـ سنشجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل، وسنزيد الأجور التى لن تساعد العمال، كما أننا فى الوقت نفسه سنرفع أثمان الضروريات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك (١) كما سننسف بمهارة أيضا أسس الإنتاج ببذر بذور الفوضى بين العمال، وبتشجيعهم على إدمان المسكرات. وفى الوقت نفسه سنعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاء أممى (غير يهودى) من الأرض. ولكيلا يتحقق الأمميون من الوضع الحق للأمور قبل الأوان ـ سنستره برغبتنا فى مساعدة الطبقات العاملة على حل المشكلات الاقتصادية الكبرى، وأن الدعاية التى لنظرياتنا الاقتصادية تعاون على ذلك بكل وسيلة ممكنة.

البروتوكول السابع (٢) :

إن ضخامة الجيش، وزيادة القوة البوليسية ضروريتان لإتمام الخطط السابقة الذكر. وإنه لضرورى لنا ، كى نبلغ ذلك، أن لا يكون إلى جوانبنا فى كل الأقطار شىء بعد إلا طبقة صعاليك ضخمة، وكذلك جيش كثير وبوليس مخلص لأغراضنا.

---

(١) رفع أجور العمال يرهق أصحاب الأعمال، وقد يعجزهم عن الاستمرار فى عملهم، وفى الوقت نفسه قد لا يستفيد العمال من رفع الأجور، لأن أثمان المواد الضرورية مرتفعة فيضطرون إلى إنفاق أجورهم مهما ترتفع، على حين يغريهم اليهود بإدمان المسكرات ويثيرون فى نفوسهم عوامل الحسد والسخط على حياتهم، وغير ما تحارب به هذه الفكرة خفض أسعار المواد الضرورية ليستطيع العامل أن يعيش بأجره ولو كان منخفضا، وإفهامه أن حقه على المجتمع أن يكفل له ما يعيش به لا أن يكون فى غنى فلان وغيره، وليلاحظ القارئ سباق فئات الموظفين فى الحكومات والشركات فى المطالبة برفع الأجور، وهى حال سيئة تقوم الآن فى بعض بلادنا.

(٢) يجب أن يدقق القارئ فى هذا البروتوكول فإن كل ما ورد فيه ينطبق بكل حروفه على روسيا الشيوعية، وهو أوضح دليل على ما بين الشيوعية واليهود من صلات، وعلى أن الشيوعية ليست إلا فكرة يهودية تسخر روسيا وغيرها للاستيلاء على العالم، فالجيش والقوة البوليسية هما عماد الحكم الإرهابى فى روسيا.

في كل أوروبا، وبمساعدة أوروبا ـ يجب أن ننشر في سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة. فإن في هذا فائدة مزدوجة: فأما أولاً: فبهذه الوسائل سنتحكم في أقدار كل الأقطار التي تعرف حق المعرفة أن لنا القدرة على خلق الاضطرابات كما نريد، مع قدرتنا على إعادة النظام، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة متى لزم الأمر. وأما ثانيا فبالمكايد والدسائس، سوف نصطاد بكل أحابيلنا وشباكنا التي نصبناها في وزارات جميع الحكومات، ولم نحبكها بسياستنا فحسب، بل بالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضا.

ولكي نصل إلى هذه الغايات يجب علينا أن ننطوي على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات ولكننا فيما يسمى «اللغة الرسمية» سوف نتظاهر بحركات عكس ذلك، كي نظهر بمظهر الأمين المتحمل للمسئولية (١).

وبهذا ستنظر دائماً إلينا حكومات الأمميين ـ التي علمناها أن تقتصر في النظر على جانب الأمور الظاهري وحده ـ كأننا متفضلون ومنقذون للإنسانية.

ويجب علينا أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على جانب ما يجاورنا من بلاد تلك الدولة التي تجرؤ على الوقوف في طريقنا. ولكن إذا غدر هؤلاء الجيران فقرروا الاتحاد ضدنا ـ فالواجب علينا أن نجيب على ذلك بخلق حرب عالمية.

إن النجاح الأكبر في السياسة يقوم على درجة السرية المستخدمة في اتباعها، وأعمال الدبلوماسي لا يجب أن تطابق كلماته. ولكي نعزز خطتنا العالمية الواسعة التي تقترب من نهايتها المشتهاة ـ يجب علينا أن نتسلط على حكومات الأمميين بما يقال له لآراء العامة التي دبرناها نحن في الحقيقة من قبل، متوسلين بأعظم القوى جميعاً، وهي الصحافة، وإنها جميعاً لفي أيدينا إلا قليلاً لا نفوذ له ولا قيمة يعتد بها.

وبإيجاز ، من أجل أن نظهر استعبادنا لجميع الحكومات الأممية في أوروبا ـ سوف

---

(١) أي الوفي بعهوده المنفذ لما يلتزم به، سواء أوفى بذلك مضطراً أم غدر مع قدرته على الغدر والإخلاف، ومن أمثلة ذلك نشر روسيا اليهودية للفتن والاضطرابات في كل الأقطار، واتهامها الدول الغربية بالعمل على قيام الحرب ومن ذلك تظاهرها هي بحب السلام والدعوة إليه، لتكسب أنصاراً إلى جانبها في كل البلاد من المخدوعين أو الأشرار وروسيا ظاهرة جدا في هذا البروتوكول .

نبين[1] قوتنا لواحدة منها [2] متوسلين بجرائم العنف وذلك هو ما يقال له حكم الإرهاب[*] وإذا اتفقوا جميعا ضدنا فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية أو الصينية [3] أو اليابانية.

البروتوكول الثامن :

يجب أن نأمن كل الآلات التى قد يوجهها أعداؤنا ضدنا. وسوف نلجأ إلى أعظم التعبيرات تعقيداً وإشكالاً فى معظم القانون ـ لكى نخلص أنفسنا ـ إذا أكرهنا على إصدار أحكام قد تكون طائشة أو ظالمة. لأنه سيكون هاماً أن نعبر عن هذه الأحكام بأسلوب محكم، حتى تبدو للعامة إنها من أعلى نمط أخلاقى، وأنها عادلة وطبيعية حقاً. ويجب أن تكون حكومتنا محوطة بكل قوى المدنية التى ستعمل خلالها. إنها ستجذب إلى نفسها الناشرين والمحامين والأطباء ورجال الإدارة الدبلوماسيين، ثم القوم المنشئين فى مدارسنا التقدمية الخاصة [4] . هؤلاء القوم سيعرفون أسرار الحياة الاجتماعية، فسيتمكنون من كل اللغات مجموعة فى حروف وكلمات سياسية، وسيفقهون جيداً فى الجانب الباطنى للطبيعة الإنسانية بكل أوتارها العظيمة المرهفة اللطيفة التى سيعزفون عليها. إن هذه الأوتار هى التى تشكل عقل الأميين، وصفاتهم الصالحة والطالحة، وميولهم،

---

(١) الكلمات المكتوبة بالخط الأسود فى الإنجليزية بالحروف المائلة (الإيطالية halic) ، لتوجيه النظر إليها.

(٢) هذه الواحدة هى الحكومة الروسية القيصرية التى وقع عليها اختيار اليهود لتكون عبرة ونكالا لغيرها، وقد تنبأ بهذا ناشر البروتوكولات الأول قبل حدوثه باثنتى عشرة سنة (كما جاء فى مقدمته هنا) فقد ازالوا قيصرها وأسسوا حكومتهم الشيوعية الماركسية اليهودية، ولا يزالون يطبقون فيها سياسة البروتوكولات الإرهابية ويبثون القلاقل فى كل ركن فى العالم.

(*) لاحظ الحالة الحاضرة فى روسيا. (عن الاصل الإنجليزى)

(٣) لقد نجح الشيوعيون اليهود أخيراً فى النفوذ إلى الصين على أيدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم، وشرعوا يبسطون سلطانهم علانية بالعنف والخديعة على آسيا، إلى جانب ما استحوذوا عليه من الأقطار الأوروبية ولا يوجد قطر فى العالم لم تتسرب إليه الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرههم وجهلهم، ومثيرة حسدهم وبغضهم على من هم أعلى منهم هذا إلى صنائعهم فى الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعملون باسم الشيوعية ظاهراً، وليسوا مع ذلك إلا صنائع وخدماً منفذين لأغراض صهيون، وفى ذلك ما يدل على أنهم يريدون تسخير الصين وأمريكا كما هو حاصل، وتسخير اليابان أيضا ضد أوربا عند الضرورة،وهذا شىء لم يكن فى حساب سياسى قط منذ خمسين سنة إلا حكماء اليهود.

(٢) لا يخلو قطر فى العالم من صنائع اليهود بين هذه الطوائف المذكورة وغيرها ينفذون خطط صهيون ويخدمونها عن وعى وعن غير وعى.

وعيوبهم، من عجيب الفئات والطبقات. وضرورى أن مستشارى سلطتنا هؤلاء الذين أشير هنا إليهم ـ لن يختاروا من بين الأمميين (غير اليهود) الذين اعتادوا أن يحتملوا أعباء أعمالهم الإدارية دون أن يتدبروا بعقولهم النتائج التى يجب أن ينجزوها،ودون أن يعرفوا الهدف من وراء هذه النتائج. إن الإداريين من الأمميين يؤشرون على الأوراق من غير أن يقرأوها، ويعملون حباً فى المال أو الرفعة، لا للمصلحة الواجبة.

إننا سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين، وهذا هو السبب فى أن علم الاقتصاد هو الموضوع الرئيسى الذى يعلمه اليهود. وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك، وأصحاب الصناعات، وأصحاب الملايين ـ وأمرهم لايزال أعظم قدراً ـ إذ الواقع أن كل شىء سوف يقرره المال. وما دام ملء المناصب الحكومية بإخواننا اليهود فى أثناء ذلك غير مأمون بعد ـ فسوف نعد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم، كى تقف مخازيهم فاصلاً بين الأمة وبينهم، وكذلك سوف نعد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين إذا عصوا أوامرنا توقعوا المحاكمة والسجن (١) والغرض من كل هذا أنهم سيدافعون عن مصالحنا حتى النفس الأخير الذى تنفث صدورهم به.

البروتوكول التاسع :

عليكم أن تواجهوا التفاتاً خاصا فى استعمال مبادئنا إلى الأخلاق الخاصة بالأمة التى

---

(١) إن اليهود إنما يختارون صنائعهم غالبا من هؤلاء، فهم دائما يحاولون استغلال أحط العناصر من أحط مشاعر الناس الإنسانية، وقد انتشر صنائعهم على هذا النحو فى ميادين كثيرة لا سيما الإدارة الحكومية والصحافة (انظر ماكتب فى البروتوكول الأول..، والعاشر..، والثانى عشر .. . وفى بلادنا العربية وغيرها كثير من صنائعهم ذوى الصحائف السود بين الأدباء والوزراء ورجال الشركات ونحوهم. وهؤلاء الصنائع ذوو ميول ونزعات مختلفة فى الظاهر غالبا، وهم مندسون بين كل الطوائف ، والطبقات حتى الخدم فى البيوت والمشارب، والعاهرات مكشوفات ومستورات ورجال التمثيل ونسائه، والمغنين والمغنيات، والوصيفات، فى البيوتات الغنية وسيدات الصالونات وسادته، وزعماء الشعوب وقادة الفكر، بل إن رجال الأديان مسيحيين ومسلمين لا يخلون من عناصر يهودية أو عناصر من صنائع اليهود تعمل لمصلحتهم، أو عناصر من أصول يهودية تنصرت أو أسلمت لتندمج فى المسيحيين والمسلمين دون أن تثير ريبتهم، وليلاحظ خاصة أن من أغراض اليهود القضاء على جميع الأديان، والتوصل لذلك باتخاذ صنائع لهم من رجال الأديان، أو دس يهود يدخلون فى المسيحية أو الإسلام للكيد والهدم من الداخل كعبد الله ابن سبأ فى الإسلام.. وديزائيلى وكارل ماركس فى المسيحية، وهناك طائفة عددها نحو ٤٠٠ أسلموا فى مصر سنة ٩٣٨ ، ٩٤٢ وقد أشاروا فى البروتوكولات إلى خطتهم ليصلوا إلى جعل بابا الفاتيكان منهم وهذا ليس بغريب على من عرف من تاريخهم فى المسيحية والإسلام عشرات الأمثلة على ذلك.

أنتم بها محاطون، وفيها تعملون، وعليكم ألا تتوقعوا النجاح خلالها فى استعمال مبادئنا بكل مشتملاتها حتى يعاد تعليم الأمة بآرائنا، ولكنكم إذا تصرفتم بسداد فى استعمال مبادئنا فستكشفون أنه ـ قبل مضى عشر سنوات ـ سيتغير أشد الأخلاق تماسكاً، وسنضيف كذلك أمة أخرى إلى مراتب تلك الأمم التى خضعت لنا من قبل.

إن الكلمات التحررية لشعارنا الماسونى هى « الحرية والمساواة والإخاء » وسوف لا نبدل كلمات شعارنا، بل نصوغها معبرة ببساطة عن فكرة، وسوف نقول: «حق الحرية ، وواجب المساواة، وفكرة الإخاء». وبها سنمسك الثور من قرنيه (١) ، وحينئذ نكون قد دمرنا ـ فى حقيقة الأمر ـ كل القوى الحاكمة إلا قوتنا، وإن تكن هذه القوى الحاكمة نظريا ما تزال قائمة، وحين تقف حكومة من الحكومات نفسها موقف المعارضة لنا فى الوقت الحاضر فإنما ذلك أمر صورى، متخذ بكامل معرفتنا ورضانا، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية (٢) ، كيما نتمكن من حفظ إخواننا الصغار فى نظام . ولن أتوسع فى هذه النقطة فقد كانت من قبل موضوع مناقشات عديدة .

وحقيقة الأمر أننا نلقى معارضة، فإن حكومتنا ـ من حيث القوة الفائقة جداً ذات مقام فى نظر القانون يتأدى بها إلى حد أننا قد نصفها بهذا التعبير الصارم: الدكتاتورية.

وإننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع، وأننا المتسلطون فى

(١) أرجو أن يعرف القارئ أن هذه الترجمة جميعها تكاد تكون حرفية فكل ما فيها من تشبيهات ومجازات واستعارات هو فى الأصل كما هنا.

(٢) لقد أشير هنا وفى مواضع متعددة من البروتوكولات إلى هذه العداوة ضد السامية، ولكى نفهم ذلك يجب أن نشير إلى أن الأوروبيين يعتبرون أنفسهم آريين. وإنهم أسمى عنصراً من الساميين، والساميون فى الحياة الأوروبية اليومية يقصد بهم اليهود وقداضطهد اليهود فى كثير من الأقطار كألمانيا وروسيا باسم العداوة للجنس السامى إذ لا يوجد ساميون يعيشون هناك إلا اليهود، والبروتوكولات تقرر هنا وفى مواضع مختلفة أن هذه العداوة التى سببت اضطهادات كثيرة لليهود فى مختلف البلاد قد أفادت حكماء اليهود، إذ مكنتهم من المحافظة على تماسك صغارهم وولائهم لحكمائهم لحاجتهم الشديدة إليهم ، ولولا هذه الاضطهادات التى جعلت اليهود يخافون ويتدبرون فيعتمدون على معاونة بعضهم بعضا وتكتل بعضهم مع بعض سراً وعلانية لذاب صغار اليهود المشتتين بين أقطار مختلفة فى سكان هذه الأقطار .. وقد كان الكبار من اليهود يمدون أيديهم بالمعونة إلى الصغارفى كل محنة ويحفظونهم من أن يبيدوا أو يتفككوا حيث كان الكبار أنفسهم فى مأمن على الدوام من الاضطهاد، بما يتخذون من صنائع لهم بين كبار الحاكمين فى كل الأقطار من أهلها، وبما يقدم اليهود لهم من أموال ونساء وعضوية فى شركاتهم ومساعدات أخرى ظاهرة وباطنة.

الحكم، والمقررون للعقوبات، وأننا نقضى بإعدام من نشاء ونعفو عمن نشاء، ونحن ـ كما هو واقع ـ أولو الأمر الأعلون فى كل الجيوش، الراكبون رؤوسها، ونحن نحكم بالقوة القاهرة، لأنه لا تزال فى أيدينا الفلول التى كانت الحزب القوى من قبل، وهى الآن خاضعة لسلطاننا، إن لنا طموحاً لا يحد، وشرها لا يشبع، ونقمة لا ترحم، وبغضاء لا تحس. إننا مصدر إرهاب بعيد المدى. وإننا نسخر فى خدمتنا أناسا من جميع المذاهب والأحزاب؛ من رجال يرغبون فى إعادة الملكيات، واشتراكيين، وشيوعيين، وحالمين بكل أنواع الطوبيات Utopias [١]، ولقد وضعناهم جميعا تحت السرج، وكل واحد منهم على طريقته الخاصة ينسف ما بقى من السلطة، ويحاول أن يحطم كل القوانين القائمة وبهذا التدبير تتعذب الحكومات، وتصرخ طلباً للراحة وتستعد ـ من أجل السلام ـ لتقديم أى تضحية ولكننا لن نمنحهم أى سلام حتى يعترفوا فى ضراعة بحكومتنا الدولية العليا.

لقد ضجت الشعوب بضرورة حل المشكلات الاجتماعية بوسائل دولية [٢]، وإن الاختلافات بين الأحزاب قد أوقعتها فى أيدينا، فإن المال ضرورى لمواصلة النزاع، والمال تحت أيدينا.

إننا نخشى تحالف القوة الحاكمة فى الأمميين (غير اليهود) مع قوة الرعاع العمياء، غير أننا قد اتخذنا كل الاحتياطات لنمنع احتمال وقوع هذا الحادث. فقد أقمنا بين القوتين سداً قوامه الرعب الذى تحسه القوتان، كل من الأخرى، وهكذا تبقى قوة الشعب سنداً إلى جانبنا وسنكون وحدنا قادتها، وسنوجهها لبلوغ أغراضنا.

---

(١) الطوبيات يقصد بها ما يسمي: الممالك الفاضلة أو كما سماها الفارابي المدينة الفاضلة ومفرد هذه الكلمة Utopiea (لا أرض) وأول من استعملها في الإنجليزية السير توماس مورSir Thomas More (١٤٨٩ ـ ١٥٣٥) للدلالة على مملكة فاضلة تخيلها، وتخيل الناس فيها سعداء جميعاً، وقد صارت بعد ذلك تطلق على كل فكرة من هذا القبيل وقد ترجمناها أحيانا بالممالك الفاضلة مستأنسين بتسمية الفارابي الفيلسوف المسلم لفكرة له تشبه فكرة توماس مور، وكتب فيها كتاباً يسمى أهل المدينة الفاضلة، كما ترجمناها في غير هذا الموضوع بكلمة طوبي لما بين الاسمين من التشابه في اللفظ والمعني، فأما اللفظ فظاهر، وأما المعني فلأن طوبى فى العربية ـ كما وردت في القرآن والترجمة العربية للإنجيل ـ تؤدى معنى الجزاء الحسن في عالم آخر للصالحين بما عملوا من خير، وقد جعلنا النسبة إليها طوباوية وطوباوياً.

(٢) هكذا جرت الأمور كما ظهر من تأليف عصبة الأمم، ثم هيئة الأمم ومجلس الأمن واليونسكو ... والموجهون لسياستها معظمهم من اليهود أو صنائعهم.

ولكيلا تتحرر أيدى العميان من قبضتنا فيما بعد ـ يجب أن نظل متصلين بالطوائف اتصالاً مستمراً، وهو أن لا يكن اتصالاً شخصيا فهو على أى حال اتصال من خلال أشد إخواننا إخلاصًا. وعندما نصير قوة معروفة سنخاطب العامة شخصيا فى المجامع السوقية، وسنثقفها فى الأمور السياسية فى أى اتجاه يمكن أن يلتئم مع ما يناسبنا.

وكيف نستوثق مما يتعلمه الناس فى مدارس الأقاليم (١) ؟ من المؤكد أن ما يقوله رسل الحكومة، أو ما يقوله الملك نفسه ـ لا يمكن أن يجيب فى الذيوع بين الأمة كلها، لأنه سرعان ما ينتشر بلغط الناس .

ولكيلا تتحطم أنظم الأميين قبل الأوان الواجب، أمددناهم بيدنا الخبيرة ، وأمنا غايات اللوالب فى تركيبهم الآلى . وقد كانت هذه اللوالب ذات نظام عنيف ، لكنه مضبوط فاستبدلنا بها ترتيبات تحررية بلا نظام. إن لنا يداً فى حق الحكم، وحق الانتخاب، وسياسة الصحافة وتعزيز حرية الأفراد، وفيما لا يزال أعظم خطراً وهو التعليم الذى يكون الدعامة الكبرى للحياة الحرة .

ولقد خدعنا الجيل الناشىء من الأميين ، وجعلناه فاسداً متعفناً بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها، ولقد حصلنا على نتائج مفيدة خارقة من غير تعديل فعلى للقوانين السارية من قبل، بل بتحريفها فى بساطة، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها.

وقد صارت هذه النتائج أولاً ظاهرة بما تحقق من أن تفسيراتنا قد غطت على المعنى الحقيقى، ثم مسختها تفسيرات غامضة إلى حد أنه استحال على الحكومة أن توضح مثل هذه المجموعة الغامضة من القوانين.

ومن هنا قام مذهب عدم التمسك بحرفية القانون، بل الحكم بالضمير، ومما يختلف فيه أن تستطيع الأمم النهوض بأسلحتها ضدنا إذا اكتشفت خططنا قبل الأوان،وتلافياً لهذا نستطيع أن نعتمد على القذف فى ميدان العمل بقوة رهيبة سوف تملأ أيضاً قلوب أشجع

(١) هكذا تسميها بعض الصحف العربية، وتعني بها أقسام البلاد الريفية في أي قطر ما عدا عاصمته، وكانت في التقسيم الإداري العربي قديما تسمي الأعمال، أو الكور، وكان يسمى واحدها عملا أو كورة فصار يسمى في بعض البلاد العربية الآن مديرية أو محافظة، وفي بعضها ولاية، أو إيالة، أو متصرفية، أو لواء، ويسمي حاكمها ـ تبعا لكل منها المدير أو المحافظ أو الوالي أو المتصرف.

الرجال هولاً ورعباً. وعندئذ ستقام فى كل المدن الخطوط الحديدية المختصة بالعواصم والطرقات الممتدة تحت الأرض. ومن هذه الأنفاق الخفية سنفجر وننسف كل مدن العالم، ومعهاأنظمتهاوسجلاتها جميعا (*) (١) .

البروتوكول العاشـــر :

اليوم سأشرع فى تكرار ما ذكر من قبل، وأرجو منكم جميعا أن تتذكروا أن الحكومات والأمم تقنع فى السياسة بالجانب المبهرج الزائف من كل شىء ، نعم، فكيف يتاح لهم الوقت لكى يختبروا بواطن الأمور فى حين أن نوابهم الممثلين لهمRepresentatives لا يفكرون إلا فى الملذات؟.

من الخطير جداً فى سياستنا أن تتذكروا التفصيل المذكور آنفاً، فإنه سيكون عوناً كبيراً لنا حينما تناقش مثل هذه المسائل : توزيع السلطة وحرية الكلام، وحرية الصحافة والعقيدة، وحقوق تكوين الهيئات والمساواة فى نظر القانون، وحرمة الممتلكات والمساكن، ومسألة فرض الضرائب (فكرة سرية فرض الضرائب) والقوة الرجعية للقوانين. كل المسائل المشابهة لذلك ذات طبيعة تجعل من غير المستحسن مناقشتها علنا أمام العامة. فحيثما تستلزم الأحوال ذكرها للرعاع يجب أن لا تحصى ولكن يجب أن تنشرعنها بعض قرارات بغير مضى فى التفصيل. ستعمل قرارات مختصة بمبادئ الحق

(*) ربما كان التعبير مجازياً، يشير إلى وسائل كالبلشفية. (عن الأصل الإنجليزى) .

(١) هذه القوى التى يشير إليها اليهود فى أحداث الاضطرابات أو الانقلابات السياسية تتخذ عناوين مختلفة فى شتى بلاد العالم، فهى تارة جمعيات دينية، وثانية سياسية،وثالثة خيرية أو ماسونية أو أدبية، أو صوفية أو إصلاحية، والجمعيات من النوعين الأولين هى أخطر الجمعيات وأكثرها انتشاراً فى بلاد الشرق، فمن المعروف إن اليهود يدخلون فى الاديان الأخرى كالمسيحية والإسلام ويمضى جيلان أو أكثر، وإذا ابناؤهم مسيحيون أو مسلمون لا يرتاب فى إخلاصهم لدينهم الجديد، بل لا يعرف عنهم أنهم من أصل يهودى ويؤلفون الجمعيات الدينية المسيحية أو الإسلامية أوالسياسية أو ينضمون إلى هيئات من هذا القبيل، ويحاولون أن يسيطروا عليها ويسخروها لخدمة اليهود. وهم دون شك معروفون من اليهود ولكنهم لايبوحون بسرهم ضرورة، وهؤلاء يعتمدون غالبا على إخفاء أصولهم بالتنقل من جهة إلى جهة، فإذا سئلوا عن موطنهم الأصلى فى قطر : أجابوا جواباً صحيحاً أو غير صحيح بأنهم من هذا المكان الأخير،وهكذا إذا انتقلوا إلى مكان آخر، فإذا حاول محاول أن يتتبع أصولهم وقع فى حيرة لاقرار له فيها، وإذا شك فيهم قابله الناس بالدهشة والإنكار، لا لشىء إلا لأن غرورهم بأنفسهم يحول بينهم وبين الاعتراف له بمعرفة ما لم يعرفوه، وليس له عليه من دليل يخرق عيونهم خرقا. وهكذا يسير على هذه السياسة الماكرة الزنوج فى أمريكا فراراً من اضطهاد الأمريكان للزنوج .

المستحدث على حسب ما ترى وأهمية الكتمان تكمن فى حقيقة أن المبدأ الذى لا يذاع علناً يترك لنا حرية العمل، مع أن مبدأ كهذا إذا أعلن مرة واحدة يكون كأنه قد تقرر.

إن الأمة لتحفظ لقوة العبقرية السياسية احتراماً خاصاً وتحمل كل أعمال يدها العليا، وتحييها هكذا (١) : « يالها من خيبة قذرة؛ ولكن يا لتنفيذها بمهارة ! » « ياله من تدليس، ولكن يا لتنفيذه بإتقان وجسارة!».

إننا نعتمد على اجتذاب كل الأمم للعمل على تشييد الصرح الجديد الذى وضعنا نحن تصميمه . ولهذا السبب كان من الضرورى لنا أن نحصل على خدمات الوكلاء المغامرين الشجعان الذين سيكون فى استطاعتهم أن يتغلبوا على كل العقبات فى طريق تقدمنا.

وحينما ننجز انقلابنا السياسى Coup d,etat سنقول للناس: «لقد كان كل شىء يجرى فى غاية السوء، وكلكم قد تألمتم، ونحن الآن نمحق سبب آلامكم، وهوما يقال له: القوميات، والعملات القومية، وأنتم بالتأكيد أحرار فى اتهامنا، ولكن هل يمكن أن يكون حكمكم نزيها إذا نطقتم به قبل أن تكون لكم خبرة بما نستطيع أن نفعله من أجل خيركم؟» (٢) .

حينئذ سيحملوننا على أكتافهم عالياً فى انتصار وأمل وابتهاج، وإن قوة التصويت التى دربنا عليها الأفراد التافهين من الجنس البشرى بالاجتماعات المنظمة وبالاتفاقات المدبرة من قبل، ستلعب عندئذ دورها الآخير، وهذه القوة التى توسلنا بها، كى «نضع انفسنا فوق العرش»، ستؤدى لنا ديننا الأخير وهى متلهفة كى ترى نتيجة قضيتنا قبل أن تصدر حكمها .

---

(١) المعنى إن السياسى إذا خدع الجماهير ثم عرفت خديعته لم تحتقره ولم تضره،بل تقابل خداعه لها بالدهشة، معجبة ببراعته فى أنه خدعها فإذا قيل لها: إنه غشاش.قالت: ولكنه بارع، وإذا قيل: إنه دجال قذر، قالت: ولكنه شجاع.. فهى كالنساء تمنح إعجابها لمن لا يستحقه متى أذهلها وأخضعها،وتغالط نفسها بغفلتها.. وهذا السر من أدق أصول السياسة.

(٢) إن الشيوعية اليهودية تنفذ هذه الخطة فى روسيا، وشبيه بهذا ما يحدث عقب كل انقلاب سياسى فى أمة إذ ينعى أصحابه على سابقيهم أخطاءهم ويكبرونها ويتزيدون عليها ويرسمونها فى أشنع الصور، وهم يحرصون على ذلك اكثر من حرصهم على بيان محاسن حكمهم الجديد، سواء كانوا خيراً من السابقين أو شراً منهم، والدهماء كالأنعام لا يميزون الخبيث من الطيب. ولكن العلية فى أعلى الأمم وأدناها هم المسئولون عن ذلك خيره وشره حتى حين يغلبهم السفهاء.

ولكى نحصل على أغلبية مطلقة ـ يجب أن نقنع كل فرد بلزوم التصويت من غير تمييز بين الطبقات. ـ إن هذه الأغلبية لن يحصل عليها من الطبقات المتعلمة ولا من مجتمع مقسم إلى فئات.

فإذا أوحينا إلى عقل كل فرد فكرة أهميته الذاتية فسوف ندمر الحياة الأسرية [1] بين الأمميين، وتفسد أهميتها التربوية، وسنعوق الرجال ذوى العقول الحصيفة عن الوصول إلى الصدارة، وأن العامة ـ تحت إرشادنا ـ ستبقى على تأخر أمثال هؤلاء الرجال، ولن تسمح لهم أبداً أن يقرروا لهم خططًا [2].

لقد اعتاد الرعاع أن يصغوا إلينا نحن الذين نعطيهم المال لقاء سمعهم وطاعتهم. وبهذه الوسائل سنخلق قوة عمياء إلى حد أنها لن تستطيع أبداً أن تتخذ أى قرار دون إرشاد وكلائنا الذين نصبناهم لغرض قيادتها.

وسيخضع الرعاع لهذا النظام System لأنهم سيعرفون أن هؤلاء القادة مصدر أجورهم وأرباحهم وكل منافعهم الأخرى. إن نظام الحكومة يجب أن يكون عمل رأس واحد، لأنه سيكون من المحال تكتيله إذا كان عملاً مشتركاً بين عقول متعددة، وهذا هو السبب فى أنه لا يسمح لنا إلا بمعرفة خطة العمل، بل يجب ألا نناقشها بأى وسيلة، حتى لا نفسد تأثيرها، ولا نعطل وظائف أجزائها المنفصلة، ولا المعنى لكل عنصر فيها، نوقشت مثل هذه الخطط، وغيرت بتوالى الخضوع للتنقيحات ـ إذن لاختلطت بعد ذلك بنتائج كل إساءات الفهم العقلية التى تنشأ من أن المصورتين لا يسبرون الأغوار العقيمة لمعانيها، ولذلك لا بد أن تكون خططنا نهائية وممحصة تمحيصاً منطقياً. وهذا هو السبب فى أننا يجب أن لا نرمى العمل الكبيرمن قائدنا ليتمزق أجزاء على أيدى الرعاع ولا على أيدى عصبة.Glique صغيرة أيضاً .

إن هذه الخطط لن تقلب اليوم الدساتير والهيئات القائمة، بل ستغير نظريتها الاقتصادية فحسب، ومن ثم تغير كل طريق تقدمها الذى لا بد له حينئذ أن يتبع الطريق الذى تفرضه خططنا.

---

(١) إن اليهود يحاولون فى روسيا تحطيم نظام الأسرة لأنه أقوى عقبة ضد نظامهم بل يحاربونه علميا فى كل مكان كما يظهر من آراء « دور كايم» اليهودى فى علم الاجتماع فى فرنسا..

(٢) هذه الخطة تنفذ اليوم بنجاح عظيم، والجماهير التى لا تحسن تقدير الأمور التى فوق مستواها،لا يعنيها إلا اللغط بما يقال لها دون تمييز، بل كلما انحط الشىء ولو كان كذباً أو خطأ ـ أقرب إلى ذوقها وأرضى لها.

فى كل البلاد تقوم هذه الهيئات ذاتها ولكن تحت أسماء مختلفة فحسب: فمجالس نواب الشعب، والوزارات، والشيوخ، ومجالس العرش من كل نوع، ومجالس الهيئات التشريعية والإدرية.

ولا حاجة بى إلى أن أوضح لكم التركيب الآلى الذى يربط بين هذه الهيئات المختلفة، فهو معروف لكم من قبل معرفة حسنة. ولتلاحظوا فحسب أن كل هيئة من الهيئات السالفة الذكر توافى وظيفة مهمة فى الحكومة . (إنى أستعمل الكلمة « مهمة » لا إشارة إلى الهيئات بل إشارة إلى وظائفها) .

لقد اقتسمت هذه الهيئات فيما بين أنفسها كل وظائف الحكومة التى هى السلطة القضائية والسلطة التشريعية والسلطة التنفيذية. وقد صارت وظائفها مماثلة لوظائف الأعضاء المتميزة المتنوعة من الجسم الإنسانى.

فإذا آذينا أى جزء فى الجهاز الحكومى فتسقط الدولة مريضة كما يمرض الجسم الإنسانى، ثم يموت، وحينما حققنا نظام الدولة بسم الحرية تغيرت سحنتها السياسية وصارت الدولة موبوءةInfected بمرض مميت، وهو مرض تحلل الدم Decompocation of the bIood ولم يبق لها إلا ختام سكرات الموت.

لقد ولدت الحرية الحكومات الدستورية التى احتلت مكان الأوتوقراطية Auto-ceacy وهى وحدها صورة الحكومة النافعة لأجل الأمميين (غير اليهود). فالدستور كما تعلمون ليس أكثر من مدرسة للفتن والاختلافات والمشاحنات والهيجانات الحزبية العقيمة، وهو بإيجاز مدرسة كل شىء يضعف نفوذ الحكومة.

وإن الخطابة. كالصحافة، قد مالت إلى جعل الملوك كسالى ضعافاً، فردتهم بذلك عقماء زائدين على الحاجة، ولهذا السبب عزلوا فى كثير من البلاد.

وبذلك صار فى الإمكان قيام عصر جمهورى، وعندئذ وضعنا فى مكان الملك ضحكة (١) فى شخص رئيس يشبهة (٢) قد اخترناه من الدهماء بين مخلوقاتنا وعبيدنا.

---

(١) الضحكة الشخص الذى يضحك منه، وهو ترجمة caricature التى تعنى صورة هذلية مضحكة، والصور الكاريكاتيرية معروفة ؟ .

(٢) يمكن أن تترجم الكلمة president بكلمات كثيرة كلها تدل على الرياعنة، ولما كان المراد بها رأس الجمهورية كما يتضح من الكلام « الآتى » وهو يسمى فى لغتها الجارية اليوم « الرئيس » وضعنا الرئيس مقابل لها.

وهكذا ثبتنا اللغم الذي وضعناه تحت الأميين، أو بالأحرى تحت الشعوب الأمية، وفى المستقبل القريب سنجعل الرئيس شخصاً مسئولاً.

ويومئذ لن نكون حائرين فى أنِ ننفذ بجسارة خططنا التى سيكون « دميتنا » «Dummy (١) » مسؤولا عنها، فماذا يعنينا إذا صارت رتب طلاب المناصب ضعيفة، وهبت القلاقل من استحالة وجود رئيس حقيقة؟ أليس هذه القلاقل هى التى ستطيح نهائياً بالبلاد؟.

ولكى نصل إلى هذه النتائج سندبر انتخاب أمثال هؤلاء الرؤساء ممن تكون صحائفهم السابقة مسودة بفضيحة « بنامية Panama » (٢) أو صفقة أخرى سرية مريبة. إن رئيسنا من هذا النوع سيكون منفذاً وافياً لأغراضنا، لأنه سيخشى التشهير، وسيبقى خاضعاً لسلطان الخوف الذى يتملك دائماً الرجل الذى وصل إلى السلطة، والذى يتلهف على أن يستبقى امتيازاته وأمجاده المرتبطة بمركزه الرفيع . إن مجلس ممثلى الشعب The House of Representatives سينتخب الرئيس ويحميه ويستره ، ولكننا سنحرم هذا المجلسhouse سلطة تقديم القوانين وتعديلها .

هذه السلطة سنعطيها الرئيس المسئول الذى سيكون ألعوبة خالصة Mare puppet فى أيدينا، وفى تلك الحال ستصير سلطة الرئيس هدفاً معرضاً للمهاجمات المختلفة، ولكننا سنعطيه وسيلة الدفاع ، وهى حقه فى أن يستأنف القرارات محتكماً إلى الشعب الذى هو فوق ممثلى الأمة (٣) أى أن يتوجه الرئيس إلى الناس الذين هم عبيدنا العميان، وهم أغلبية الدهماء.

---

(١) الدمية ما نسميه« العروسة » وهى من لعب الأطفال ، والمراد بالدمية هنا رئيس الجمهورية.

(٢) حين نجح دلسبس فى حفر قناة السويس كلف بحفر قناة بناما بين أمريكا الشمالية والجنوبية، فخاب واتهم بالنصب والتدليس، وقدم للمحاكمة هو وابنه ، كما قدم غيرهما ومات هو أثناء المحاكمة وسجن ابنه والمراد بالفضيحة البنامية فضيحة بتهمة شائنة كهذه الفضيحة، ومرتكب هذه الجريمة خاضع لمن يعرفون أسرارها، فاليهود يحاولون استغلالها فى إكراهه على ما يريدون فيطيعهم خوف الفضيحة واليهود يختارون وكلاءهم عادة من هؤلاء كما ذكروا فى آخر البروتوكولات ..

(٣) أى سيكون من حقه حل البرلمان، والاحتكام إلى الأمة لاختيار ممثلين حدد لها، لأنها صاحبة الحق فى اختيار من يمثلونها، وفى أثناء عملية الانتخاب يعتمد اليهود على خداع الجماهير الغافلة التى لا تميز بين حق وباطل، ولا بين أمين وخائن، كى تنتخب صنائعهم، الذين سيؤيدون الرئيس فى أعماله لخدمة اليهود. ولا اعتراض لأمة على أعمالهم لأنهم ممثلوها.

وإلى ذلك سنعطى الرئيس سلطة إعلان الحكم العرفى، وسنوضح هذا الامتياز بأن الحقيقة هى أن الرئيس ـ لكونه رئيس الجيش ـ يجب أن يملك هذا الحق لحماية الدستور الجمهورى الجديد، فهذه الحماية واجبة لأنه ممثلها المسئول.

وفى مثل هذه الأحوال سيكون مفتاح الموقف الباطنى فى أيدينا بالضرورة وما من أحد غيرنا سيكون مهيمناً على التشريع. ويضاف إلى ذلك أننا حين نقدم الدستور الجمهورى الجديد سنحرم المجلس ـ بحجة سر الدولة ـ حق السؤال عن القصد من الخطط التى تتخذها الحكومة. وبهذا الدستور الجديد سننقص كذلك عدد ممثلى الأمة إلى أقل عدد ، منقصين بذلك عددا مماثلاً من الأهواء السياسية ، والولع بالسياسة (١). وإذا صاروا معارضين بالرغم من هذا فإننا سنسمح للممثلين الباقين بالاحتكام إلى الأمة، وسيكون حقاً لرئيس الجمهورية أن يعين رئيساً ووكيلا لمجلس النواب ومثلهما ولمجلس الشيوخ ، ونستبدل بفترات الانعقاد المستمرة للبرلمانات فترات قصيرة مدى شهور قليلة.

وإلى ذلك سيكون لرئيس الجمهورية ـ باعتباره رأس السلطة التنفيذية ـ حق دعوة البرلمان وحله. وسيكون له فى حالة الحل إرجاء الدعوة لبرلمان جديد. ولكن ـ لكيلا يتحمل الرئيس المسئولية عن نتائج هذه الأعمال المخالفة للقانون مخالفة صارخة، من قبل أن تبلغ خططنا وتستوى ـ سنغرى الوزراء وكبار الموظفين الإداريين الآخرين الذين يحيطون بالرئيس ، كى يموهوا أوامره، بأن يصدروا التعليمات من جانبهم، وبذلك نضطرهم إلى تحمل المسئولية بدلاً من الرئيس، وسننصح خاصة بأن تضم هذه الوظيفة إلى مجلس الشيوخ أو إلى مجلس شورى الدولة ، أو إلى مجلس الوزراء ، وأن لا توكل إلى الأفراد(٢). وبإرشادنا سيفسر الرئيس القوانين التى يمكن فهمها بوجوه عدة.

---

(١) لكل واحد من ممثلى الأمة نزعته وهواه السياسى، ومصالحه الذاتية التى إذا لم يمكنه منها الإدارى هاجمه مستتراً بالوطنية فى أمور سياسية أخرى لا صلة لها بمصلحته الخاصة وهذا لا يقع إلا فى أمة قاصرة الوعى السياسى، حديثة عهد بالديمقراطية، والمعنى أنه كلما قل ممثلو الأمة قلت النزعات والأهواء السياسية، وقلت المصالح الذاتية للممثلين ، فسهل على الإدارى مواجهتها واحتمالها لقلتها وهذا خطأ والمعول عليه فى الأمة هى الوعى السياسى.

(٢) وإذن تكون الحكومة أوتوقراطية دكتاتورية فى الحقيقة، وديمقراطية شورية فى ظاهرها، إذ سيكون ممثلو الأمة أستاراً أو آلات تنفذ ما تريده الإدارة الممثلة فى الرئيس وأعوانه، والحكومة الأوتقراطية وحدها هى أمل اليهود لسهولة العبث بها وإخضاعها لشهواتهم الشيطانية.

وهو ـ فوق ذلك ـ سينقض القوانين فى الأحوال التى نعد فيها هذا النقض أمراً مرغوباً فيه. وسيكون له أيضاً حق اقتراح قوانين وقتية جديدة، بل له كذلك إجراء تعديلات فى العمل الدستورى للحكومة محتجا لهذا العمل بأنه أمر تقتضيه سعادة البلاد.

مثل هذه الإجراءات ستمكننا من أن نسترد شيئا فشيئاً أى حقوق أو امتيازات كنا قد اضطررنا من قبل إلى منحها حين لم نكن مستحوزين على السلطة أولاً.

ومثل هذه الامتيازات سنقدمها فى دستور البلاد لتغطية النقص التدريجى لكل الحقوق الدستورية، وذلك حين يحين الوقت لتغيير كل الحكومات القائمة، من أجل أوتوقراطيتنا أن تعرف ملكنا الأوتوقراطى يمكننا أن نتحقق منه قبل إلغاء الدساتير، أعنى بالضبط، أن تعرف حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتهم الخلافات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم (وهذا ما سيكون مدبراً على أيدينا) فيصرخون هاتفين:« إخلعوهم، وأعطونا حاكماً عالمياً واحداً يستطيع أن يوحدنا، ويمحق كل أسباب الخلاف، وهى الحدود والقوميات والأديان والديون الدولية ونحوها... حاكماً يستطيع أن يمنحنا السلام والراحة اللذين لا يمكن أن يوجدا فى ظل حكومة رؤسائنا وملوكنا وممثلينا » (١) .

ولكنكم تعلمون علماً دقيقاً وافياً أنه، لكى يصرخ الجمهور بمثل هذا الرجاء، لا بد أن يستمر فى كل البلاد اضطراب العلاقات القائمة بين الشعوب والحكومات، فتستمر العداوات والحروب، والكراهية، والموت استشهاداً أيضاً، هذا مع الجوع والفقر، ومع تفشى الأمراض وكل ذلك سيمتد إلى حد أن لا يرى الأمميون (غير اليهود) أى مخرج لهم من متاعبهم غير أن يلجأوا إلى الاحتماء بأموالنا وسلطتنا الكاملة (٢) .

ولكننا إذا أعطينا الأمة وقتاً تأخذ فيه نَفَسَها فإن رجوع مثل هذه الفرصة سيكون من العسير .

---

(١) وهذا ما تنفذه الشيوعية اليهودية فى روسيا وتحاول نشره فى العالم مما يدل على أن الشيوعية إنما تنفذ السياسة الصهيونية وأنها ليست إلا جزءاً منها وآلة لها (انظر الترجمة العربية لكتاب « آثرت الحرية »).

(٢) أى إذا تركت للأمة فرصة تستريح فيها من المتاعب فإن ضيقها يخف قليلاً، فإذا دعيت للثورة على حالتها لم تلب النداء وصبرت على الضيق، لأن عندها بقية احتمال، ففترات الراحة المتقطعة ولو قصرت تهون على الأمة آلامها فلا تطلب التغيير عن طريق الثورة والانقلاب بل تحاول إصلاح أحوالها بالحكمة والصبر.

البروتوكول الحادى عشر:

إن مجلس الدولة State covneil سيفصل ويفسر سلطة الحاكم، وإن هذا المجلس ـ وله مقدرته كهيئة تشريعية رسمية ـ سيكون المجمع الذى يصدر أوامر القائمين بالحكم.

وها هو ذا برنامج الدستور الجديد الذى نعده للعالم. أننا سنشرع القوانين، ونحدد الحقوق الدستورية وننفذها بهذه الوسائل:

١ ـ أوامر المجلس التشريعى المقترحة من الرئيس.

٢ ـ التوسل بأوامر عامة وأوامر مجلس الشيوخ ومجلس شورى الدولة والتوسل بقرارات مجلس الوزراء.

٣ ـ التوسل بانقلاب سياسى Coupd.'etat حينما تسنح اللحظة الملائمة.

هذا ـ ومع تصميمنا تقريباً على خطة عملنا ـ سنناقش من هذه الأجزاء ما قد يكون ضرورياً لنا، كى نتم الثورة فى مجموعات دواليب جهاز الدولة حسب الاتجاه الذى وضحته من قبل. وأنا أقصد بهذه الأجزاء حرية الصحافة، وحقوق تشكيل الهيئات، وحرية العقيدة، وانتخاب ممثلى الشعب، وحقوقاً كثيرة غيرها سوف تختفى من حياة الإنسان اليومية. وإذا هى لم تختف جميعاً فسيكون تغييرها أساسياً منذ اليوم التالى لإعلان الدستور الجديد. وسنكون فى هذه اللحظة المعينة وحدها آمنين كل الأمان، لكى نعلن كل تغييراتنا. وهناك سبب آخر هو أن التغييرات التى يحسها الشعب فى أى وقت ـ قد يثبت أنها خطرة؛ لأنها إذا قدمت بعنف وصرامة، وفرضت قهراً بلا تبصر فقد تسخط الناس، إذا هم سيخافون تغييرات جديدة فى اتجاهات مشابهة. ومن جهة أخرى إذا كانت التغييرات تمنح الشعب ولو امتيازات أكثر فسيقول الناس فيها: أننا تعرفنا أخطاءنا. وإن ذلك يغض من جلال عصمته [1] السلطة الجديدة. وربما يقولون أننا قد فزعنا وأكرهنا على الخضوع. وفى تلك الحال لن يشكرنا العالم، كما أنهم سيعدون أن من حقهم دائماً الخضوع لما يريدون. وإذا انطبع أى من هذه الآثار على عقول العامة فسيكون خطراً بالغاً على الدستور الجديد.

---

(١) وضعنا كلمة عصمة مقابل Infallibility ومعناها عدم السقوط فى الخطأ وقد استعملت كلمة العصمة فى كتب الكلام (التوحيد) بهذا المعنى فيقال: النبى معصوم أى منزه عن الخطأ، ومعنى العصمة فى الأصل الامتناع.

إنه ليلزمنا منذ اللحظة الأولى لإعلانه ــ بينما الناس لا يزالون يتألمون من آثار التغيير المفاجئ، وهم في حالة فزع وبلبلة ـ أن يعرفوا أننا بلغنا من عظم القوة والصلابة والامتلاء بالعنف أفقاً لن ننظر فيه إلى مصالحهم نظر احترام. سنريد منهم أن يفهموا أننا نتنكر لآرائهم ورغباتهم فحسب، بل سنكون مستعدين فى كل زمان وفى كل مكان لأن نخنق بيد جبارة أى عبارة أو إشارة إلى المعارضة (١) .

سنريد من الناس أن يفهموا أننا استحوذنا على كل شيء أردناه، وأننا لن نسمح لهم فى أى حال من الأحوال أن يشركونا فى سلطتنا، وعندئذ سيغمضون عيونهم على أى شيء بدافع الخوف، وسينتظرون فى صبر تطورات أبعد.

إن الأمميين (غير اليهود) كقطيع من الغنم ، وأننا الذئاب ، فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب إلى الحظيرة؟ إنها لتغمض عيونها عن كل شيء. وإلى هذا المصير سيدفعون، فسنعدهم بأننا سنعيد إليهم حرياتهم بعد التخلص من أعداء العالم ، واضطرار كل الطوائف إلى الخضوع. ولست فى حاجة ملحة إلى أن أخبركم إلى متى سيطول بهم الانتظار حتى ترجع إليهم حرياتهم الضائعة (٢).

أى سبب أغرانا بابتداع سياستنا، وبتلقين الأمميين إياها ؟ لقد أوحينا إلى الأمميين هذه السياسة دون أن ندعهم يدركون مغزاها الخفى وماذا حفزنا على هذا الطريق للعمل إلا عجزنا ونحن جنس مشتت عن الوصول إلى غرضنا بالطرق المستقيمة، بل بالمراوغة فحسب؟ هذا هو السبب الصحيح، والأصل فى تنظيمنا للماسونية التى لا يفهمها أولئك الخنازير swine من الأمميين، ولذلك لا يرتابون فى مقاصدها لقد أوقعناهم فى كتلة محافلنا التى لا تبدو شيئاً أكثر من ماسونية كى نذر الرماد فى عيون رفقائهم.

من رحمة الله أن شعبه المختار مشتت، وهذا التشتت الذى يبدو ضعفاً فينا أمام العالم ــ قد ثبت أنه كل قوتنا التى وصلت بنا إلى عتبة السلطة العالمية (٣) .

---

(١) هذا ما يجرى فى روسيا الشيوعية الآن تماماً، مما يدل على أن سياستها تسير حسب خطة البروتوكولات ، وأن سياستها يهودية خالصة.

(٢) أى أن هذه الحريات لن ترجع إليهم أبداً وأن كل وعودنا خداع وتضليل.

(٣) هذه حقيقة من أغرب الحقائق وأصدقها، فإن تشتت اليهود فى أقطار العالم مع تماسكهم قد جعلهم ذوى نفوذ فى كل قطر، وهم يسخرون كل الأقطار التى عظم نفوذهم فيها كبريطانيا وأمريكا وروسيا وغيرها لمصلحتهم =

ليس لدينا أكثر من أن نبنى على هذه الأسس، لكى نصل إلى هدفنا.

البروتوكول الثانى عشر:

إن كلمة الحرية التى يمكن أن تفسر بوجوه شتى سنجدها هكذا « الحرية هى حق عمل ما يسمح به القانون » تعريف الكلمة هكذا سينفعنا على هذا الوجه: إذ سيترك لنا أن نقول أين تكون الحرية، وأين ينبغى أن لا تكون، وذلك لسبب بسيط هو أن القانون لن يسمح إلا بما نرغب نحن فيه.

وسنعامل الصحافة على النهج الآتى: ما الدور الذى تلعبه الصحافة فى الوقت الحاضر؟ إنها تقوم بتهييج العواطف الجياشة فى الناس، وأحياناً بإثارة المجادلات الحزبية الأنانية التى ربما تكون ضرورية لمقصدنا. وما أكثر ما تكون فارغة ظالمة زائفة، ومعظم الناس لا يدركون أغراضها الدقيقة أقل إدراك. إننا وسنسرجها وسنقودها بلجم حازمة. وسيكون علينا أيضاً أن نظفر بإدارة شركات النشر الأخرى، فلن ينفعنا أن نهيمن على الصحافة الدورية بينما لا نزال عرضة لهجمات النشرات pamphletc والكتب. وسنحول إنتاج النشر الغالى فى الوقت الحاضر مورداً من موارد الثروة يدر الربح لحكومتنا ؛ بتقديم ضريبة دمغة معينة وبإجبار الناشرين على أن يقدموا لنا تأمينا، لكى نؤمن حكومتنا من كل أنواع الحملات من جانب الصحافة وإذا وقع هجوم فسنفرض عليها الغرامات عن يمين وشمال. إن هذه الإجراءات كالرسوم والتأمينات والغرامات ستكون مورد دخل كبير للحكومة، ومن المؤكد أن الصحف الحزبية لن يردعها دفع الغرامات الثقيلة [1]. ولذلك فإننا عقب هجوم خطير ثان ـ سنعطلها جميعاً .

وما من أحد سيكون قادراً دون عقاب على المساس بكرامة عصمتنا السياسية. وسنعتذر عن مصادرة النشرات بالحجة الآتية، سنقول: النشرة التى صودرت تثير الرأى العام على غير قاعدة ولا أساس .

= الذاتية ، كما ظهر أثناء اقامتهم لدولتهم « إسرائيل » وغير ذلك من الأحداث الجارية، فليتدبر ذلك الغافلون، وكل جالية يهودية فى دولة أنما هى جمعية سرية تعمل لمصلحة اليهود ولو ضد الشعب الذى يساكنونه .

(١) سبب ذلك أن الأحزاب تتحمل عن صحفها ما تدفعه من غرامات فهى لا تبالى بالغرامة، ولكن الصحف غير الحزبية تدفع ما تغرم من مالها فهى لا تجرؤ جرأة الصحف الحزبية على أى هجوم وراءه غرم لها.

غير أني سأسألكم توجيه عقولكم إلى أنه ستكون بين النشرات الهجومية نشرات نصدرها نحن لهذا الغرض، ولكنها لا تهاجم إلا النقط التي نعتزم تغييرها في سياستنا. ولن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر على إرادتنا. وهذا ما قد وصلنا إليه حتى في الوقت الحاضر كما هو واقع: فالأخبار تتسلمها وكالات Agencies قليلة [1] تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم. وحينما نصل إلى السلطة ستنضم هذه الوكالات جميعاً إلينا، ولن تنشر إلا ما نختار نحن التصريح به من الأخبار.

إذا كنا قد توصلنا في الأحوال الحاضرة إلى الظفر بإدارة المجتمع الأممي (غير اليهودي) إلى حد أنه يرى أمور العالم خلال المناظير الملونة التي وضعناها فوق أعينه: وإذا لم يقم حتى الآن عائق يعتاق وصولنا إلى أسرار الدولة. كما تسمى لغباء الأمميين، إذن فماذا سيكون موقفنا حين تعرف رسمياً كحكام للعالم في شخص إمبراطورنا الحاكم العالمي ؟.

ولنعد إلى مستقبل النشر. كلّ إنسان يرغب في أن يصير ناشراً أو كاتبًا أو طباعًا سيكون مضطراً إلى الحصول على شهادة ورخصة ستسحبان منه إذا وقعت منه مخالفة.

والقنوات [2] التي يجد فيها التفكير الإنساني ترجماناً له ـ ستكون بهذه الوسائل خالصة في أيدي حكومتنا التي ستتخذها هي نفسها وسيلة تربوية، وبذلك ستمنع الشعب أن ينقاد للزيغ بخيال « التقدم » والتحرر. ومن هنا لا يعرف أن السعادة الخيالية هي الطريق المستقيم إلى الطوبىUtopia التي انبثقت منها الفوضى وكراهية السلطة؟ وسبب ذلك بسيط، هو أن «التقدم» أو بالأحرى فكرة التقدم التحرري قد أمدت الناس بأفكار مختلطة للعتق Emancipation من غير أن تضع أي حد له . إن كل من يسمون متحررين فوضويون، إن لم يكونوا في عملهم ففيأفكارهم على التأكيد. كل واحد منهم يجري وراء طيف الحرية ظاناً أنه يستطيع أن يفعل ما يشاء، أي أن كل واحد منهم ساقط في حالة فوضى في المعارضة التي يفضلها لمجرد الرغبة في المعارضة.

---

(١) أي الوكالات الإخبارية، ويلاحظ إن معظم هذه الوكالات تخضع لليهود الآن، فمعظم ما كانوا يشتهونه قد تحقق لهم الآن.

(٢) المراد بالقنوات المطبوعات التي يعبر الناس فيها عن آرائهم كالكتب والرسائل والنشرات ونحوها.

ولنناقش الآن أمر النشر: إننا سنفرض عليه ضرائب بالأسلوب نفسه الذى فرضنا به الضرائب على الصحافة الدورية، أى من طريق فرض دمغاتٍ وتأمينات. ولكن سنفرض على الكتب التى تقل عن ثلثمائة صفحة ضريبة مضاعفة فى ثقلها ضعفين. وأن الكتب القصيرة سنعتبرها نشرات Pamphlets ، لكى نقلل نشر الدوريات التى تكون أعظم سموم النشر فتكاً.

وهذه الإجراءات ستكره الكتاب أيضاً على أن ينشروا كتباً طويلة، ستقرأ قليلاً بين العامة من أجل طولها ، ومن أجل أثمانها العالية بنوع خاص . ونحن أنفسنا سننشر كتباً رخيصة الثمن كى نعلم العامة ونوجه عقولنا فى الاتجاهات التى نرغب فيها . إن فرض الضرائب سيؤدى إلى الإقلال من كتابة دب الفراغ الذى لا هدف له. وإن كون المؤلفين مسئولين أمام القانون سيضعهم فى أيدينا، ولن يجد أحد يرغب مهاجمتنا بقلمه ناشراً ينشر له.

قبل طبع أى نوع من الأعمال سيكون على الناشر أو الطابع أن يلتمس من السلطات إذناً بنشر العمل المذكور. وبذلك سنعرف سلفاً كل مؤامرة ضدنا، وسنكون قادرين على سحق رأسها بمعرفة المكيدة سلفاً ونشر بيان عنها.

الأدب والصحافة هما أعظم قوتين تعليميتين خطيرتين. ولهذا السبب ستشترى حكومتنا العدد الأكبر من الدوريات.

وبهذه الوسيلة سنعطل Neutralise التأثير السيئ لكل صحيفة مستقلة ، ونظفر بسلطان كبير جدا على العقل الإنسانى . وإذا كنا نرخص بنشر عشر صحف مستقلة فسنشرع حتى يكون لنا ثلاثون وهكذا دواليك .

ويجب ألايرتاب الشعب أقل ريبة فى هذه الإجراءات، ولذلك فإن الصحف الدورية التى ننشرها ستظهر كأنها معارضة لنظراتنا وآرائنا فتوحى بذلك الثقة إلى القراء، وتعرض منظراً جذاباً لأعدائنا الذين لا يرتابون فينا؛ وسيقعون لذلك فى شركنا (١) وسيكونون مجردين من القوة.

---

(١) أى سيكشفون أنفسهم فيها لليهود ، ويمكنون لهم من الاتصال بهم ، فيعاملونهم بما يضمن ولاءهم، ويضعهم تحت رحمتهم كما وضحته السطور التالية .

وفى الصف الأول سنضع الصحافة الرسمية. وستكون دائماً يقظة للدفاع عن مصالحنا، ولذلك سيكون نفوذها على الشعب ضعيفاً نسبياً. وفى الصف الثانى سنضع الصحافة شبه الرسمية Semi Official التى سيكون واجبها استمالة المحايد (١) وفاتر الهمة، وفى الصف الثالث سنضع الصحافة التى تتضمن معارضتنا، والتى ستظهر فى إحدى طبعاتها مخاصمة لنا، وسيتخذ أعداؤنا الحقيقيون هذه المعارضة معتمداً لهم، وسيتركون لنا أن نكشف أوراقهم بذلك.

ستكون لنا جرائد شتى تؤيد الطوائف المختلفة: من أرستقراطية وجمهورية، وثورية، بل فوضوية أيضاً ـ وسيكون ذلك طالما أن الدساتير قائمة بالضرورة. وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندى فشنو Vishnu (٢). لها مئات الأيدى، وكل يد ستجس نبض الرأى العام المتقلب.

ومتى أراد النبض سرعة فإن هذه الأيدى ستجذب هذا الرأي نحو مقصدنا، لأن المريض المهتاج الأعصاب سهل الانقياد وسهل الوقوع تحت أي نوع من أنواع النفوذ. وحين يمضى الثرثارون في توهم أنهم يرددون رأى جريدتهم الحزبية فإنهم في الواقع يرددون رأينا الخاص، أو الرأي الذي نريده. ويظنون أنهم يتبعون جريدة حزبهم على حين أنهم، فى الواقع،يتبعون اللواء الذى سنحركه فوق الحزب، ولكى يستطيع جيشنا الصحافى أن ينفذ روح هذا البرنامج للظهور، بتأييد الطوائف المختلفة ـ يجب علينا أن ننظم صحافتنا بعناية كبيرة.

وباسم الهيئة المركزية للصحافة Central Commission of the press سننظم

---

(١) indifferent أى الذى ليس مع هذا الفريق ولا مع غيره، وخير كلمة عربية تؤدى هذا المعنى كلمة المعتزل، فالاعتزال البعد عن كل طائفة من الطوائف، وهو يسمى فى عرفنا الحياد خطأ وبهذا المعنى سمى بعض علماء الكلام (المعتزلة).

(٢) فشنو مأخوذ من الكلمة السنسكريتية Vish أي يشمل وهو اسم إله هندي بمعنى الشامل أي الحافظ أو الحامي، والثالوث الإلهي في الديانة البرهمية الهندية يشمل برهما Brahma وفشنو وسيفا Siva وهو ليس إلهاً واحدا ذا ثلاثة أقانيم كالثالوث المسيحي في نظر بعض الطوائف المسيحية، ولكنه إله واحد ذو ثلاثة اسماء تطلق عليه بحسب فعله في الكون، فهو براهما حين يكون المبدع، وفشنو حين يكون الحامي وسيفا حين يكون المدمر. وتمثال فشنو يصور علي هيئة إنسان له أيد كثيرة، وهذه الأيدي تشير إلى عمله ومداه، فالأيدي علامة الحماية وكثرتها علامة شمولها وامتدادها إلى كل شيء.

اجتماعات أدبية،وسيعطي فيها وكلاؤنا ــ دون أن يفطن إليهم ــ شارة للضمان Counter-signs وكلمات السر Passwords . وبمناقشة سياستنا ومناقضتها. ومن ناحية سطحية دائمة بالضرورة. ودون مساس في الواقع بأجزائها المهمة ــ سيستمر أعضاؤنا في مجادلات زائفة شكلية Feigned مع الجرائد الرسمية. كي تعطينا حجة لتحديد خططنا بدقة أكثر مما نستطيع في إذاعتنا البرلمانية وهذا بالضرورة لا يكون إلا لمصلحتنا فحسب،وهذه المعارضة من جانب الصحافة ستخدم أيضا غرضنا، إذ تجعل الناس يعتقدون أن حرية الكلام لا تزال قائمة، كما أنها ستعطي وكلاءنا Agents فرصة تظهر أن معارضينا يأتون باتهامات زائفة ضدنا، على حين أنهم عاجزون عن أن يجدوا أساسا حقيقياً يستندون عليه لنقض سياستنا وهدمها.

هذه الإجراءات التى ستختفى ملاحظتها على انتباه الجمهور ــ ستكون أنجح الوسائل فى قيادة عقل الجمهور، وفى الإيحاء إليه بالثقة والاطمئنان إلى جانب حكومتنا .

وبفضل هذه الإجراءات سنكون قادرين على إثارة عقل الشعب وتهدئته فى المسائل السياسية، حينما يكون ضرورياً لنا أن نفعل ذلك وسنكون قادرين على إقناعهم أو بلبلتهم بطبع أخبار صحيحة أو زائفة حقائق أو ما يناقضها، حسبما يوافق غرضنا. وأن الأخبار التى سننشرها ستعتمد على الأسلوب الذى يتقبل الشعب به ذلك النوع من الأخبار وسنحتاط دائما احتياطاً عظيماً لجس الأرض قبل السير عليها.

إن القيود التى سنفرضها على النشرات الخاصة، كما بينت، ستمكننا من أن نتأكد من الانتصار على أعدائنا. إذ لن تكون لديهم وسائل صحفية تحت تصرفهم يستطيعون حقيقة أن يعبروا بها تعبيراً كاملاً عن آرائهم، ولن نكون مضطرين ولو إلى عمل تنفيذ كامل لقضاياهم.

والمقالات الجوفاء Ballon d,essai التى سنلقى بها فى الصف الثالث من صحافتنا سنفندها عفواً، بالضرورة تفنيداً، شبه رسمي Semi-offically .

يقوم الآن في الصحافة الفرنسية نهج الفهم الماسوني (١) لإعطاء شارات الضمان Countersigns فكل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسرار مهنية متبادلة على أسلوب

(١) أى تكوين الجماعة سرياً، والتفاهم بين أعضائها بطريقة لا يفهمها غيرهم.

النبوءات القديمة Ancient oreles ولا أحد من الأعضاء سيفشى معرفته بالسر، على حين أن مثل هذا السر غير مأمور بتعميمه. ولن تكون لناشر بمفرده الشجاعة على إفشاء السر الذى عهد به إليه، والسبب هو أنه لا أحد منهم يؤذن له بالدخول في عالم الأدب، ما لم يكن يخمل سمات [١] Narks بعض الأعمال المخزية Shady فى حياته الماضية. وليس عليه أن يظهر إلا أدنى علامات العصيان حتى تكشف فوراً سماته المخزية. وبينما تظل هذه السمات معروفة لعدد قليل تقوم كرامة الصحفي بجذب الرأى العام إليه فى جميع البلاد. وسينقاد له الناس، ويعجبون به.

ويجب أن تمتد خططنا بخاصة إلى الأقاليم previnces وضرورى لنا كذلك أن نخلق أفكاراً، ونوحى آراء هناك بحيث نستطيع في أي وقت أن ننزلها إلى العاصمة بتقديمها كأنها آراء محايدة للأقاليم .

وطبعاً لن يتغير منبع الفكرة وأصلها: أعني أنها ستكون عندنا.

ويلزمنا ، قبل فرض السلطة ، أن تكون المدن أحيانا تحت نفوذ رأي الأقاليم ــ وهذا يعنى أنها ستعرف رأى الأغلبية الذى سنكون قد دبرناه من قبل ومن الضرورى لنا أن لا تجد العواصم فى فترة الأزمنة النفسية وقتاً لمناقشة حقيقة واقعة، بل تتقبلها ببساطة، لأنها قد أجازتها الأغلبية فى الأقاليم.

وحينما نصل إلى عهد المنهج Regeme الجديد ــ أى خلال مرحلة التحول إلى مملكتنا ــ يجب أن لا نسمح للصحافة بأن تصف الحوادث الإجرامية : إذ سيكون من اللازم أن يعتقد الشعب أن المنهج الجديد مقنع وناجح إلى حد أن الإجرام قد زال .

وحيث تقع الحوادث الإجرامية يجب أن تكون معروفة إلا لضحيتها ولمن يتفق له أن يعاينها [٢] فحسب..

البروتوكول الثالث عشر:

إن الحاجة يومياً إلى الخبز ستكره الأمميين Gentiles على الدوام إكراهاً أن يقبضوا

---

(١) السمات، جمع سمة وهي العلامة والمراد هنا: وصمة عار وخزي.

(٢) من المعاينة وهي من العين، والمعنى أن الجريمة لا يراها إلا المصاب بها، ومن يشهدها لأنه كان في مكان الجريمة مصادفة.

ألسنتهم، ويظلوا خدمنا الأذلاء. وأن أولئك الذين قد نستخدمهم في صحافتنا من الأميين سيناقشون بإيعازات منا حقائق لن يكون من المرغوب فيه أن نشير إليها بخاصة في جريدتنا Gazette الرسمية. وبينما تتخذ كل أساليب المناقشات والمناظرات هكذا سنمضى القوانين التى سنحتاج إليها، وسنضعها أمام الجمهور على أنها حقائق ناجزة.

ولن يجرؤ أحد على طلب استئناف النظر فيما تقرر إمضاؤه، فضلاً عن طلب استئناف النظر بخاصة فيما يظهر حرصنا على مساعدة التقدم. وحينئذ ستحول الصحافة نظر الجمهور بعيداً بمشكلات جديدة [١]، (وأنتم تعرفون بأنفسكم أننا دائما نعلم الشعب أن يبحث عن طوائف جديدة). وسيسرع المغامرون السياسيون الأغبياء إلى مناقشة المشكلات الجديدة. ومثلهم الرعاع الذين لا يفهمون فى أيامنا هذه حتى ما يتشدقون به.

وإن المشكلات السياسية لا يعنى بها أن تكون مفهومة عند الناس العاديين، ولا يستطيع إدراكها ـ كما قلت من قبل ـ إلا الحكام الذين قد مارسوا تصريف الأمور قرونا كثيرة [٢]. ولكم أن تستخلصوا من كل هذا إننا ـ حين نلجأ إلى الرأي العام ـ سنعمل على هذا النحو، كى نسهل عمل جهازنا Machinary كما يمكن أن تلاحظوا أننا نطلب الموافقة على شتى المسائل لا بالأفعال، بل بالأقوال. ونحن دائماً نؤكد فى كل إجراءاتنا إننا مقودون بالأمل واليقين لخدمة المصلحة العامة.

ولكي نذهل الناس المضعضعين عن مناقشة المسائل السياسية ـ نمدهم بمشكلات جديدة. أى بمشكلات الصناعة والتجارة. ولنتركهم يثوروا على هذه المسائل كما يشتهون.

إنما نوافق الجماهير على التخلى والكف عما تظنه نشاطاً سياسياً إذا أعطيناها ملاهي جديدة، أي التجارة التى نحاول فنجعلها تعتقد أنها أيضا مسألة سياسية. ونحن أنفسنا

---

(١) صحيح إن الجماهير كالطفل، فإذا هو أعنتك بالإلحاح في طلب كفاك أن تقول له مثلاً: «انظر إلى هذا العصفور» فتوجه ذهنه إلى ما تريد، وينسي ما كان يلح عليه من فكرة الطلب، مع أنه لا عصفور هناك، ويبدأ هو في السؤال عن العصفور وقد يصف لك شكله ولونه... فالمهم هو توجيه انتباه الجماهير بشاغل يرضي تطفلها وتدير عليه ألسنتها بلا قصد ولا تمييز وهذا من أدق الأسرار السياسية.

(٢) يريدون بذلك اليهود وحدهم، لاعتقادهم أن الله اختصهم بقيادة الناس.

أغرينا الجماهير بالمشاركة فى السياسيات، كى نضمن تأييدها في معركتنا ضد الحكومات الأممية.

ولكى نبعدها عن أن تكشف بأنفسها أى خط عمل جديد سنلهيها أيضاً بأنواع شتى من الملاهى والألعاب ومزجيات للفراغ والمجامع العامة وهلم جرا.

وسرعان ما سنبدأ الإعلان فى الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى في كل أنواع المشروعات: كالفن والرياضة وما إليهما. هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التى سنختلف فيها معه، وحالما يفقد الشعب تدريجيًا نعمة التفكير المستقل بنفسه سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد: هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة.

وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك فى تحالفهم معنا، أن دور المثاليين المتحررين سينتهى حالما يعترف بحكومتنا. وسيؤدون لنا خدمة طيبة حتى يحين ذلك الوقت .

ولهذا السبب سنحاول أن نوجه العقل العام نحو كل نوع من النظريات المبهرجة Fantastic التي يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية. لقد نجحنا نجاحاً كاملا بنظرياتنا على التقدم فى تحويل رؤوس الأمميين الفارغة من العقل نحو الاشتراكية. ولا يوجد عقل واحد بين الأمميين يستطع أن يلاحظ إنه فى كل حالة وراء كلمة «التقدم» يختفى ضلال وزيغ عن الحق، ماعدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف مادية أو علمية. إذ ليس هناك إلا تعليم حق واحد، ولا مجال فيه من أجل «التقدم» إن التقدم ـ كفكرة زائفة ـ يعمل على تغطية الحق، حتى لا يعرف الحق أحد غيرنا نحن شعب الله المختار الذى اصطفاه ليكون قواماً على الحق.

وحين نستحوذ على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى التى كانت تحير الإنسانية، لكى ينطوى النوع البشرى فى النهاية تحت حكمنا المبارك.

ومن الذى سيرتاب حينئذ فى إننا نحن الذين كنا نثير هذه المشكلات وفق خطة Scheme سياسية لم يفهمها إنسان طوال قرون كثرة.

البروتوكول الرابع عشر :

حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادةالأرض ـ لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ، أى الدين المعترف بوحدانية الله الذى ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم .

ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائذ الإيمان ، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هى أثمار ملحدين [1] فلن يدخل هذا فى موضوعنا ولكنه سيضرب مثلاً للأجيال القادمة التى ستصغى إلى تعاليمنا على دين موسى الذى وكل إلينا ـ بعقيدته الصارمة ـ واجب إخضاع كل الأمم تحت أقدامنا.

وإذ نؤدى هذا سنعكف أيضاً على الحقائق الباطنية Mystic truths للتعاليم الموسوية التى تقوم عليها ـ كما سنقول ـ كل قوتها التربوية.

ثم سننشر فى كل فرصة ممكنة مقالات نقارن فيها بين حكمنا النافع وذلك الحكم السابق. وإن حالة اليمن والسلام التى ستسود يومئذ ـ ولو أنها وليدة اضطراب قرون طويلة ـ ستفيد أيضاً فى تبيين محاسن حكمنا الجديد. وسنصور الأخطاء التى ارتكبها الأمميون (غير اليهود) فى إدارتهم بأفضح الألوان. وسنبدأ بإثارة شعور الازدراء نحو منهج الحكم السابق، حتى إن الأمم ستفضل حكومة السلام فى جو العبودية على حقوق الحرية التى طالما مجدوها، فقد عذبتهم بأبلغ قسوة، واستنزفت منهم ينبوع الوجود الإنسانى نفسه، وما دفعهم إليها على التحقيق الا جماعة من المغامرين الذين لم يعرفوا ما كانوا يفعلون.

إن تغييرات الحكومة العقيمة التى أغرينا الأمميين بها ـ متوسلين بذلك إلى تقويض صرح دولتهم ـ ستكون فى ذلك الوقت قد أضجرت الأمم تماماً، إلى حد إنها ستفضل

---

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دور كايم والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريالية، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلاً وكبراً. ولو استقل هؤلاء التلاميذ فى تفكيرهم لكشفوا ما في آراء أساتذتهم اليهود من زيف وما وراء نظرياتهم من سوء النية (انظر مقالنا فى الرسالة:

العدد ٩٢٦ في ٢ ـ ٤ ـ ١٩٥١ بعنوان «أبطال اليهود بين القرآن والعهد القديم ») .

مقاساة أى شيء منها خوفاً من أن تعود إلى العناء والخيبة اللذين تمضى الأمم خلالهما فيما لو عاد الحكم السابق.

وسنوجه عناية خاصة إلى الأخطاء التاريخية للحكومات الأممية التى عذبت الإنسانية خلال قرون كثيرة جداً لنقص فى فهمها أى شيء يوافق السعادة الحقة للحياة الإنسانية، ولبحثها عن الخطط المبهرجة للسعادة الاجتماعية، لأن الأمميين لم يلاحظوا أن خططهم، بدلاً من أن تحسن العلاقات بين الإنسان والإنسان، لم تجعلها إلا أسوأ وأسوأ. وهذه العلاقات هى أساس الوجود الإنسانى نفسه، إن كل قوة مبادئنا وإجراءاتنا ، ستكون كامنة فى حقيقة إيضاحنا لها ، مع أنها مناقضة تماماً للمنهج المنحل الضائع للأحوال الاجتماعية السابقة.

وسيفضح فلاسفتنا كل مساوئ الديانات الأممية (غير اليهودية) ولكن لن يحكم أحد أبداً على دياناتنا من وجهة نظرها الحقة، إذ لن يستطاع لأحد أبداً أن يعرفها معرفة شاملة نافذة إلا شعبنا الخاص الذى لن يخاطر بكشف أسرارها.

وقد نشرنا فى كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً Hiterature مريضاً قذراً يغثى النفوس. وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب، كى يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التى سنصدرها من موقفنا المحمود. وسيقوم علماؤنا الذين ربوا لغرض قيادة الأمميين بإلقاء خطب، ورسم خطط، وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك إلى أن تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الأفكار التى تلائمنا.

البروتوكول الخامس عشر :

سنعمل كل ما فى وسعنا على منع المؤامرات التى تدبر ضدنا حين نحصل نهائيا على السلطة، متوسلين إليها بعدد من الانقلابات السياسية coups d,etat المفاجئة التى سننظمها بحيث تحدث فى وقت واحد فى جميع الأقطار، وسنقبض على السلطة بسرعة عند إعلان حكوماتها رسميا أنها عاجزة عن حكم الشعوب، وقد تنقضى فترة طويلة من الزمن قبل أن يتحقق هذا، وربما تمتد هذه الفترة قرناً كاملاً، ولكى نصل إلى منع المؤامرات ضدنا حين بلوغنا السلطة سننفذ الإعدام بلا رحمة فى كل من يشهر أسلحة ضد استقرار سلطتنا.

إن تأليف أى جماعة سرية جديدة سيكون عقابه الموت أيضاً، وأما الجماعات السرية التى تقوم فى الوقت الحاضر ونحن نعرفها، والتى تخدم، وقد خدمت، أغراضنا ـ فإننا سنحلها وننفى أعضاءها إلى جهات نائية من العالم. وبهذا الأسلوب نفسه سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأحرار الأمميين (غير اليهود) الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا. وكذلك الماسونيون الذين ربما نعفو عنهم لسبب أو لغيره سنبقيهم فى خوف دائم من النفى، وسنصدر قانوناً يقضى على كل الأعضاء السابقين فى الجمعيات السرية بالنفى من أوروبا حيث سيقوم مركز حكومتنا.

وستكون قرارات حكومتنا نهائية، ولن يكون لأحد الحق فى المعارضة .

ولكى نرد كل الجماعات الأممية على أعقابها ونمسخها ـ هذه الجماعات التى غرسنا بعمق فى نفوسها الاختلافات ومبادئ نزعة المعارضة Protestant للمعارضة ـ سنتخذ معها إجراءات لا رحمة فيها. بمثل هذه الإجراءات ستعرف الأمم أن سلطتنا لا يمكن أن يعتدى عليها، ويجب ألا يعتد بكثرة الضحايا الذين سنضحى بهم للوصول إلى النجاح فى المستقبل.

إن الوصول إلى النجاح، ولو توصل إليه بالتضحيات المتعددة، هو واجب كل حكومة تتحقق . إن شروط وجودها ليست كامنة فى الامتيازات التى تتمتع بها فحسب، بل فى تنفيذ واجباتها كذلك.

والشرط الأساسى فى استقرارها يكمن فى تقوية هيبة سلطاتها، وهذه الهيبة لا يمكن الوصول إليها إلا بقوة عظيمة غير متأرجحة Unshakable ، وهى القوة التى ستبدو أنها مقدسة لا تنتهك لها حرمة، ومحاطة بقوة باطنية Mystic لتكون مثلاً من قضاء الله وقدره.

هكذا حتى الوقت الحاضر كانت الأوتوقراطية الروسية Russian Autoiacy عدونا الوحيد إذا استثنينا الكنيسة البابوية المقدسة Holysee. اذكروا أن إيطاليا عندما كانت تتدفق بالدم لم تمس شعرة واحدة من رأس سلا silla [1] وقد كان هو الرجل الذى جعل

---

(١) سلا Silla مثال نادر لمن يصل إلى السلطان المطلق عن طريق العنف والدهاء. وكان أول ظهوره أيام الحكومة الجمهورية في روما، وهو حلول القائد الروماني ماريوس سنة ١٠٧ ق.م. حين أرسله هذا القائد بمفاوضة ملك مغربي في شمال إفريقيا فنجح فى سفارته سفارته. وحين صار ماريوس قنصلاً رومانيا سنة ١٠٤ ق.م. كان سلا من قواد جيشه، وما زال أمره يعلو تحت رعاية ماريوس حتى اصطدما في سنة ٨٧ ق.م. فزحف سلا بجيشه إلى=

دمها يتفجر ونشأ عن جبروت شخصية سلا Silla أن صار لها فى أعين الشعب، وقد جعلته عودته بلا خوف إلى إيطاليا مقدساً لا تنتهك له حرمة Ruviolable فالشعب لن يضر الرجل الذى يسحره huphoneses (١) بشجاعة وقوة عقله.

وإلى أن يأتى الوقت الذى نصل فيه إلى السلطة، سنحاول أن ننشىء ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار فى جميع أنحاء العالم وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامة Publicspirit (٢) وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التى سنحصل منها على ما نريد من أخبار كما أنها ستكون أفضل مراكز الدعاية.

وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا وستتألف هذه القيادة من علمائنا، وسيكون لهذه الخلايا أيضاً ممثلوها الخصوصيون، كى نحجب المكان الذى نقيم فيه قيادتنا حقيقة. وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق فى تعيين من يتكلم عنها

= روما، وأكره مجلس الشيوخ على الحكم بنفي ماريوس وبعض أتباعه، ثم أهدر دمه ـ وكان سلا أول من سن ذلك بين الرومان ـ ووعد قاتله بمكافأة كبيرة: فهرب ماريوس وخلال غيبة سلا عن روما في حرب مع بعض أعدائها انتصر عليهم فيها، عاد ماريوس إلى روما، وقبض على أزمة الحكم فيها، ولكن سلا عاد إليها بعد انتصاره سنة ٨٣ ق.م. وانتصر على ماريوس وجيوشه أيضاً، فخضع له الرومان صاغرين، ولقب نفسه «السعيد» وانطلق كالوحش يسفك دماء أعدائه وأعداء أصدقائه لا يميز بين برىء ومذنب، وطغت أعماله الوحشية حتى أنه جمع مرة أعضاء المجلس في هيكل، وقام فيهم خطيباً وإلى جواره مكان عام حشد فيه ثمانية آلاف من ضحاياه وأمر جنوده بذبحهم، فلما بلغت صرخاتهم مسامع أعضاء المجلس تمعرت وجوههم من الفزع، فأمرهم سلا أن لا تشغلهم أصوات هؤلاء الأشقياء عن سماع خطابه.

ولما جاء موعد انتخاب القنصلين اللذين جرت السنة إن يليا حكم الدولة الرومانية ترك سلا روما، وكتب من خارجها إلى رئيس المجلس ورئيس لجنة الاقتراع طالباً سؤال الشعب عن إقامة دكتاتور إلى أجل غير مسمى ليصلح الأحوال في جميع أرجاء الدولة، وأعلن أنه قبل لهذا المنصب أداء لهذه الخدمة الوطنية، فتم ما أراد، ووفق على كل أعماله، وأعطى سنة ٨١ق.م سلطة مطلقة على الأرواح والأموال، فبدد فيها ما شاءت له نزواته، وبلغ من السطوة مالم يبلغ حاكم روماني قبله، وكان يستطيع إلغاء الجمهورية والمناداة بنفسه ملكاً ولكنه لم يفعل، لأنه كان يريد اعتزال السياسة بعد الانتقام من أعدائه.

ولما نال هذه الغاية بعد أن بشم من الدماء استعفي من منصبه. وسلم سلطته إلى قنصلين جديدين، ولجأ إلى الراحة بعد أن أضناه التعب بدنا وعقلاً، وضعضعته الرذائل والحماقات، وأصابه داء خبيث أفسد أحشاءه. وأطلق الدود في قروح جلده دون أن ينقذه الدواء والنظافة ومات سنة ٧٨ ق.م. في أتعس حال، وأمر أن يكتب على قبره «هنا سلا الذي فاق كل أحد في البر بأصدقائه والنقمة من أعدائه».

(١) معنى الكلمة بالضبط ينومه تنويما مغناطيسيا، وقد ترجمناها، بكلمة يسحره.

(٢) أى ذو ميل إلى الخدمة العامة، أو اجتماعي لا معتزل ولا منطو على نفسه.

وفى رسم نظام اليوم، وسنضع الحبائل والمصايد فى هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية. وأن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا، وسنهديها إلى تنفيذها حالما تشكل.

وكل الوكلاء Agents فى البوليس الدولى السرى تقريبا سيكونون أعضاء فى هذه الخلايا.

ولخدمات البوليس أهمية عظيمة لدينا؛ لأنهم قادرون على أن يلقوا ستاراً على مشروعاتنا Enterprises ،وأن يستنبطوا تفسيرات معقولة للضجر والسخط بين الطوائف. وأن يعاقبوا أيضاً أولئك الذين يرفضون الخضوع لنا.

ومعظم الناس الذين يدخلون فى الجمعيات السرية مغامرون يرغبون أن يشقوا طريقهم فى الحياة بأى كيفية، وليسوا ميالين إلى الجد والعناء.

وبمثل هؤلاء الناس سيكون يسيراً علينا أن نتابع أغراضنا، وأن نجعلهم يدفعون جهازنا للحركة.

وحينما يعانى العالم كله القلق فلن يدل هذا إلا على أنه قد كان من الضرورى لنا أن نقلقه هكذا، كى نحطم صلابته العظيمة الفائقة. وحينما تبدأ المؤامرات خلاله فإن بدءها يعنى أن واحداً من أشد وكلائنا إخلاصاً يقوم على رأس هذه المؤامرة. وليس إلا طبيعياً أننا كنا الشعب الوحيد الذى يوجه المشروعات الماسونية. ونحن الشعب الوحيد الذى يعرف كيف يوجهها. ونحن نعرف الهدف الأخير لكل عمل على حين أن الأمميين (غير اليهود) جاهلون بمعظم الأشياء الخاصة بالماسونية ولا يستطيعون ولو رؤية النتائج العاجلة لما هم فاعلون. وهم بعامة لا يفكرون إلا فى المنافع الوقتية العاجلة، ويكتفون بتحقيق غرضهم، حين يرضى غرورهم، ولا يفطنون إلى أن الفكرة الأصلية لم تكن فكرتهم بل كنا نحن أنفسنا الذين أوحينا إليهم بها.

والأمميون يكثرون من التردد على الخلايا الماسونية عن فضول محض. أو على أمل فى نيل نصيبهم من الأشياء الطيبة التى تجرى فيها، وبعضهم يغشاها أيضاً لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحافل. والأمميون يبحثون عن عواطف النجاح وتهليلات الاستحسان ونحن نوزعها جزافاً بلا تحفظ، ولهذا نتركهم يظفرون بنجاحهم. لكى نوجه لخدمة

مصالحها كل من تتملكهم مشاعر الغرور، ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة واثقين بصدق عصمتهم الشخصية، وبأنهم وحدهم أصحاب الآراء، وأنهم غير خاضعين فيما يرون لتأثير الآخرين.

وأنتم لا تتصورون كيف يسهل دفع أمهر الأمميين إلى حالة مضحكة من السذاجة والغفلة Naivite بإثارة غروره وإعجابه بنفسه، كيف يسهل من ناحية أخرى ـ أن تثبط شجاعته وعزيمته بأهون خيبة، ولو بالسكوت ببساطة عن تهليل الاستحسان له، وبذلك تدفعه إلى حالة خضوع ذليل كذل العبد إذ تصده عن الأمل فى نجاح جديد، وبمقدار ما يحتقر شعبنا النجاح، ويقصر تطلعه على رؤية خططه متحققة، يحب الأمميون النجاح، ويكونون مستعدين للتضحية بكل خططهم من أجله.

إن هذه الظاهرة Feature فى أخلاف الأمميين تجعل عملنا ما نشتهى عمله معهم أيسر كثيراً . إن أولئك الذين يظهرون كأنهم النمورة هم كالغنم غباوة ، ورءوسهم مملوءة بالفراغ .

سنتركهم يركبون فى أحلامهم على حصان الآمال العقيمة، لتحطيم الفردية الإنسانية بالأفكار الرمزية لمبدأ الجماعية Collectivism [1] . إنهم لم يفهموا بعد، ولن يفهموا ، إن هذا الحلم الوحشى مناقض لقانون الطبيعة الأساسى هو ـ منذ بدء التكوين ـ قد خلق كل كائن مختلفا عن كل ما عداه، لكى تكون له بعد ذلك فردية مستقلة.

أفليست حقيقة إننا كنا قادرين على دفع الأمميين إلى مثل هذه الفكرة الخاطئة ـ

---

(١) Collectivesm مذهب يقضي أن يمتلك الناس الأشياء شيوعاً، ويعملوا فيها معا اختصاص أحد بشيء معين، وقد دعا إلى هذا المذهب كثير من المتهوسين المناكيد، منهم «مزدك» الذي ظهر في فارس قبل الإسلام سنة ٤٨٧م وزاد شيوعية النساء على شيوعية الأموال واعتبرذلك ديناً، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة، ولكن الملك قياد كاد يستأصله هو وأتباعه فى مذبحة عامة سنة ٥٢٣. كما دعا إلى هذا المذهب القرامطة أيام الدولة العباسية، وفتنوا كثيراً من الخلق وارتكبوا كثيراً من الشنع البشعة في جنوبي العراق وما والاه حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠م. إلى أوائل القرن الحادي عشر، كما دعا إليه الشيوعيون في العصر الحاضر ورأس مذهبهم كارل ماركس اليهودى ، وقد تمكن بلاشفتهم اليهود من وضع روسيا تحت هذا النظام ، وأكرهوها بالعنف على هذه الفكرة الخاطئة ولا يزالون يتخبطون فى تطبيقها هناك منحدرين من خيبة إلى خيبة ، مع تمكنهم من الحكم المطلق فيها منذ سنة ١٩١٧ وهم يحاربون الرأسمالية الفردية ولكن الشعب هناك في يدي الحاكم المطلق الذى ملك المال والأرواح. فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم معاً.

تبرهن بوضوح قوى على تصورهم الضيق للحياة الإنسانية إذا ما قورنوا بنا ؟ وهنا يكمن الأمل الأكبر فى نجاحنا.

ما كان أبعد نظر حكمائنا القدماء حينما أخبرونا إنه للوصول إلى غاية عظيمة حقا يجب ألا نتوقف لحظة أمام الوسائل. وأن لا نعتد بعدد الضحايا الذين تجب التضحية بهم للوصول إلى هذه الغاية .. إننا لم نعتمد قط بالضحايا من ذرية أولئك البهائم من الأمميين (غير اليهود)، ومع أننا ضحينا كثيراً من شعبنا ذاته ـ فقد بوأناه الآن مقاماً فى العالم ما كان ليحلم بالوصول إليه من قبل. إن ضحايانا ـ وهم قليل نسبياً ـ قد صانوا شعبنا من الدمار. كل إنسان لابد أن ينتهي حتماً بالموت. والأفضل أن نعجل بهذه النهاية إلى الناس الذين يعوقون غرضنا، لا الناس الذين يقدمونه.

إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يستطيع معه أحد إلا الاخوة ـ أن يرتاب أدنى ريبة فى الحقيقة، بل الضحايا أنفسهم أيضاً لا يرتابون فيها سلفاً. إنهم جميعاً يموتون ـ حين يكون ذلك ضرورياً ـ موتًا طبيعيًا فى الظاهر. حتى الأخوة ـ وهم عارفون بهذه الحقائق ـ لن يجرأوا على الاحتجاج عليها.

وبمثل هذه الوسائل نستأصل جذور الاحتجاج نفسها ضد أوامرنا فى المجال الذى يهتم به الماسون الأحرار. فنحن نبشر بمذهب التحررية لدى الأمميين، وفى الناحية الأخرى نحفظ شعبنا في خضوع كامل.

وبتأثيرنا كانت قوانين الأمميين مطاعة كأقل ما يمكن : ولقد قوضت هيبة قوانينهم بالأفكار التحررية Liberal التى أذعناها فى أوساطهم. وإن أعظم المسائل خطورة، سواء أكانت سياسية أم أخلاقية، إنما تقرر فى دور العدالة بالطريقة التى نشرعها. فالأممى القائم بالعدالة ينظر إلى الأمور فى أى ضوء نختاره لعرضها. وهذا ما أنجزناه متوسلين بوكلائنا وبأناس نبدو أن لا صلة لنا بهم كآراء الصحافة ووسائل أخرى، بل أن أعضاء مجلس الشيوخ Senators وغيرهم من أكابر الموظفين يتبعون نصائحنا اتباعاً أعمى .

وعقل الأممى ـ لكونه ذا طبيعة بهيمية محضة ـ غير قادر على تحليل أى شيء وملاحظته، فضلا عن التكهن بما قد يؤدى إليه امتداد حال من الأحوال إذا وضع فى ضوء معين.

وهذا الاختلاف التام في العقلية بيننا وبين الأمميين هو الذي يمكن أن يرينا بسهولة آية اختيارنا من عند الله وأننا ذوو طبيعة ممتازة فوق الطبيعة البشرية Superhumannature حين تقارن بالعقل الفطرى البهيمى عند الأمميين. إنهم يعاينون الحقائق فحسب. ولكن لا يتنبأون بها، وهم عاجزون عن ابتكار أى شيء وربما تستثني من ذلك الأشياء المادية. ومن كل هذا يتضح أن الطبيعة قد قدرتنا تقديراً لقيادة العالم وحكمه. وعندما يأتى الوقت الذي نحكم فيه جهرة ستحين اللحظة التي نبين فيها منفعة حكمنا، وسنقوم كل القوانين. وستكون كل قوانينا قصيرة وواضحة وموجزة غير محتاجة إلى تفسير، حتى يكون كل إنسان قادراً على فهمها باطناً وظاهراً. وستكون السمة Future الرئيسية فيها هى الطاعة اللازمة للسلطة، وإن هذا التوقير للسلطة سيرتفع إلى قمة عالية جداً. وحينئذ ستتوقف كل أنواع إساءة استعمال السلطة لأن كل إنسان سيكون مسؤولاً أمام السلطة العليا الوحيدة: أى سلطة الحاكم. وإن سوء استعمال السلطة من جانب الناس ما عدا الحاكم سيكون عقابه بالغ الصرامة إلى حد أن الجميع سيفقدون الرغبة فى تجربة سلطتهم لهذا الاعتبار.

وسنراقب بدقة كل خطوة تتخذها هيئتنا الإدارية التى سيعتمد عليها عمل جهاز الدولة، فإنه حين تصير الإدارة بطيئة ستبعث الفوضى فى كل مكان. ولن يبقى بمنجاة من العقاب أى عمل غير قانونى، ولا أى سوء استعمال للسلطة.

ستزول كل أعمال الخفاء والتقصير العمد من جانب الموظفين فى الإدارة بعد أن يروا أوائل أمثلة العقاب.

وستستلزم عظمة سلطتنا توقيع عقوبات تناسبها، أو أن تلك العقوبات ستكون صارمة Harsh ولو عند أدنى شروع في الاعتداء على هيبة سلطتنا من أجل مصلحة شخصية للمعتدى أو لغيره. والرجل الذى يعذب جزاء أخطائه ــ ولو بصرامة بالغة ــ إنما هو جندى يموت فى معترك Battlefield الإدارة من أجل السلطة والمبدأ والقانون، وكلها لا تسمح بأى انحراف عن الصراط العام Puplic Path من أجل مصالح شخصية، ولو وقع من أولئك الذين هم مركبة الشعب puplic Chariot وقادته. فمثلاً سيعرف قضاتنا أنهم بالشروع فى إظهار تسامحهم يعتدون على قانون العدالة الذى شرع لتوقيع العقوبة على الرجال جزاء جرائمهم التى يقترفونها، ولم يشرع كى يمكن القاضى من إظهار حلمه. وهذه الخصلة الفاضلة لا ينبغى أن تظهر إلا فى الحياة الخاصة للإنسان ،

لا فى مقـدرة القاضى الرسمية التى تؤثـر فـى كل أسس التربيـة للنـوع البشرى.

ولن يخدم أعضاء القانون فى المحاكم بعـد سـن الخامسـة والخمسين للسببين الآتيين :

أولهما: أن الشيوخ أعظم إصراراً وجموداً فى تمسكهم بالأفكار التى يدركونها سلفاً، وأقل اقتداراً على طاعة النظم الحديثة.

وثانيهما: أن مثل هذا الإجـراء سيمكننا من إحـداث تغييـرات عـدة فى الهيئة Staff الذين سيكونون لذلك خاضعين لأى ضغط من جانبنا. فإن أى إنسان يرغب في الاحتفاظ بمنصبه سيكون عليه كى يضمنه أن يطيعنا طاعة عمياء. وعلى العموم سيختار قضاتنا من بين الرجال الذين يفهمون أن واجبهم هو العقاب وتطبيق القوانين ، وليس الاستغراق في أحلام مذهب التحررية Liberalism الذى قد ينكب النظام التربوى للحكومة، كما يفعل القضاة الأمميون الآن. وإن نظام تغيير الموظفين سيساعدنا أيضا فى تدمير أى نوع للاتحاد يمكن أن يؤلفوه فيما بين أنفسهم، ولن يعملوا إلا لمصلحة الحكومة التى ستتوقف حظوظهم ومصايرهم عليها. وسيبلغ من تعليم الجيل الناشىء من القضاة أنهم سيمنعون بداهة كل عمل قد يضر بالعلاقات بين رعايانا بعضهم وبعض .

إن قضاة الأمميين فى الوقت لاحاضر مترخصون [١] مع كل صنوف المجرمين ، إذ ليست لديهم الفكرة الصحيحة لواجبهم، ولسبب بسيط أيضا هو أن الحكام حين يعينون القضاة لا يشددون عليهم في أن يفهموا فكرة ما عليهم من واجب .

إن حكام الأمميين حين يرشحون رعاياهم لمناصب خطيرة لا يتعبون أنفسهم كي يوضحوا لهم خطورة هذه المناصب. والغرض الذي أنشئت من أجله، فهم يعملون كالحيوانات حين ترسل جراءها الساذجة بغية الافتراس. وهكذا تتساقط حكومات الأمميين بدداً على أيدى القائمين بأمورها. إننا سنتخذ نهجًا أدبياً واحداً أعظم، مستنبطاً من نتائج النظام الذى تعارف عليه الأمميون، ونستخدمه فى إصلاح حكومتنا .

وسنستأصل كل الميول التحررية من كل هيئة خطيرة في حكومتنا للدعاية التي قد تعتمد عليها تربية من سيكونون رعايانا. وستكون المناصب الخطيرة مقصورة بلا استثناء على من ربيناهم تربية خاصة للإدارة .

---

(١) الترخص التساهل، وهو مصطلح فقهي، والرخصة ضد العزيمة.

وإذا لوحظ أن إخراجنا موظفينا قبل الأوان في قائمة المتقاعدين قد يثبت أنه يكبد حكومتنا نفقات باهظة ـ إذن فجوابى : إننا، قبل كل شىء ، سنحاول أن نجد مشاغل خاصة لهؤلاء الموظفين لنعوضهم عن مناصبهم فى الخدمة الحكومية. أو جوابى أيضاً أن حكومتنا، على أى حال، ستكون مستحوذة على كل أموال العالم ، فلن تأبه من أجل ذلك بالنفقات.

وستكون أوتوقراطيتنا مكينة فى كل أعمالها، ولذلك فإن كل قرار سيتخذه أمرنا العالى سيقابل بالإجلال والطاعة دون قيد ولا شرط. وسنتنكر لكل نوع من التذمر والسخط، وسنعاقب على كل إشارة تدل على البطر عقاباً بالغاً فى صرامته حتى يتخذه الآخرون لأنفسهم عبرة، وسنلغى حق استئناف الأحكام ، ونقصره على مصلحتنا فحسب. والسبب فى هذا الإلغاء هو أننا يجب علينا ألا نسمح أن تنمو بين الجمهور فكرة أن قضاتنا يحتمل أن يخطئوا فيما يحكمون.

وإذا صدر حكم يستلزم إعادة النظر فسنعزل القاضى الذى أصدره فوراً، ونعاقبه جهراً، حتى لا يتكرر مثل هذا الخطأ فيما بعد.

سأكرر ما قلته من قبل، وهو أن أحد مبادئنا الأساسية هو مراقبة الموظفين الإداريين ، وهذا على الخصوص لإرضاء الأمة ، فإن لها الحق الكامل فى الإصرار على أن يكون للحكومة موظفون إداريون صالحون .

إن حكومتنا ستحيل مظهر الثقة الأبوية Patriarchal في شخص ملكنا، وستعتده أمتنا ورعايانا فوق الأب الذى يعنى بسد كل حاجاتهم، ويرعى كل أعمالهم، ويرتب جميع معاملات رعاياه بعضهم مع بعض، ومعاملاتهم أيضاً مع الحكومة. وبهذا سينفذ الإحساس بتوقير الملك بعمق بالغ فى الأمة حتى لن تستطيع أن تقدم بغير عنايته وتوجيهه. إنهم لا يستطيعون أن يعيشوا فى سلام إلا به، وسيعترفون فى النهاية به على أنه حاكمهم الأوتوقراطى المطلق.

وسيكون للجمهور هذا الشعور العميق بتوقيره توقيراً يقارب العبادة، وبخاصة حين يقتنعون بأن موظفيه ينفذون أوامره تنفيذاً أعمى، وأنه وحده المسيطر عليهم. إنهم سيفرحون بأن يرونا ننظم حياتهم Our lives كما لو كنا آباء حريصين على تربية أطفالهم

على الشعور المرهف الدقيق بالواجب والطاعة.

وتعتبر سياستنا السرية أن كل الأمم أطفال، وأن حكوماتها كذلك، ويمكنكم أن تروا بأنفسكم أنى أقيم استبدادنا على الحق Right وعلى الواجب Duty . فإن حق الحكومة في الإصرار على أن يؤدى الناس واجبهم هو فى ذاته فرض للحاكم الذى هو أبو رعاياه، وحق السلطة منحة له، لأنه سيقود الإنسانية فى الاتجاه الذى شرعته حقوق الطبيعة أى الاتجاه نحو الطاعة.

إن كل مخلوق فى هذا العالم خاضع لسلطة، إن لم تكن سلطة إنسان فسلطة ظروف، أو سلطة طبيعته الخاصة فهي ــ مهما تكن الحال ــ سلطة شيء أعظم قوة منه، وإذن فلنكن نحن الشيء الأعظم قوة من أجل القضية العامة.

ويجب أن نضحى دون تردد بمثل هؤلاء الأفراد الذين يعتدون على النظام القائم جزاء اعتداءاتهم، لأن حل المشكلة التربوية الكبرى هو فى العقوبة المثلى .

ويوم يضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى أهدته له كل أوروبا ــ سيصير البطريرك patriarch لكل العالم.

إن عدد الضحايا الذين سيضطر ملكنا إلى التضحية بهم لن يتجاوز عدد أولئك الذين ضحي بهم الملوك الأمميون في طلبهم العظمة، وفي منافسة بعضهم بعضاً.

سيكون ملكنا على اتصال وطيد قوى بالناس ، وسيلقى خطباً من فوق المنابر Tribunes وهذه الخطب جميعاً ستذاع فوراً على العالم.

البروتوكول السادس عشر:

رغبة في تدمير أي نوع من المشروعات الجمعية غير مشروعنا ــ سنبيد العمل الجماعى فى مرحلته التمهيدية (١) أى أننا سنغير الجامعات، ونعيد إنشاءها حسب خططنا الخاصة.

وسيكون رؤساء Heads الجامعات وأساتذتها معدين إعداداً خاصاً وسيلته برنامج

---

(١) أى إننا بدل إن نترك الطلبة يتخرجون في الجامعات حاملين الأفكار التى لا تناسبنا فسنضع برامج لها يتلقونها ، فيتخرجون فيها كما نريد لهم وهذا ما يحدث الآن في روسيا الشيوعية اليهودية (انظر كتاب « آثرت الحرية » المترجم إلى العربية) .

عمل سرى متقن سيهذبون ويشكلون بحسبه، ولن يستطيعوا الانحراف عنه بغير عقاب. وسيرشحون بعناية بالغة، ويكونون معتمدين كل الاعتماد على الحكومة Gouvernment وسنحذف من فهرسنا Syllabus كل تعاليم القانون المدنى مثله فى ذلك مثل أى موضوع سياسى آخر. ولن يختار لتعلم هذه العلوم إلا رجال قليل من بين المدرسين، لمواهبهم الممتازة. ولن يسمح للجامعات أن تخرج للعالم فتيانا خضر الشباب ذوى أفكار عن الإصلاحات الدستورية الجديدة، كأنما هذه الإصلاحات مهازل Comedies أو مآس Tragedies ، ولن يسمح للجامعات أيضاً أن تخرج فتياناً ذوى اهتمام من أنفسهم بالمسائل السياسية التى لا يستطيع ولو آباؤهم أن يفهموها.

إن المعرفة الخاطئة للسياسة بين أكداس الناس هو منبع الأفكار الطوباوية utopian ideas وهى التى تجعلهم رعايا فاسدين. وهذا ما تستطيعون أن تروه بأنفسكم في النظام التربوى للأمميين (غير اليهود). وعلينا أن نقدم كل هذه المبادئ فى نظامهم التربوى، كى نتمكن من تحطيم بنيانهم الاجتماعى بنجاح كما قد فعلنا. وحين نستحوذ على السلطة سنبعد من برامج التربية كل المواد التى يمكن أن تمسخ Upset عقول الشباب وسنصنع منهم أطفالاً طيعين يحبون حاكمهم ، ويتبينون فى شخصه الدعامة الرئيسية للسلام والمصلحة العامة.

وسنتقدم بدراسة مشكلات المستقبل بدلاً من الكلاسيكيات Classics وبدراسة التاريخ القديم الذى يشتمل عل مثل Examples سيئة أكثر من اشتماله على مثل حسنة[١]، وسنطمس فى ذاكرة الإنسان العصور الماضية التى قد تكون شؤماً علينا، ولا نترك إلا الحقائق التي ستظهر أخطاء الحكومات فى ألوان قاتمة فاضحة. وتكون في مقدمة برنامجنا التربوي الموضوعات التى تعنى بمشكلات الحياة العملية ، والتنظيم الاجتماعى. وتصرفات كل إنسان مع غيره، وكذلك الخطب التي تشن الغارة على النماذج الأنانية السيئة التى تعدى وتسبب الشر، وكل ما يشبهها من المسائل الأخرى ذات الطابع الفطرى. هذه البرامج ستكون مرتبة بخاصة للطبقات والطوائف المختلفة ، وسيبقى تعليمها

(١) أى أن اليهود سيدرسون يومئذ للشباب صفحات التاريخ السود ليعرفوهم أن الشعوب عندما كانت محكومة بالنظم القديمة كانت حياتها سيئة ولا يدرسون لهم الفترات التي كانت الشعوب فيها سعيدة، لكي يقنعوهم بهذه الدراسة الكاذبة الزائفة أن النظام الجديد أفضل من القديم، وهذا ما يجري في روسيا الآن. وفي كل بلد عقب كل انقلاب سياسي.

منفصلاً بعضها عن بعض بدقة.

وإنه لأعظم خطورة أن نحرص على هذا النظام ذاته. وسيفرض على كل طبقة أو فئة أن تتعلم منفصلة حسب مركزها وعملها الخاصين. إن العبقرية العارضة Chance قد عرفت دائما وستعرف دائما كيف تنفذ إلى طبقة أعلى ، ولكن من أجل هذا العرض الاستثنائي تماماً لا يليق أن نخلط بين الطوائف المختلفة، ولا أن نسمح لمثل هؤلاء الرجال بالنفاذ إلى المراتب العليا، لا لسبب إلا أنهم يستطيعون أن يحتلوا مراكز من ولدوا ليملأوها (١) ؛ وأنتم تعرفون بأنفسكم كيف كان هذا الأمر شؤماً على الأمميين إذ رضخوا للفكرة ذات الحماقة المطلقة القاضية بعدم التفرقة بين الطبقات الاجتماعية.

ولكي ينال ملكنا مكانة وطيدة في قلوب رعاياه، يتحتم أثناء حكمه أن تتعلم الأمة، سواء في المدارس والأماكن العامة أهمية نشاطه وفائدة مشروعاته.

إنا سنمحوا كل أنواع التعليم الخاص. وفي أيام العطلات سيكون للطلاب وآبائهم الحق في حضور اجتماعات في كلياتهم كما لو كانت هذه الكليات أندية. وسيلقي الأساتذة في هذه الاجتماعات أحاديث تبدو كأنها خطب حرة في مسائل معاملات الناس بعضهم بعضاً، وفي القوانين وفي أخطاء الفهم التي هي على العموم نتيجة تصور زائف خاطئ لمركز الناس الاجتماعي. وأخيراً سيعطون دروساً في النظريات الفلسفية الجديدة التي لم تنشر بعد على عالم. هذه النظريات ستجعلها عقائد للإيمان، متخذين منها مستنداً Stepping - Stone على صدق إيماننا وديانتنا.

وحينما أنتهي من رحلتكم خلال برنامجنا كله ـ وبذلك سنكون قد فرغنا من مناقشة كل خططنا في الحاضر والمستقبل ـ عندئذ سأتلو عليكم خطة تلك النظريات الفلسفية الجديدة. ونحن نعرف من تجارب قرون كثيرة أن الرجال يعيشون ويهتدون بأفكار وأن الشعب إنما يلقن هذه الأفكار عن طريق التربية التي تمد الرجال في كل العصور بالنتيجة ذاتها، ولكن بوسائل مختلفة ضرورية. وأننا بالتربية النظامية سنراقب ما قد بقي من ذلك الاستقلال الفكري الذي تستغله استغلالاً تاما لغايتنا الخاصة منذ زمان مضى. ولقد وضعنا

---

(١) يريدون بذلك اليهود، لاعتقادهم باحتكار السيادة والعبقرية لهم أصلاً من عند الله، فإذا ظهرت لغيرهم، وفي عارضة أو بالمصادفة لا أصيلة ويجب عليهم حربها لأنها خطر عليهم، وإن قوة العبقرية فوق كل قوة.

من قبل نظام إخضاع عقول الناس بما يسمى نظام التربية البرهانيــة [١] Demonstrative education (التعليم بالنظـر) الذى فرض فيه أن يجعـل الأمميين غـير قادرين علـى التفكيـر باستقلال وبذلك سينتظرون كالحيوانات الطيعة برهاناً على كل فكرة قبل أن يتمسكوا بها. وإن واحداً من أحسن وكلائنا فى فرنسا وهو بوروى Bouroy واضع النظام الجديد للتربية البرهانية.

البروتوكول السابع عشر :

إن احتـراف القانون تجعـل الناس يشبون بارديـن قساة عنيديـن ، ويجردهم كذلك من كل مبادئهم، ويحملهم على أن ينظروا إلى الحياة نظرة غير إنسانية بل قانونية محضة. إنهم صاروا معتادين أن يروا الوقائع ظاهرة من وجهة النظر إلى ما يمكن كسبه من الدفاع، لا من وجهة النظر إلى الأثر الذى يمكن أن يكون لمثل هذا الدفاع فى السعادة العامة.

لا محامى يرفض أبداً الدفاع عن أى قضية، أنه سيحاول الحصول على البراءة بكل الأثمان بالتمسك بالنقط الاحتيالية Tricky الصغيرة فى التشريع jurisprudence وبهذه الوسائل سيفسد ذمة المحكمة.

ولذلك سنجد نطاق عمل هذه المهنة، وسنضع المحامين على قدم المساواة On Afooting مع الموظفين المنفذين Executive والمحامون ـ مثلهم مثل القضاة ـ لن يكون لهم الحق فى أن يقابلوا عملاءهم [٢] Clents ولن يتسلموا منهم مذكراتهم إلا حينما يعينون لهم من قبل المحكمة القانونية، وسيدرسون مذكرات عن عملائهم بعد أن تكون

(١) المراد بالتربية البرهانية أو التعليم بالنظر، تعليم الناس الحقائق عن طريق البراهين النظرية والمناقشات الفكرية، والمضاربات الذهنية لا التعليم من طريق ملاحظة الأمثلة وإجراء التجارب عليها للوصول إلى الحقائق أو القواعد العامة. والتربية فى أكثر مدارسنا برهانية تهتم بإثبات الحقيقة بالبرهان النظرى عليها ، ومن شأن هذه الطريقة إن تفقد الإنسان ملكة الملاحظة الصادقة، والاستقلال فى إدراك الحقائق، وفهم الفروق الكبيرة أو الصغيرة بين الأشياء المتشابهة ظاهراً. وهى على العكس من طريقة التربيـة بالمشاهدة والملاحظة والتجربة ودراسة الجزئيات ، وهذه الطريقة الأخيرة تعود الإنسان على حسن الملاحظة والاستقلال الفكرى والتميز الصحيح بين الأشياء والتربية البرهانية غالبا استدلالية، والثانية غالباً إستقرائية تجريبية. ولم تتقدم العلوم وتنكشـف الحقائق منذ عصـر النهضـة إلا باتباع الطريقة الاستقرائية التجريبية. وضرر التربية البرهانية أكثر من نفعها، فهى تمسح العقل وتمد له فى الغرور والعمى والكسل والتواكل.

(٢) العملاء نسميهم فى مصر « الزباين » .

النيابة قد حققت معهم، مؤسسين دفاعهم عن عملائهم على نتيجة هذا التحقيق (١) وسيكون أجرهم محدوداً دون اعتبار بما إذا كان الدفاع ناجحاً. أم غير ناجح إنهم سيكونون مقررين بسطاء لمصلحة العدالة، معادلين النائب الذى سيكون مقرراً لمصلحة النيابة.

وهكذا سنختصر الإجراءات القانونية اختصاراً يستحق الاعتبار. وبهذه الوسائل سنصل أيضاً إلى دفاع غير متعصب، ولا منقاد للمنافع المادية، بل ناشئ عن اقتناع المحامى الشخصى. كما ستفيد هذه الوسائل أيضاً فى وضع حد لأى رشوة أو فساد يمكن أن يقعا اليوم فى المحاكم القانونية فى بعض البلاد.

وقد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين Clergy من الأمميين (غير اليهود) فى أعين الناس، وبذلك نجحنا فى الإضرار برسالتهم التى كان يمكن أن تكون عقبة كئوداً فى طريقنا. وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يوماً فيوماً.

اليوم تسود حرية العقيدة فى كل مكان (٢)، ولن يطول الوقت إلا سنوات قليلة حتى تنهار المسيحية بدداً انهياراً تاماً. وسيبقى ما هو أيسر علينا للتصرف مع الديانات الأخرى (٣)، على أن مناقشة هذه النقطة أمر سابق جداً لأوانه.

سنقصر رجال الدين وتعاليمهم له على جانب صغيراً من الحياة، وسيكون تأثيرهم وبيلاً سيئا على الناس حتى أن تعاليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذى جرت العادة بأن يكون لها.

حينما يحين لنا الوقت كى نحطم البلاط البابوى the papal court تحطيماً تاماً فإن يداً مجهولة، مشيرة إلى الفاتيكان the vatican ستعطى إشارة الهجوم. وحينما يقذف

---

(١) هذا هو النظام المتبع فى روسيا الشيوعية (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

(٢) يجتهد اليهود فى تشكيك الناس فى الديانات عن طريق النقد الحر وعلم مقارنة الأديان، وحرية العقيدة والحط من كرامة رجال الأديان وهم يحافظون على بقائها حتى تفسد فسادا تاماً نهائياً، فيصير أتباعها ملحدين.. والإلحاد هو الخطوة الأولى التى تليها خطوة حمل الناس على الإيمان بصحة الديانة اليهودية وحدها. القاضية بأن اليهود شعب الله المختار للسيادة على العالم واستعباد من عداهم من البشر، وإلههم لا يسمح لغيرهم باعتناق اليهودية فيما يرون.

(٣) إن استطاع اليهود القضاء على المسيحية كان قضاؤهم على الديانات الأخرى أيسر، لأن اتباع المسيحية أكثر عدداً وأعظم قوة، وهم لذلك يختصونها بالجانب الأكبر من حربهم، وهم يهدفون إلى تنصيب بابوات الكنائس المسيحية من مسيحيين أصلهم يهود.

الناس، أثناء هيجانهم، بأنفسهم على الفاتيكان سنظهر نحن كحماة له لوقف المذابح. وبهذا العمل سننفذ إلى أعماق قلب هذا البلاط، وحينئذ لن يكون لقوة على وجه الأرض أن تخرجنا منه حتى نكون قد دمرنا السلطة البابوية إن ملك إسرائيل سيصير البابا Pope الحق للعالم، بطريرك patrick الكنيسة الدولية.

ولن نهاجم الكنائس القائمة الآن حتى تتم إعادة تعليم الشباب عن طريق عقائد مؤقتة جديدة، ثم عن طريق عقيدتنا الخاصة بل سنحاربها عن النقد Criticisim الذى كان وسيظل ينشر الخلافات بينها. وبالإجمال، ستفضح صحافتنا الحكومات والهيئات الأممية الدينية وغيرها، عن طريق كل أنواع المقالات البذيئة Unscrupulous لنخزيها ونحط من قدرها إلى مدى بعيد لا تستطيعه إلا أمتنا الحكيمة.

إن حكومتنا ستشبه الإله الهندى فشنو Vishnu وكل يد من أيديها المائة ستقبض على لولب فى الجهاز الاجتماعى للدولة.

إننا سنعرف كل شىء بدون مساعدة البوليس الرسمى، الذى بلغ من إفسادنا إياه على الأمميين أنه لا الحكومة، إلا فى أن يحجبها عن رؤية الحقائق الواقعية. وسيستميل برنامجنا فريقاً ثالثاً من الشعب مراقبة ينبغى من إحساس خالص بالواجب ومن مبدأ الخدمة الحكومية الاختيارية(١).

ويومئذ لن يعتد التجسس عملا شائنا، بل على العكس من ذلك سينظر إليه كأنه عمل محمود. ومن الجهة الأخرى سيعاقب مقدمو البلاغات Report الكاذبة عقابًا صارمًا حتى يكف أصحاب البلاغات عن استعمال حصانتهم استعمالاً سيئاً.

وسيختار وكلاؤنا Agents من بين الطبقات العليا والدنيا على السواء، وسيتخذون من بين الإداريين والمحررين الطابعين، وباعة الكتب والكتبةClerks والعمال، والحوذية،

(١) المعنى أن اليهود سيستعينون ببوليس سرى آخر غير الرسمى كما يفعلون فى روسيا الآن.وأعضاؤه من جميع أصناف الشعب، منهم الحوذية والمدرسون والمحامون وكبار الموظفين والخدم والطلبة والبغايا، كما أن أفراد الأسرة يتجسس بعضهم على بعض وكذلك المشتركون فى عمل واحد، وهؤلاء الجواسيس ليسوا موظفين فى البوليس وإن كانوا من أفراده، ومن طبقة هؤلاء الجواسيس الرقباء . القضاء على كل ما فى سريرة الإنسان الفاضل من ضمير وإحساس بالواجب، وحب للوطن، وميل إلى الخير ـ ما دام ذلك ضد مصلحة اليهود، ويشبه ذلك فى مصر بعض الشبه ما كان يسمى «البوليس السياسى» وفى ألمانيا نظام «الجستابو» ويمثل ذلك أقوى تمثيل نظام الجاسوسية الداخلى فى روسيا الآن (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

والخدم وأمثالهم، وهذه القوة البوليسية لن تكون لها سلطة تنفيذية مستقلة، ولن يكون لها حق اتخاذ إجراءات حسب رغباتها الخاصة، وإذن فسينحصر واجب هذا البوليس الذى لا نفوذ له انحصاراً تاماً فى العمل كشهود، وفى تقديم بلاغاتReports وسيعتمد فى فحص بلاغاتهم ومضبوطاتهم الفعلية على فرقة من مفتشى البوليس المسؤولين وسيجرى فحص مضبوطاتهم الفعلية على أيدى «الجندرمة » Gendarmes وبوليس المدينة. وإذا حدث تقصير فى تبليغ أى مخالفة Misdemeanour تتعلق بالأمور السياسية فإن الشخص إذا كان ممكنا إثبات أنه مجرم بمثل هذا الإخفاء. وعلى مثل هذه الطريقة يجب أن يتصرف إخواننا الآن، أى أن يشرعوا بأنفسهم لإبلاغ السلطة المختصة عن كل المتنكرين للعقيدة Apostates [1] وعن كل الأعمال التى تخالف قانوننا. وهكذا يكون واجب رعايانا فى حكومتنا العالمية Universal Gouvernment أن يخدموا حاكمهم باتباع الأسلوب السابق الذكر:

إن تنظيما كهذا سيستأصل كل استعمال سيء للسلطة، والأنواع المختلفة للرشوة والفساد – أنه سيجرف فى الواقع كل الأفكار التى لوثنا بها حياة الأمميين عن طريق نظرياتنا فى الحقوق البشرية الراقية Superhuman Right .

وكيف استطعنا أن نحقق هدفنا لخلق الفوضى فى الهيئات الإدارية للأمميين إلا ببعض أمثال هذه الوسائل؟.

ومن الوسائل العظيمة الخطرة لإفساد هيئاتهم، أن نسخر وكلاء ذوى مراكز عالية يلوثون غيرهم خلال نشاطهم الهدام: بأن يكشفوا وينموا ميولهم الفاسدة الخاصة: كالميل إلى إساءة استعمال السلطة والانطلاق فى استعمال الرشوة.

البروتوكول الثامن عشر:

حينما يتاح لنا الوقت كى نتخذ إجراءات بوليسية خاصة بأن نفرض قهراً نظام «أكهرانا » Okhrana الروسى الحاضر (أشد السموم خطراً على هيبة الدولة) – حينئذ

(١) المعنى أن جواسيسنا سيبلغوننا أخبار كل إنسان يرتد عن نظامنا ومبادئنا، وكل ما يدل على نفوره منها أو تمرده عليها. وهكذا تفعل روسيا مع سكانها، فتعاقب بالنفى أو القتل أو السجن كل من تبدو منه إشارة أو كلمة أو عمل تشم منه رائحة تنكر للنظام الشيوعى اليهودى. أو عدم الولاء الأعمى له. (انظر كتاب «آثرت الحرية»).

سنثير اضطرابات تهكمية بين الشعب، أو نغريه باظهار السخط المعطل Protra cted وهذا يحدث بمساعدة الخطباء البلغاء. إن هؤلاء الخطباء سيجدون كثيراً من الأشياع Sympa-thisers (١)، وبذلك يعطوننا حجة لتفتيش بيوت الناس، ووضعهم تحت قيود خاصة، مستغلين خدمنا بين بوليس الأمميين.

وإذ أن المتآمرين مدفوعون بحبهم هذا الفن: فن التآمر، وحبهم الثرثرة ـ فلن نمسهم حتى نراهم على أهبة المضى فى العمل. وسنقتصر على أن نقدم من بينهم ـ من أجل الكلام ـ عنصراً إخباريا Reporting element ويجب أن نذكر أن السلطة تفقد هيبتها فى كل مرة تكتشف فيها مؤامرة شعبية ضدها. فمثل هذا الاكتشاف يوحى إلى الأذهان أن تحدس وتؤمن بضعف السلطة، وبما هو أشد خطراً من ذلك. وهو الاعتراف بأخطائها. يجب أن نعرف أننا دمرنا هيبة الأمميين الحاكمين متوسلين بعدد من الاغتيالات الفردية التى أنجزها وكلاؤنا: وهم خرفان قطيعنا العميان الذين يمكن بسهولة إغراؤهم بأى جريمة، ما دامت هذه الجريمة ذات طابع سياسى (٢).

إننا سنكره الحاكمين على الاعتراف بضعفهم بأن يتخذوا علانية. إجراءات بوليسية خاصة «أكهرانا Okhrana» وبهذا سنزعزع هيبة سلطتهم الخاصة.

وإن ملكنا سيكون محميا بحرس سرى جداً. إذ لن نسمح لإنسان أن يظن أن تقوم

---

(١) أى من يشاركونهم مشاركة وجدانية فى إحساساتهم ونزعاتهم ..

(٢) تفرق فى الأمم لا سيما الديمقراطية بين الجريمتين العادية والسياسية إطلاقاً. فيترخص مع الثانية فى العقاب دون الأولى.

والحق أن التفرقة بينهما من أعوص المشكلات وأدقها أمام رجال القانون فقهاء وقضاة ومحامون وغيرهم. ومن الواجب التفرقة بين العادية الخالصة والعادية ذات الطابع السياسى، والسياسية الخالصة، فقد تظهر الجريمة سياسية وليس لها من السياسة إلا الطابع لا الجوهر، وإن اتخاذها الصورة السياسية يهون على صاحبها ارتكابها. إذ يجعله فى نظر نفسه ونظر الناس بطلاً، بينما هو فى دخيلته إنسان ممسوخ الطبيعة ملتوى العقل، شرير بفطرته، وإن إجرامه كامن يكفى أن يهيجه فيه أن الجريمة سياسية الطابع ولا بأس بالترخص مع الجريمة السياسية عنصراً وطابعاً يرتكبها إنسان فاضل تكرهه الظروف إكراهاً على ارتكابها وهو فى ذاته أريحى كريم نبيل الدوافع أولا، ومسوغ لغاية بعد ذلك.

والأمر الذى يجب أن يدرس أولاً هو الدوافع ثم الغاية، لأن الدوافع لا الغايات هى محركات الحياة ورب جريمة يفلت المجرم فيها من العقاب وهومجرم بفطرته، لأنه يرتكبها باسم العدل أو باسم المحافظة على الأمن أو نحو ذلك، كما فعل عبيد الله بن زياد وأعوانه مع الحسين. وكما يفعل كثير من أولى الأمر مع المحكومين فى بعض البلاد. منذ قام الحكم بين الناس، وكذلك يفعل كثير من المدرسين أو الآباء من الصغار، ونحو ذلك.

ضد حاكمنا مؤامرة لا يستطيع هو شخصيا أن يدمرها فيضطر خائفا إلى إخفاء نفسه منها. فإذا سمحنا بقيام هذه الفكرة ـ كما هى سائدة بين الأمميين ـ فإننا بهذا سنوقع صك الموت لملكنا: إن لم يكن موته هو نفسه فموت دولته Dynasty [١] .

وبالملاحظة الدقيقة للمظاهر سيستخدم ملكنا سلطته لمصلحة الأمة فحسب ، لا لمصلحته هو ولا لمصلحة دولته Dynasty .

وبالتزامه مثل هذا الأدب سيمجده رعاياه ويفدونه بأنفسهم إنهم سيقدسون سلطة الملك Sovereign مدركين أن سعادة الأمة منوطة بهذه السلطة «لأنها عماد النظام العام».

إن حراسة الملك جهاراً تساوى الاعتراف بضعف قوته.

وإن حاكمنا سيكون دائما وسط شعبه. وسيظهر محفوفاً بجمهور مستطلع من الرجال والنساء يشغلون بالمصادفة ـ دائماً حسب الظاهر ـ أقرب الصفوف إليه[٢] مبعدين بذلك عنه الرعاع، بحجة حفظ النظام من أجل النظام فحسب.. وهذا المثل سيعلم الآخرين محاولة ضبط النفس. وإذا وجد صاحب ملتمس بين الناس يحاول أن يسلم الملك ملتمساً، ويندفع خلال الغوغاء، فإن الناس الذين فى الصفوف الأولى سيأخذون ملتمسه، وسيعرضونه على الملك فى حضور صاحب الملتمس لكى يعرف كل إنسان بعد ذلك إن كل الملتمسات تصل الملك، وأنه هو نفسه يصرف كل الأمور. ولكى تبقى هيبة السلطة يجب أن تبلغ منزلتها من الثقة إلى حد أن يستطيع الناس أن يقولوا فيما بين أنفسهم: «لو أن الملك يعرفه فحسب » أو «حينما يعرفه الملك» [٣] .

إن الصوفية Myticism التى تحيط بشخص الملك تتلاشى بمجرد أن يرى حرس من البوليس موضوع حوله. فحين يستخدم مثل هذا الحرس فليس على أى مغتال assassin

---

(١) استعملنا كلمة الدولة كما يقال فى التاريخ: الدولة الأموية، والدولة العباسية والدولة الفاطمية، فليس المراد بالدولة رفقة الأرض المحكومة أو الناس عليها لكن سلسلة الحاكمين المنتسبين إلى أمية أو العباس أو فاطمة ولولا أن كلمة خلافة خاصة بالحكم الإسلامى لكانت أولى بالاستعمال مقابل كلمة dynasty.

(٢) أى هذا الحرس سيكون سرياً لا يحمل شارات تدل عليه فتسير حول الملك فى سيره وكأن الملك بلا حرس بين رعيته. فيعتقد الناس الذين يجهلون هذا السرأن الملك بلغ من ثقته بالشعب ومن حب الشعب إياه أنه لا يخاف من سيره بين رعيته مجرداً من الحراس.

(٣) المعنى إن الناس سيقولون: لو أن الملك يعرف هذا الضرر المشكو منه لما وافق عليه أو لعاقب عليه إذا كان قد جرى وحاول إزالة آثاره الضارة، حينما يعرف الملك هذا الأمر سيعمل لما فيه الخير والمصلحة من وجهة نظر صاحبه.

إلا أن يجرب قدراً معينا من الوقاحة، والطيش كى يتصور نفسه أقوى من الحرس، فيحقق بذلك مقدرته، وليس عليه بعد ذلك إلا أن يترقب اللحظة التى يستطيع فيها القيام بهجوم على القوة المذكورة.

إننا لا ننصح الاميين (غير اليهود) بهذا المذهب. وأنتم تستطيعون أن تروا بأنفسكم النتائج التى أدى إليها اتخاذ الحرس العلنى.

إن حكومتنا ستعتقل الناس الذين يمكن أن تتوهم منهم الجرائم السياسية توهماً عن صواب كثير أو قليل. إذ ليس أمرا مرغوبا فيه أن يعطى رجل فرصة الهرب مع قيام مثل هذه الشبهات خوفاً من الخطأ فى الحكم.

ونحن فعلاً لن نظهر عطفاً لهؤلاء المجرمين. وقد يكون ممكناً فى حالات معينة أن نعتد بالظروف المخففة Attenuating circumstances عند التصرف فى الجنح Offences الإجرامية العادية ولكن لا ترخص ولا تساهل مع الجريمة السياسية، أى ترخص مع الرجال حين يصيرون منغمسين فى السياسة التى لن يفهمها أحد إلا الملك، وإنه من الحق أنه ليس كل الحاكمين قادرين على فهم السياسة الصحيحة.

البروتوكول التاسع عشر:

إننا سنحرم على الأفراد أن يصيروا منغمسين فى السياسة، ولكننا من جهة أخرى، سنشجع كل نوع لتبليغ الاقتراحات أو عرضها ما دامت تعمل على تحسين الحياة الاجتماعية والقومية كى توافق عليها الحكومة وبهذه الوسيلة إذن سنعرف أخطاء حكومتنا والمثل العليا لرعايانا وسنجيب على هذه الاقتراحات إما بقبولها، وإما بتقديم حجة قوية ـ إذا لم تكن مقنعة ـ للتدليل على أنها مستحيلة التحقيق، ومؤسسة على تصوير قصير النظر للأمور.

إن الثورة Sedition ليست أكثر من نباح كلب على فيل، ففى الحكومة المنظمة تنظيماً حسناً من وجهة النظر الاجتماعية لا من وجهة النظر إلى بوليسها، ينبح الكلب على الفيل (١) من غير أن يحقق قدرته. وليس على الفيل إلا أن يظهر قدرته بمثل واحد متقن حتى تكف الكلاب عن النباح، وتشرع فى البصبصة (٢) بأذنابها عندما ترى الفيل.

---

(١) نبح الكلب الفيل ونبح عليه سواء

(٢) بصبص الكلب إذا حرك ذنبه لإظهار خضوعه أو نحو ذلك.

ولكى ننزع عن المجرم السياسى تاج شجاعته سنضعه فى مراتب المجرمين الآخرين بحيث يستوى مع اللصوص والقتلة والأنواع الأخرى من الأشرار المنبوذين المكروهين.

وعندئذ سينظر الرأى العام عقلياً إلى الجرائم السياسية فى الضوء ذاته الذى ينظر فيه إلى الجرائم العادية، وسيصمها وصمة العار والخزى التى يصم بها الجرائم العادية بلا تفريق.

وقد بذلنا أقصى جهدنا لصد الأمميين على اختيار هذا المنهج الفريد فى معاملة الجرائم السياسية. ولكى نصل إلى هذه الغاية ـ استخدمنا الصحافة، والخطابة العامة، وكتب التاريخ المدرسية الممحصة بمهارة، وأوحينا إليهم بفكرة أن القاتل السياسى شهيد، لأنه مات من أجل فكرة السعادة الإنسانية. وأن مثل هذا الاعلان قد ضاعف عدد المتمردين، وانفتحت طبقات وكلائنا بآلاف من الأمميين.

البروتوكول العشرون :

سأتكلم اليوم فى برنامجنا المالى الذى تركته إلى نهاية تقريرى. لأنه أشد المسائل عسراً، ولأنه يكون المقطع النهائى فى خططنا. وقبل أن أناقش هذه النقطة سأذكركم بما أشرت من قبل إليه، وأعنى بذلك أن سياستنا العامة متوقفة على مسألة أرقام.

حين نصل إلى السلطة فإن حكومتنا الأوتوقراطية ـ من أجل مصلحتها الذاتية ـ ستتجنب فرض ضرائب ثقيلة على الجمهور. وستتذكر دائما ذلك الدور الذى ينبغى أن تلعبه، وأعنى به دور الحامى الأبوى.

ولكن ما دام تنظيم الحكومة سيتطلب كميات كبيرة من المال فمن الضرورى أن تتهيأ الوسائل اللازمة للحصول عليه، ولذلك يجب أن نحاول بحرص عظيم بحث هذه المسألة، وأن نرى أن عبء الضرائب موزع بالقسط.

وبحيلة وفق القانون ـ سيكون حاكمنا مالكا لكل أملاك الدولة (وهذا بوضوح موضع التنفيذ بسهوله). وسيكون قادرا على زيادة مقادير المال التى ربما تكون ضرورية لتنظيم تداول العملة فى البلاد.

ومن هنا سيكون فرض ضرائب تصاعدية على الأملاك وهو خير الوسائل لمواجهة التكاليف الحكومية، وهكذا تدفع الضرائب دون أن ترهق الناس ودون أن يفلسوا، وأن

الكمية التى ستفرض عليها الضريبة ستتوقف على كل ملكيه فردية.

ويجب أن يفهم الأغنياء أن واجبهم هو التخلى للحكومة عن جانب من ثروتهم الزائدة. لأن الحكومة تضمن لهم تأمين حيازة ما تبقى من أملاكهم، وتمنحهم حق كسب المال بوسائل نزيهة Honest وأنا أقول نزيهة، لأن إدارة الأملاك ستمنع السرقة على أسس قانونية.

هذا الإصلاح الاجتماعى يجب أن يكون فى طليعة برنامجنا، كما أنه الضمان الأساسى للسلام. فلن يحتمل التأخير لذلك.

إن فرض الضرائب على الفقراء هو أصل كل الثروات، وهو يعود بخسارة كبيرة على الحكومة، وحين تحاول الحكومة زيادة المال على الفقراء تفقد فرصة الحصول عليه من الأغنياء.

إن فرض الضرائب على رءوس الأموال يقلل من زيادة الثروة فى الأيدى الخاصة التى سمحنا لها بتكديسها ــ مغرضين ــ حتى تعمل كمعادل لحكومات الأميين ومالياتهم.

إن الضرائب التصاعدية المفروضة على نصيب الفرد ستجبى دخلا أكبر من نظام الضرائب الحالى الحاضر (١٩٠١) الذى يستوى فيه كل الناس. وهذا النظام فى الوقت الحاضر ضرورى لنا، لأنه يخلق النقمة والسخط بين الأمميين (*) .

إن قوة ملكنا ستقوم أساسيا على حقيقة أنه سيكون ضمانا للتوازن الدولى والسلام الدائم للعالم، وسيكون على رؤوس الأموال أن تتخلى عن ثرواتها لتحفظ الحكومة فى نشاطها.

إن النفقات الحكومية يجب أن يدفعها من هم أقدر على دفعها، ومن يمكن أن تزاد عليهم الأموال .

مثل هذا الإجراء سيوقف الحقد من جانب الطبقات الفقيرة على الأغنياء الذين سيعتدون الدعامة المالية الضرورية للحكومة، وسترى هذه الطبقات أن الأغنياء هم حماة السلام والسعادة العامة، لأن الطبقات الفقيرة ستفهم أن الأغنياء ينفقون على وسائل إعدادها للمنافع الاجتماعية.

(*) لاحظ أن هذا الخطاب قد نشر سنة ١٩٠١ (عن الأصل الإنجليزى).

ولكيلا تبالغ الطبقات الذكية، أى دافعوا الضرائب، فى الشكوى من نظام الضرائب الجديد، ـ سنقدم لهم كشوفا تفصيلية توضح طريق إنفاق أموالهم، ويستثنى منها بالضرورة الجانب الذى ينفق على حاجات الملك الخاصة ومطالب الإدارة.

ولن يكون للملك ملك شخصى، فإن كل شىء فى الدولة سيكون ملكا له، إذ لو سمح للملك بحيازة ملك خاص فسيظهر كما لو كانت كل أملاك الدولة غير مملوكة له.

وأقارب الملك ـ إلا وارثه الذى ستتحمل الحكومة نفقاته ـ سيكون عليهم كلهم أن يعملوا موظفين حكوميين ، أو يعملوا عملا آخر لينالوا حق امتلاك الثروة ، ولن يؤهلهم امتيازهم بأنهم من الدم الملكى، لأن يعيشوا عالة على نفقة الدولة.

وستكون هناك ضرائب دمغة تصاعدية على المبيعات والمشتريات، مثلها مثل ضرائب التركات death duties وأن أى انتقال للملكية بغير الدمغة المطلوبة سيعد غير قانونى . وسيجبر المالك السابق former على أن يدفع عمالة بنسبة مئوية percentage على الضريبة من تاريخ البيع .

ويجب أن نسلم مستندات التحويل (للملكية) أسبوعيا إلى مراقبى الضرائب المحليين local مصحوبة ببلاغ عن الاسم واللقب surname لكل من المالكين الجديد والسابق ، والعنوان الثابت لكل منهما أيضا .

إن مثل هذا الإجراء سيكون ضروريا من أجل المعاملات المالية حين تزيد على مقدار معين، أعنى حين تزيد على مقدار يعادل متوسط النفقات اليومية الضرورية الأولية prime وسيكون بيع الأشياء الضرورية مدموغا stambed بضريبة دمغة محدودة عادية.

ويكفى أن تحسبوا أنتم كم ضعفا سيزيد به مقدار هذه الضرائب على دخل حكومات الأمميين .

إن الدولة لا بد لها من أن تحتفظ فى الاحتياطى بمقدار معين من رأس المال، وإذا زاد الدخل من الضرائب على هذا المبلغ المحدود فسترد الدخول الفائضة الى التداول. وهذه المبالغ الفائضة ستنفق على تنظيم أنواع شتى من الأعمال العامة.

وسيوكل توجيه هذه الأعمال إلى هيئة حكومية. وبذلك ستكون مصالح الطبقات

مرتبطة ارتباطا وثيقا بمصالح الحكومات ومصالح ملكهم، وسيرصد كذلك جزء من المال الفائض للمكافآت على الاختراعات والإنتاجات.

ومن ألزم الضروريات عدم السماح للعملة currency بأن توضع دون نشاط فى بنك الدولة إذا جاوزت مبلغا معينا ربما يكون القصد منه غرضا خاصا. إذ أن العملة وجدت للتداول. وأن أى تكديس للمال ذو أثر حيوى فى أمور الدولة على الدوام. لأن المال يعمل عمل الزيت فى جهاز الدولة، فلو صار الزيت عائقا إذن لتوقف عمل الجهاز.

وما وقع من جراء استبدال السندات بجزء كبير من العملة قد خلق الآن تضخما يشبه ما وصفناه تماما. ونتائج هذه الواقعة فد صارت واضحة وضوحا كافيا.

وكذلك سننشئ هيئة للمحاسبة. كى تمكن الملك من أن يلتقى فى أى وقت حسابا كاملا لخرج Expenditure الحكومة ودخلها. وستحفظ كل التقريرات بدقة وجزم إلى هذا التاريخ ما عدا تقريرات الشهر الجارى والمتقدم.

والشخص الوحيد الذى لن تكون له مصلحة فى سرقة بنك الدولة، سيكون هو مالكه، وأعنى به الملك، ولهذا السبب ستقف سيطرته كل احتمال للإسراف أو النفقة غير الضرورية. وإن المقابلات يمليها أدب السلوك ـ وهى مضيعة لوقت الملك الثمين ـ ستكون معدومة، لكى تتاح له فرصة عظمى للنظر فى شئون الدولة. ولن يكون الملك فى حكومتنا محوطا بالحاشية الذين يرقصون عادة في خدمة الملك من أجل الأبهة، ولا يهتمون إلا بأمورهم الخاصة مبتعدين جانبا عن العمل لسعادة الدولة (١) .

إن الأزمات الاقتصادية التى دبرناها بنجاح باهر فى البلاد الأممية ـ قد أنجزت عن طريق سحب العملة من التداول ، فتراكمت ثروات ضخمة، وسحب المال من الحكومة التى اضطرت بدورها إلى الاستنجاد بملاك هذه الثروات لإصدار قروض. ولقد وضعت هذه القروض على الحكومات أعباء ثقيلة اضطرتها الى دفع فوائد المال المقترض مكبلة بذلك أيديها.

---

(١) من المؤسف أن كثيرا من الحكام فى الأمم المتأخرة يحوطون بأمثال هذه الحاشية من الإمعات والانتهازيين الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الذاتية. مثلهم مثل كلاب الصيد التى لا يهمها لمصلحتها إلا إرضاء سادتها، وليسوا على شيء من قوه الخلق ولا المقدرة السياسية، ولا الإخلاص للمصلحة العامة ولامصلحة سادتهم الحقيقية المرتبطة بمصلحة شعوبهم.

وإن تركز الإنتاج فى أيدى الرأسمالية قد امتص قوة الناس الإنتاجية حتى جفت، وامتص معها أيضا ثروة الدولة.

والعملة المتداولة فى الوقت الحاضر لا تستطيع أن تفى بمطالب الطبقات العاملة، إذ ليست كافية للإحاطة بهم وإرضائهم جميعا.

إن إصدار العملة يجب أن يساير نمو السكان ، ويجب أن يعد الأطفال مستهلكى عملة منذ أول يوم يولدون فيه. وإن تنقيح العملة حينا فحينا مسألة حيوية للعالم أجمع.

وأظنكم تعرفون أن العملة الذهبية كانت الدمار للدول التى سارت عليها، لأنها لم تستطع أن تفى بمطالب السكان. ولأننا فوق ذلك قد بذلنا أقصى جهدنا لتكديسها وسحبها من التداول.

إن حكومتنا ستكون لها عملة قائمة على قوة العمل فى البلاد، وستكون من الورق أو حتى من الخشب.

وسنصدر عملة كافية لكل فرد من رعايانا، مضيفين الى هذا المقدار عند ميلاد كل طفل، ومنقصين منه عند وفاة كل شخص.

وستقوم على الحسابات الحكومية حكومات محلية منفصلة ومكاتب إقليمية (ريفية).

ولكيلا تحدث مماطلات فى دفع الأموال المستحقة للحكومة سيصدر الحاكم نفسه أوامر عن مدة هذه المبالغ، وبهذا ستنتهى المحاباة التى تظهرها أحيانا وزارات المالية نحو هيئات معينة (١) .

ستحفظ حسابات الدخل والخرج معا، لكى يمكن دائما مقارنة كل منهما بالأخرى.

والخطط التى سنتخذها لإصلاح المؤسسات المالية للأممين ستقوم بأسلوب لن يمكن أن يلحظوه. فسنشير إلى ضرورة الإصلاحات التى تتطلبها الحالة الفوضوية التى

---

(١) من المؤسف أن بعض الحكومات تحتمل مماطلة كثير من الرأسماليين الأغنياء فى دفع الضرائب المفروضة عليهم حتى تضيع بمضى المدة، أو تصالحهم على دفع جزء منها وترك جزء على حين أنها تتشدد فى معاملة الصغار وربما يكون دفع الصغار الضريبة المطلوبة كافيا لتعطيل عملهم أو إفلاسهم وخراب بيوتهم.

بلغتها الماليات الأممية. وسنبين أن السبب الأول لهذه الحالات السيئة للمالية يكمن فى حقيقة أنهم يبدأون السنة المالية بعمل تقدير تقريبى للميزانية الحكومية، وأن مقدارها يزداد سنة فسنة للسبب التالى: وهو أن الميزانية الحكومية السنوية تستمر متأخرة حتى نهاية نصف السنة، وعندئذ تقدم ميزانية منقحة، ينفق مالها بعامة فى ثلاثة أشهر، وبعد ذلك يصوت لميزانية جديدة، وفى نهاية السنة تقرر حسابات بتصفية الميزانية. إن الميزانية لسنة واحدة تقوم على جملة النفقة المتحصلة فى السنة السابقة، وعلى ذلك فهناك عجز فى كل سنة نحو خمسين من مائة من المبلغ الاسمى فتضاعف الميزانية السنوية بعد عشر سنوات ثلاثة أضعاف. وبفضل هذا الإجراء الذى اتبعته الحكومات الأممية الغافلة استنفذت أموالهم الاحتياطية عندما حلت مواعيد الديـون، وفرغت بنـوك دولتهم (١) وجذبتهم الى حافـة الإفلاس.

وسوف تفهمون سريعا أن مثل هذه السياسة للأمور المالية التى أغرينا الأميين باتباعها، لا يمكن أن تكون ملائمة لحكومتنا.

إن كل فرض ليبرهن على ضعف الحكومة وخيبتها فى فهم حقوقها التي لها. وكل دين ــ كأنه سيف داميوكليز Damocles ــ يعلق على رؤوس الحاكمين الذين يأتون إلى أصحاب البنوك Bankers منا وقبعاتهم فى أيديهم، بدلا من دفع مبالغ معينة مباشرة عن الأمة بطريقة الضرائب الوقتية.

إن القروض الخارجية مثل العلق الذى لا يمكن فصله من جسم الحكومة حتى يقع من تلقاء نفسه، أو حتى تتدبر الحكومة كى تطرحه عنها، ولكن حكومات الأمميين لا ترغب فى أن تطرح عنها هذا العلق، بل هى ذلك. فإنها تزيد عدده، وبعد ذلك كتب على دولتهم أن تموت قصاصا من نفسها بفقد الدم. فماذا يكون القرض الخارجى إلا أنه علقة؟ القرض هو إصدار أوراق حكومية توجب التزام دفع فائدة تبلغ نسبة مئوية من المبلغ الكلى للمال المقترض. فإذا كان القرض بفائدة قدرها خمسة من مائة، ففى عشرين سنة ستكون الحكومة قد دفعت بلا ضرورة مبلغا يعادل القرض لكى تغطى النسبة المئوية. وفى أربعين سنة ستكون قد دفعت ضعفين، وفى ستين سنة ثلاثة أضعاف المقدار، ولكن القرض سيبقى ثابتا كأنه دين لم يسدد.

---

(١) أى ما يسمى بنك الدولة، لا البنوك الآخرى الموجودة فى الدولة.

ثابت من هذه الإحصائية أن هذه القروض تحت نظام الضرائب الحاضرة (١٩٠١) تستنفذ آخر المليمات النهائية (١) من دافع الضرائب الفقير، كى تدفع فوائد للرأسماليين الأجانب الذين اقترضت الدولة منهم المال، بدلا من جمع الكمية الضرورية من الأمة مجردة من الفوائد فى صورة الضرائب.

وقد اكتفى الأغنياء ـ طالما كانت القروض داخلية ـ بأن ينقلوا المال من أكياس الفقراء إلى أكياس الأغنياء، ولكن بعد أن رشونا أناسا لازمين لا ستبدال القروض الخارجية بالقروض الداخلية ـ تدفقت كل ثروة الدول إلى خزائننا، وبدأ كل الأمميين يدفعون لنا مالا يقل عن الخراج المطلوب.

والحكام الأمميون ـ من جراء إهمالهم، أو سبب فساد وزرائهم أو جهلهم ـ قد جروا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا، حتى إنهم لا يستطيعون تأدية هذه الديون. ويجب أن تدركوا ما كان يتحتم علينا أن نعانيه من الآلام لكى تتهيأ الأمور على هذه الصورة.

سنحتاط في حكومتنا حيطة كبيرة كى لا يحدث تضخم مالى، وعلى ذلك لن نكون فى حاجة الى القروض للدولة إلا قرضا واحدا ذا فائدة قدرها واحد من المائة تكون سندات على الخزانة. حتى لا يعرض دفع النسبة المئوية البلاد لأن يمتصها العلق.

وستعطى الشركات التجارية حق إصدار السندات استثناء. فإن هذه الشركات لن تجد صعوبة فى دفع النسبة المئوية من أرباحها، لأنها تقترض المال للمشروعات التجارية، ولكن الحكومات لا تستطيع أن تجنى فوائد من المال المقترض، لأنها إنما تقترض لتنفق ما أخذت من القروض (٢).

وستشترى الحكومة أيضا أسهما تجارية، فتصير بهذا دائنة بدل أن تكون مدينة ومسددة للخراج TrIbute كما هى الآن. وإن إجراء كهذا سيضع نهاية للتراخى والكسل اللذين كانا مفيدين لنا طالما كان الأمميون (غير اليهود) مستقلين. وسيصيران

---

(١) في الأصل Last sent والترجمة الحرفية «السنتات النهائية» والسنت Cent عملة أمريكية، وهو يساوى جزءا من مائة جزء من الدولار Dollar أو الريال الأمريكى.

(٢) لنلاحظ براعة هذه الخطة. فالشركات التجارية إنما تقترض للإنشاء والتعمير المربح فيزداد بذلك؛ رأس مالها بما تربح، والحكومة تقترض للاستهلاك غالبا فتخسر بالقرض، ولكن ليلاحظ من ناحية أخرى خطأ هذه الفكرة فإن الحكومات يطلب منها نحو الشعب أكثر مما يطلب أصحاب الأسهم والأمة من الشركات.

بغيضين فى حكومتنا..

ويكفى للتدليل على فراغ عقول الأمميين المطلقة البهيمة حقا، أنهم حينما اقترضوا المال هنا بفائدة خابوا فى إدراك أن كل مبلغ مقترض هكذا مضافا إليه فائدة لا مفر من أن يخرج من موراد البلاد. وكان أيسر لهم لو أنهم أخذوا المال من شعبهم مباشرة دون حاجة إلى دفع فائدة. وهذا يبرهن على عبقريتنا وعلى حقيقة أننا الشعب الذى اختاره الله. إنه من الحنكة والدربة أننا نعرض مسألة القروض على الأمميين فى ضوء يظنون معه أنهم وجدوا فيه الربح أيضا.

إن تقديراتنا Esimates التى سنعدها عندما يأتي الوقت المناسب، والتى ستكون مستمدة من تجربة قرون، والتى كنا نمحصها عندما كان الأمميون يحكمون ـ إن تقديراتنا هذه ستكون مختلفة فى وضوحها العجيب عن التقديرات التي صنعها الأمميون، وستبرهن للعالم كيف أن خططنا الجديدة ناجحة ناجعة. إن هذه الخطط ستقضى على المساوئ التى صرنا بأمثالها سادة الأمميين. والتى لا يمكن أن نسمح بها فى حكمنا، وسنرتب نظام ميزانيتنا الحكومية حتى لن يكون الملك نفسه ولا أشد الكتبة Clerks خمولا في مقام لا يلاحظ فيه اختلاسه لأصغر جزء من المال ، ولا استعماله إياه فى غرض آخر غير الغرض الموضوع له فى التقدير الأول (فى الميزانية).

ويستحيل الحكم بنجاح الا بخطة محكمة إحكاما تاما. حتى الفرسان والأبطال يهلكون إذا هم اتبعوا طريقا لا يعرفون الى أين يقودهم، أو إذا بدأوا رحلتهم من غير أن يتأهبوا الأهبة المناسبة لها.

إن ملوك الأمميين الذين ساعدناهم، كى نغريهم بالتخلى عن واجباتهم فى الحكومة، بوسائل الوكالات (عن الأمة) Represention والولائم Entertainments والأبهةوالملاهى الأخرى ـ هؤلاء الملوك لم يكونوا إلا حجبا لإخفاء مكايدنا ودسائسنا.

وإن تقريرات المندوبين* الذين اعتيد إرسالهم لتمثيل الملك فى واجباته العامة قد صنعت بأيدى وكلائنا. وقد استعملت هذه التقريرات في كل مناسبة كى تبهج عقول الملوك القصيرة النظر، مصحوبة ـ كما كانت ـ بمشروعات عن الاقتصاد في المستقبل «كيف استطاعوا أن يقتصدوا بضرائب جديدة؟» هذا ما استطاعوا أن يسألوا عنه قراء

تقريراتنا التى يكتبونها عن المهام التى يقومون بها ولكنهم لم يسألوا عنه فعلا.

وأنتم أنفسكم تعرفون إلى أى مدى من الاختلال المالى قد بلغوا بإهمالهم الذاتى. فلقد انتهوا إلى إفلاس رغم كل المجهودات الشاقة التى يبذلها رعاياهم التعساء.

البروتوكول الحادى والعشرون :

سأزيد الآن على ما أخبرتكم به فى اجتماعنا الأخير،وأمدكم بشرح مفصل للقروض الداخلية. غير أنى لن أناقش القروض الخارجية بعد الآن. لأنها قد ملأت خزائننا بالأموال الأممية، وكذلك لأن حكومتنا العالمية لن يكون لها جيران أجانب تستطيع أن تقترض منهم مالا.

لقد استغللنا فساد الإداريين وإهمال الحاكمين الأمميين لكى نجنى ضعفى المال الذى قدمناه قرضا إلى حكوماتهم أو نجنى ثلاثة أضعافه، مع أنها لم تكن فى الحقيقة بحاجة إليه قط. فمن الذى يستطيع أن يفعل هذا معنا، كما فعلناه معهم؟ ولذلك لن أخوض إلا فى مسألة القروض الداخلية فحسب. حين تعلن الحكومة إصدار قرض كهذا تفتح اكتتابا لسنداتها. وهى تصدرهامخفضة ذات قيم صغيرة جدا،كى يكون فى استطاعة كل انسان أن يسهم فيها. والمكتتبون الأوائل يسمح لهم أن يشتروها بأقل من قيمتها الاسمية. وفى اليوم التالي يرفع سعرها، كى يظن أن كل إنسان حريص على شرائها.

وفى خلال أيام قليلة تمتلئ الخزائن بيت مال الدولة Exchequer بكل المال الذى اكتتب به زيادة على الحد. (فلم الاستمرار فى قبول المال لقرض فوق ما هو مكتتب به زيادة على الحد؟). إن الاكتتاب بلا ريب يزيد زيادة لها اعتبارها على المال المطلوب، وفى هذا يكمن كل الأثر والسر، فالشعب يثق بالحكومة ثقة أكيدة (١) .

ولكن حينما تنتهى المهزلة Comedy تظهر حقيقة الدين الكبير جدا، وتضطر الحكومة، من أجل دفع هذا الدين، الى الالتجاء الى قرض جديد هو بدوره لا يلغى دين الدولة. بل إنما يضيف إليه ديناً آخر. وعندما تنفذ طاقة الحكومة على الاقتراض يتحتم عليها

(١) يجب أن يتأمل القارئ لكى يفهم ما تنطوى عليه هذه الخطة المحبة التى لا يتفتق عنها إلا عقل قد بلغ قمة العنف والدهاء واللؤم فالمعنى أن الأساس في رفع سعر الأسهم بعد هبوطها هو التلاعب بالمكتتبين واستغفالهم بالربح الحرام. وليس هو مراعاة قيمة الأسهم الحقيقية ، ومثل ذلك ألاعيب اليهود في المضافق (البورصات) الآن.

أن تدفع الفائدة عن القروض بفرض ضرائب جديدة، وهذه الضرائب ليست إلا ديونا مقترضة لتغطية ديون أخرى

ثم تأتى فترة تحويلات الديون، ولكن هذه التحويلات إنما تقلل قيمة الفائدة فحسب ولا تلغى الدين ولذلك لا يمكن أن تتم الا بموافقة أصحاب الديون. وحين تعلن هذه التحويلات يعطى الدائنون الحق فى قبولها أو فى استرداد أموالهم إذا لم يرغبوا في قبول التحويلات، فإذا طالب كل إنسان برد ماله فستكون الحكومة قد اصطيدت بطعمها الذى أرادت الصيد به، ولكن تكون فى مقام يمكنها من إرجاع المال كله.

ورعاية الحكومات الأممية ـ لحسن الحظ ـ لا يفهمون كثيرا فى الماليات، وكانوا دائما يفضلون معاناة الهبوط لقيمة ضماناتهم وتأميناتهم وإنقاص الفوائد بالمخاطرة فى عملية مالية أخرى لاستثمار المال من جديد،؛ وهكذا طالما منحوا حكوماتهم الفرصة للتخصص من دين ربما ارتفع إلى عدة ملايين.

إن الأمميين لن يجرأوا على فعل شىء كهذا، عالمين حق العلم أننا ـ فى مثل هذا الحال ـ سنطلب كل أموالنا.

بمثل هذا العمل ستعترف الحكومة اعترافا صريحا بإفلاسها الذاتى مما سيبين للشعب تبييناواضحا أن مصالحه الذاتية لا تتمشى بعامة مع مصالح حكومته. وإن أوجه التفاتكم توجيها خاصا إلى هذه الحقيقة، كما أوجه كذلك إلى ما يلى: أن كل القروض الداخلية موحدة consolidated بما يسمى القروض الوقتية: وهى تدعى الديون ذات الأجل القصير، وهذه الديون تتكون من المال المودع فى بنوك الدولة أو بنوك الادخار.

هذا المال الموضوع تحت تصرف الحكومة لمدة طويلة يستغل فى دفع فوائد القروض العرضية، وتضع الحكومة بدل المال مقدارا مساويا له من ضماناتها الخاصة فى هذه البنوك، وإن هذه الضمانات من الدولة تغطى كل مقادير النقص فى خزائن الدولة عند الأمميين (غير اليهود).

وحينما يلى ملكنا العرش على العالم أجمع ستختفى كل هذه العمليات الماكرة، وسندمر سوق سندات الديون الحكومية العامة، لأننا لن نسمح بأن تتأرجح كرامتنا حسب الصعود والهبوط فى أرصدتنا التى سيقرر القانون قيمتها بالقيمة الاسمية من غير

إمكان تقلب السعر فالصعود يسبب الهبوط، ونحن قد بدأنا بالصعود لإزالة الثقة بسندات الديون الحكومية العامة للأمميين.

وسنستبدل بمصافق (بورصات) الأوراق المالية Exchanges Stock منظمات حكومية ضخمة سيكون من واجبها فرض ضرائب على المشروعات التجارية بحسب ما تراه الحكومة مناسبا. وإن هذه المؤسسات ستكون فى مقام يمكنها من أن تطرح فى السوق ما قيمته ملايين من الأسهم التجارية أو أن تشتريها هى ذاتها فى اليوم نفسه. وهكذا ستكون كل المشروعات التجارية معتمدة علينا . وأنتم تستطيعون أن تتصوروا أى قوة هكذا ستصير عند ذلك.

البروتوكول الثاني والعشرون :

حاولت فى كل ما أخبرتكم به حتى الآن أن أعطيكم صورة صادقة لسير الأحداث الحاضرة، وكذلك سير الأحداث الماضية التي تتدفق في نهر القدر، وستظهر نتيجتها فى المستقبل القريب، وقد بينت لكم خططنا السرية التى نعامل بها الأمميين وكذلك سياستنا المالية، وليس لى أن أضيف إلا كلمات قليلة فحسب.

فى أيدينا تتركز أعظم قوة فى الأيام الحاضرة، وأعنى بها الذهب. ففى خلال يومين نستطيع أن نسحب أى مقدار منه من حجرات كنزنا السرية.

أفلا يزال ضروريا لنا بعد ذلك أن نبرهن على أن حكمنا هو إرادة الله؟ هل يمكن ـ ولنا كل هذه الخيرات الضخمة ـ أن نعجز بعد ذلك عن إثبات أن كل الذهب الذى ظللنا نكدسة خلال قرون كثيرة جدا لن يساعدنا في غرضنا الصحيح للخير، أى لإعادة النظام تحت حكمنا؟

إن هذا قد يستلزم مقدارا معينا من العنف . ولكن هذا النظام سيستقر أخيرا وسنبرهن على أننا المتفضلون الذين أعادوا السلام المفقود والحرية الضائعة للعالم المكروب، وسوف نمنح العالم الفرصة لهذا السلام وهذه الحرية، ولكن فى حالة واحدة ليس غيرها على التأكيد ـ أى حين يعتصم العالم بقوانيننا اعتصاماً صارماً وفوق ذلك سنجعل واضحا لكل إنسان أن الحرية لا تقوم على التحلل والفساد أو على حق الناس في عمل ما يسرهم عمله، وكذلك مقام الإنسان وقوته لا يعطيانه الحق فى نشر المبادئ

الهدامة Destructive principles كحرية العقيدة والمساواة ونحوهما من الأفكار. وسنجعل واضحا أيضا أن الحرية الفردية لا تؤدى إلى أن لكل رجل الحق فى أن يصير ثائرا، أو أن يثير غيره بإلقاء خطب مضحكةٌ على الجماهير القلقة المضطربة. سنعلم العالم أن الحرية الصحيحة لا تقوم إلا على عدم الاعتداء على شخص الإنسان وملكه مادام يتمسك تمسكا صادقا بكل قوانين الحياة الاجتماعية. ونعلم العالم أن مقام الإنسان متوقف على تصوره لحقوق غيره من الناس، وأن شرفه يردعه عن الأفكار المبهرجة فى موضوع ذاته.

إن سلطتنا ستكون جليلة مهيبة لأنها ستكون قديرة وستحكم وترشد، ولكن لا عن طريق اتباع قوة الشعب (١) وممثليه، أو أى فئة من الخطباء الذين يصيحون بكلمات عادية يسمونها المبادئ العليا، وليست هى فى الحقيقة شيئا آخر غير أفكار طوباوية خيالية . أن سلطتنا ستكون المؤسسة للنظام الذى فيه تكمن سعادة الناس وأن هيبة هذة السلطة ستكسبها غراما صوفيا، كما ستكسبها خضوع الأمم جمعاء. إن السلطة الحقة لا تستسلم لأى حق حتى حق الله. ولن يجرؤ أحد على الاقتراب منها كى يسلبها ولو خيطا من مقدرتها.

البروتوكول الثالث والعشرون :

يجب أن يدرب الناس على الحشمة والحياء كى يعتادوا الطاعة. ولذلك سنقلل مواد الترف. وبهذه الوسائل أيضا سنفرض الأخلاق التي أفسدها التنافس المستمر على ميادين الشرف. وسنتبنى «الصناعات القروية Peasant industries » كى نخرب المصانع الخاصة.

إن الضروريات من أجل هذه الإصلاحات أيضا تكمن فى حقيقة أن أصحاب المصانع الخاصة الفخمة كثيراً ما يحرضون عمالهم ضد الحكومة، وربما عن غير وعى .

والشعب أثناء اشتغاله فى الصناعات المحلية ، لا يفهم حالة « خارج العمل » أو

---

(١) أى لا عن طريق من ينتخبهم الشعب كما يحدث في الأمم البرلمانية الآن لأن اليهود ـ كما يفهم من البروتوكولات وكتبهم المقدسة ـ لا يعترفون بالنظام النيابى البرلمانى فى الحكم، لكن يحكمون حكما أوتوقراطيا مطلقا، على يد ملكهم المقدس.

«البطالة» وهذا يحمله على الاعتصام بالنظام القائم. ويغريه بتعضيد الحكومة. إن البطالة هى الخطر الأكبر على الحكومة وستكون هذه البطالة قد أنجزت عملها حالما تبلغنا طريقها السلطة.

إن معاقرة الخمر ستكون محرمة كأنها جريمة ضد الإنسانية وسيعاقب عليها من هذا الوجه: فالرجل والبهيمة سواء تحت الكحول.

إن الأمم لا يخضعون خضوعا أعمى إلا للسلطة الجبارة المستقلة عنهم استقلالا مطلقا، القادرة على أن تريهم أن سيفا فى يدها يعمل كسلاح دفاع ضد الثورات الاجتماعية. لماذا يريدون بعد ذلك أن يكون لمليكهم روح ملاك؟ إنهم يجب أن يروا فيه القوة والقدوة متجسدتين.

يجب أن يظهر الملك الذى سيحل الحكومات القائمة التى ظلت تعيش على جمهور قد تمكنا نحن أنفسنا من إفساد أخلاقه خلال نيران الفوضى. وإن هذا الملك يجب أن يبدأ بإطفاء هذه النيران التي تندلع اندلاعاً مطرداً من كل الجهات.

ولكى يصل الملك إلى هذه النتيجة يجب أن يدمر كل الهيئات التي قد تكون أصل هذه النيران، ولو اقتضاه ذلك إلى أن يسفك دمه هو ذاته، ويجب عليه أن يكون جيشاً منظماً تنظيماً حسناً، يحارب بحرص وحزم عدوى أى فوضى قد تسمم جسم الحكومة .

إن ملكنا سيكون مختاراً من عند الله، ومعيناً من أعلى، كى يدمر كل الأفكار التى تغرى بها الغريزة لا العقل ، والمبادئ البهيمية لا الإنسانية ، إن هذه المبادئ تنتشر الآن انتشاراً ناجحًا فى سرقاتهم وطغيانهم تحت لواء الحق والحرية .

إن هذه الأفكار قد دمرت كل النظم الاجتماعية مؤدية بذلك إلى حكم ملك إسرائيل Kingdom of Israel .

ولكن عملها سيكون قد انتهى حين يبدأ حكم ملكنا . وحينئذ يجب علينا أن نكنسها بعيداً حتى لا يبقى أى قذر فى طريق ملكنا .

وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ فى الأمم « صلوا لله ، واركعوا أمام ذلك

(الملك) الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم . والذى يقود الله ذاته نجمه ، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه Himself قادراً على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة (١) .

البروتوكول الرابع والعشرون :

والآن سأعالج الأسلوب الذى تقوى به دولة Dynasty الملك داود حتى تستمر إلى اليوم الآخر .

إن أسلوبنا لصيانة الدولة سيشتمل على المبادئ ذاتها التى سلمت حكماءنا مقاليد العالم ، أى توجيه الجنس البشرى كله وتعليمه .

وأن أعضاء كثيرين من نسل داود David سيعدون ويربون الملوك وخلفاءهم الذين لن ينتخبوا بحق الوراثة بل بمواهبهم الخاصة . وهؤلاء الخلفاء سيفقهون فيما لنا من مكنونات سياسية سرية، وخطط للحكم، آخذين أشد الحذر من أن يصل إليها أى إنسان آخر.

وستكون هذه الإجراءات ضرورية، كي يعرف الجميع أن من يستطيعون أن يحكموا إنما هم الذين فقهوا تفقيهاً فى أسرار الفن السياسى وحدهم، وهؤلاء الرجال وحدهم سيعلمون كيف يطبقون خططنا تطبيقاً عملياً مستغلين تجاربنا خلال قرون كثيرة. إنهم سيفقهون في النتائج المستخلصة من كل ملاحظات نظامنا السياسي والاقتصادي، وكل العلوم الاجتماعية. وهم بإيجاز، سيعرفون الروح الحقة للقوانين التي وضعتها الطبيعة نفسها لحكم النوع البشري.

وسيوضع مكان الخلفاء المباشرين للملك غيرهم إذا حدث ما يدل على أنهم مستهترون بالشهوات، أو ضعاف العزيمة خلال تربيتهم، أو فى حال إظهارهم أى ميل آخر

---

(١) كان اليهود ينتظرون المخلص الذى يخلصهم من العبودية بعد تشتتهم ، ويعيد إليهم ملكهم الدنيوى ، فلما ظهر يسوع أو عيسى فى صورة قديس ، وحاول تخليصهم روحيًا وخلقيًا من شرورهم . ولم يظهر فى صورة ملك يعيد إليهم سلطانهم الدنيوى ، أنكروه واضطهدون ، وهم حتى الآن ينتظرون المسيح المخلص فى صورة ملك من نسل داود يخلصهم من الاستعباد والتشتت ، وهذا المخلص هو الذى يخلص الإنسانية من الخطيئة كما يقولون هنا وكما تقول كتبهم المقدسة (انظر سفر أشعيا وما بعده مثلاً) . كما أن هذا المخلص هو الذى يعيد مملكة صهيون فى نظرهم أيضًا ويخضع لهم الأمم جميعًا .

إن قطب Column العالم فى شخص الحاكم العالى World Ruler الخارج من بذرة إسرائيل ـ ليطرح كل الاهواء الشخصية من أجل مصلحة شعبه. أن ملكنا يجب إن يكون مثال العزة والجبروت Err eprochable (١) .

وقعه ممثلو صهيون من الدرجة الثالثة والثلاثين (٢) .

(١) أى لا يمكن تناوله بالنقد ولا المؤاخذة ولا مسه بالأذى بأى حال وخير ترجمة عربية في نظرى للكلمة الإنجليزية هى: «عزيز» لأن العزة تشمل كل ذلك.

(٢) أرقى درجات الماسونية اليهودية: فالموقعون هنا هم أعظم أكابر الماسونية في العالم.

تعقيب للأستاذ سرجى نيلوس

هذه الوثائق قد انتزعت خلسة من كتاب ضخم فيه محاضر خطب [1]، وقد وجدها صديقى[2] فى مكاتب بمركز قيادة جمعية صهيون القائم الآن فى فرنسا.

إن فرنسا قد أجبرت تركيا على منح امتيازات لجميع المدارس والمؤسسات الدينية لكل الطوائف: ما دامت هذه المدارس والمؤسسات خاضعة لحماية الدبلوماسية فى آسيا الصغرى.

ولا ريب أن هذه الامتيازات لا تتمتع بها المدارس والمؤسسات الكاثوليكية التى طردتها من فرنسا حكومتها السابقة. هذه الحقيقة تثبت بلا ريب أن دبلوماسية المدارس الدريفوسية Dreyus [3] لا تهتم إلا بحماية مصالح صهيون. وأنها تعمل على استعمار آسيا الصغرى باليهود الفرنسيين. إن صهيون تعرف دائماً كيف تحرز النفوذ لنفسها عن طريق ما يسميهم التلمود« البهائم العاملة» التى يشير بها إلى جميع الأمميين.

ويستفاد من الصهيونية اليهودية السرية أن سليمان والعلماء اليهود من قبل قد فكروا

---

(١) محاضر الخطب أو جلسات.

(٢) أى الصديق الذى دفع بالبروتوكولات إلى الأستاذ نيلوس.. وهذا الصديق هو اليكسى نيقولا نيفتش كبير جماعة أعيان روسيا الشرقية القيصرية.

(٣) الكابتن دريفوس كان ضابطاً فى الجيش الفرنسى، اتهم فيه بتهمة الخيانة العظمى سنة ١٨٩٤ وأحدثت قضيته رجة فى أهل أوربا وأمريكا وروسيا وبخاصة فرنسا،وحاول اليهود بكل ما لديهم من وسائل علنية وسرية إنقاذه ولكن حكم عليه بالنفى المؤبد من فرنسا، ثم تصدى لنقض الحكم كثير، منهم الكاتب الفرنسى المشهور « أميل زولا» إذ نشر فى جريدة« الأرور » فى ١٣ يناير سنة ١٨٩٨ خطاباً بعنوان « إنى أتهم» وأعقبه بمثله، وعمل اليهود بكل ما لديهم من نفوذ لتبرئة دريفوس، ولكن المحكمة قبلت إعادة النظر فى القضية، وقضت بحبسه عشر سنوات بدل النفى، ثم لم يزل اليهود بكل وسائلهم يعملون على تغيير الحكم، فنجحوا، وفى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ قررت محكمة النقض بطلان الحكم السابق وتبرئة دريفوس وإعادته إلى الجيش العامل ، فسر اليهود بذلك سرورا بالغاً. رغم ما نالوه من عناء وبذلوامن تضحيات طاهرة ونجسة فى الحصول على ذلك والمراد بالمدارس الدريفوسية هنا المدارس التى لا تهتم إلا بخدمة اليهود. وقد صدرت البروتوكولات قبل تبرئة دريفوس . انظر : كتاب « يقظة العالم اليهودى ؛ بالعربية ص ٧٤ ــ ٨٧).

سنة ٩٢٩ ق.م فى استنباط مكيدة لفتح كل العالم فتحاً سلميا لصهيون.

وكانت هذه المكيدة تنفذ خلال تطورات التاريخ بالتفصيل ، وتكمل على أيدى رجال دربوا على هذه المسألة.هؤلاء الرجال العلماء صمموا على فتح العالم بوسائل سلمية مع دهاء الأفعى الرمزية التى كان رأسها يرمز إلى المتفقهين فى خطط الإدارة اليهودية، وكان جسم الأفعى يرمز إلى الشعب اليهودى ـ وكانت الإدارة مصونة سراً عن الناس جميعاً حتى الأمة اليهودية نفسها . وحالما نفذت هذه الأفعى فى قلوب الأمم التى اتصلت بها سربت من تحتها، والتهمت كل قوة غير يهودية فى هذه الدول. قد سبق القول بأن الأفعى لا بد أن عملها معتصمة اعتصاماً صارماً بالخطة الموسوية حتى يغلق الطريق الذى تسعى فيه بعودة رأسها إلى صهيون (١) ، وحتى تكون الأفعى بهذه الطريقة قد أكملت ا لتفافها حول أوربا وتطويقها إياها ؛ وتكون لشدة تكبيلها أوربا قد طوقت العالم أجمع. وهذا ما يتم إنجازه باستعمال كل محاولة لإخضاع البلاد الأخرى بالفتوحاتالاقتصادية.

إن عودة رأس الأفعى إلى صهيون لا يمكن أن تتم إلا بعد أن تنحط قوى كل ملوك أوروبا (٢) ، أى حينما تكون الأزمات الاقتصادية ودمار تجارة الجملة قد أثرا فى كل مكان. هناك ستمهد السبيل لإفساد الحماسة والنخوة والانحلال الأخلاقى وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات فى صور الفرنسيات والإيطاليات ومن إليهن . إن هؤلاء النساء أضمن ناشرات للخلاعة والتهتك فى حيوات Lives المتزعمين (٣) على رؤوس الأمم .

والنساء فى خدمة صهيون يعملن كأحابيل ومصايد لمن يكونون بفضلهن فى حاجة إلى المال على الدوام. فيكونون لذلك دائما على استعداد لأن يبيعوا ضمائرهم بالمال.

---

(١) هذه نبوءة نيلوس بقيام « إسرائيل » قبل قيامها بنحو نصف قرن .

(٢) لقد تم ما أراد اليهود، وتحقق ما تنبأ به نيلوس وهو سقوط الملكيات فى البلاد الأوربية الملكية عقب الحربين العالميتين كروسيا وأسبانيا وإيطاليا ...

(٣) ليلاحظ أن كثيرا من زعماء الأمم والمشهورين فيها كالعلماء والفنانين والأدباء وقادة الجيوش ورؤساء المصالح والشركات لهم زوجات أو خليلات أو مدبرات لمنازلهم من اليهوديات، يطلعن على أسرارهم ويوجهن عقولهم وجهودهم لمساعدة اليهود أو العطف عليهم أو كف الأذى عنهم وهن سلاح يعد أخطر الأسلحة.

وهذا المال ليس الا مقترضاً من اليهود لأنه سرعان مايعود من طريق هؤلاء النسوة أنفسهم إلى أيدى اليهود الراشين، ولكن بعد أن اشترى عبيداً لهدف صهيون من طريق هذه المعاملات المالية (١) .

وضرورى لمثل هذا الإجراء أن لا يرتاب الموظفون العموميون ولا الأفراد الخصوصيون في الدور الذى تلعبه النسوة اللاتى تسخرهن يهود، ولذلك أنشأ الموجهون لهدف صهيون ـ كما قد وقع فعلاً ـ هيئة دينية : قوامها الأتباع المخلصون للشريعة الموسوية وقوانين التلمود، وقد اعتقد العالم كله أن حجاب شريعة موسى هو القانون الحقيقى لحياة اليهود (٢) ، ولم يفكر أحد فى أن يمحص أثر قانون الحياة هذا، ولاسيما أن كل العيون كانت موجهة نحو الذهب الذى يمكن أن تقدمه هذه الطائفة ، وهو الذى يمنح هذه الطائفة الحرية المطلقة فى مكايدها الاقتصادية والسياسية .

وقد وضح رسم طريق الأفعى الرمزية كما يلى (٣) :

كانت مرحلتها الأولى فى أوروبا سنة ٤٢٩ ق. م . فى بلاد اليونان حيث شرعت الأفعى أولاً فى عهد بركليس Percles تلتهم قوة تلك البلاد .

وكانت المرحلة الثانية فى روما فى عهد أغسطس Augustus حوالى سنة ٦٩ ق.م.

والثالثة فى مدريد فى عهد تشارلس الخامس Charles سنة ١٥٥٢م .

والرابعة فى باريس حوالى ١٧٠٠ فى عهد الملك لويس السادس عشر .

والخامسة فى لندن سنة ١٨١٤ وما تلاها (بعد سقوط نابليون).

والسادسة فى برلين سنة ١٨٧١م بعد الحرب الفرنسية البروسية

والسابعة في سان بطرسبرج الذى رسم فوقها رأس الأفعى تحت تاريخ ١٨٨١ . .

---

(١) كان اليهود يشترون الأراضى من عرب فلسطين بأثمان غالية، ثم يسلطون نساءهم وخمورهم على هؤلاء العرب حتى يبتزوا منهم الأموال التى دفعوها لهم ، وعلى هذا النحو وأمثاله يعملون فى كل البلاد .

(٢) يجب أن يلاحظ أن الشريعة الموسوية لا يرعاها اليهود إلا بين بعضهم وبعض ، ولهم فى معاملة الأميين الغرباء عنهم طريق خاصة، فهم ينظرون إليهم كالحيوانات تماماً ولا يرعون لهم حرمة، وأكثرهم يلتزم شريعة التلمود اليهودية وهى شريعة أشد وحشية وإجراماً من شريعة الغاب ..

(٣) الخريطة التى يشير إليها نيلوس هنا لم توضح فى نسختنا الإنجليزية .

كل هذه الدول التى اخترقتها الأفعى قد زلزلت أسس بنيانها، وألمانيا مع قوتها الظاهرة ـ لا تستثنى من هذه القاعدة . وقد أبقى على إنجلترا وألمانيا من النواحى الاقتصادية، ولكن ذلك موقوت ليس إلا ، إلى أن يتم للأفعى قهر روسيا التى قد ركزت عليها جهودها فى الوقت الحاضر(١) والطريق المستقبل للأفعى غير ظاهر على هذه الخريطة، ولكن السهام تشير الى حركتها التالية نحو موسكو وكييف وأودسا .

ونحن نعرف الآن جيداً مقدار أهمية المدن الأخيرة من حيث هى مراكز للجنس اليهودى المحارب . وتظهر القسطنطينية (٢) كأنها المرحلة الأخيرة لطريق الأفعى قبل وصولها إلى أورشليم . ولم تبق أمام الأفعى إلا مسافة قصيرة حتى تستطيع إتمام طريقها بضم رأسها إلى ذيلها .

ولكي تتمكن الأفعى من الزحف بسهولة فى طريقها ، اتخذت صهيون الإجراءات الآتية لغرض قلب المجتمع وتأليب الطبقات العاملة نظم الجنس اليهودى أولاً إلى حد أنه لن ينفذ اليه أحد، وبذلك لا تفشى أسراره. ومفروض أن الله نفسه قد وعد اليهود بأنهم مقدر لهم أزلاً أن يحكموا الأرض كلها فى هيئة مملكة صهيون المتحدة، وقد أخبرهم بأنهم العنصر الوحيد الذى يستحق أن يسمى إنسانياً. ولم يقصد من كل من عداهم إلا أن يطلقوا « حيوانات عاملة » وعبيداً لليهود ، وغرضهم هو إخضاع العالم، وإقامة عرش صهيون على الدنيا (See Sanh. 91. 21. 1051) (٣) .

---

(١) هذه نبوءة من نبوءات الأستاذ نيلوس بسقوط القيصرية ، وقيام الشيوعية اليهودية الماركسية بدلها على الصورة التى رسمتها البروتوكولات وليس الاختلاف بين الصورتين إلا الاختلاف الذى يجب أن ينتظر فى تنفيذ المؤامرة قبل إتمامها وبعده. ولا يمكن أن تتفق الصورتان التمهيدية والنهائية وإن كانت ملامح التمهيدية واضحة فى النهائية وضوح ملامح الطفل فى الرجل . « والطفل أبو الرجل » كما يقول شكسبير .

(٢) إن الأفعى اليهودية فى طريقها إلى أورشليم قد مرت على القسطنطينية فدمرت الخلافة الإسلامية، ولم يكن مفر لها من تدميرها قبل الوصول إلى أورشليم وإقامة دولة إسرائيل والمتتبعون لأحوال تركيا قبل سقوط الخلافة الإسلامية، وبعد قيام مصطفى كمال بالحكم التركى اللادينى وانحياز تركيا إلى إسرائيل ضد العرب فى كل المواقف السياسية يلمسون اليد اليهودية فى توجيه سياسة تركيا وهذه نبوءة من نبوءآت الأستاذ نيلوس .

(٣) خير مرجع للقارئ العربى في ذلك كتاب العهد القديم والتلمود وأقرب له منهما وأبسط وأسهل فهما كتيب فى ١١٦ صفحة ـ للأستاذ بولس حنا مسعد ، عنوانه:« همجية التعاليم الصهيونية » وهومن أخطر الكتب الصغيرة بخاصة فى الكشف عن همجية الديانة اليهودية. وقد نقلت أسماء المراجع الإنجليزية فى هذا الموضع وما قبله وبعده على حالها، لأنها ـ فيما أعلم ـ لم تترجم إلى العربية، فلا فائدة إذن للقارئ العربى غير العارف بالإنجليزية من نقل أسمائها إليه بالعربية ما دام لا يستطيع الرجوع إليها فى أصولها الأجنبية.

وقد تعلم اليهود أنهم فوق الناس super men ، وأن يحفظوا أنفسهم في عزلة عن الأمم الأخرى جميعاً . وقد أوحت هذه النظريات إلى اليهود فكرة المجد الذاتي لعنصرهم، بسبب أنهم أبناء الله حقاً. (See Jihal 97: 1, sanh, 58, 2) .

وقد وطدت الطريقة الاعتزالية لحياة جنس صهيون توطيداً تاما نظام « الكاغال Kaghal » الذي يحتم على كل يهودي مساعدة قريبه، غير معتمد على المساعدة التي يتلقاها من الإدارت المحلية التي تحجب حكومة صهيون عن أعين إدارات الدول الأممية التي تدافع دائما بدورها دفاعا حماسيا عن الحكومة اليهودية الذاتية، ناظرين إلى اليهود خطأ كأنهم طائفة دينية محضة، وهذه الأفكار المشار إليها قبل – وهي مقررة بين اليهود – قد أثرت تأثيراً هاماً في حياتهم المادية. فحينما نقرأ هذه الكتب مثل:

" Gopayon" 14, pag1,. " Eben - Gaizar, " Page81,

" XXXVI. Ebamot," " 98, XXV. Ketubat,36

" XXXVI. Pandrip". " XXX Kadushin, " 68 A

وهذه كلها مكتوبة لتمجيد الجنس اليهودي – نرى أنها في الواقع تعامل الأمميين (غير اليهود) كما لو كانوا حيوانات لم تخلق إلا لتخدم اليهود. وهم يعتقدون أن الناس وأملاكهم بل حيواناتهم ملك لليهود، وأن الله رخص لشعبه المختار أن يسخرهم فيما يفيده كما يشاء[1] .

وتقرر شرائع اليهود أن كل المعاملات السيئة للأمميين تغفر لهم في رأس سنتهم الجديدة، كما يمنحون في اليوم ذاته أيضاً العفو عن الخطايا التي سيرتكبونها في العام القادم.

وقد عمل زعماء اليهود كأنهم « وكلاء استفزاز» في الحركات المعادية للسامية Anti- semitism بسماحهم للأمميين أن يكتشفوا بعض أسرار التلمود، لكي يثير هؤلاء

---

(١) انظر محزور فارحي اليهودي المصري المترجم إلى العربية(وهو بالعبرية أيضاً) الجزء الثاني. وهو خاص بالصلوات لأجل عيد رأس السنة، فدرس يوم رأس السنة: صلاة بعد الظهر أو العصر ص ٢٤٢ – ٢٥٨ وترتيب تشليح أو طرح الخطايا ص ٢٥٩ – ٢٦٤ ومواضع أخرى(طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٩٢٤) وجزء ٣ ص ٢٨ ليلة الغفران وصلاة المساء ص ٤١ .

الزعماء بغضاء الشعب اليهودى ضد الأمميين.

وكانت تصريحات عداوة السامية Anti- Semitism مفيدة لقادة اليهود، لأنها خلقت الضغينة فى قلوب الأمميين نحو الشعب الذى كان يعامل فى الظاهر معاملة سيئة، مع أن تشيعاتهم وأهواءهم كانت مسجلة فى جانب صهيون.

وعداوة السامية Anti- Semitism ـ والتى جرت الاضطهاد على الطبقات الدنيا من اليهود ـ قد ساعدت قادتهم على ضبط أقاربهم وإمساكهم إياهم فى خضوع. وهذا ما استطاعوا لزاما أن يفعلوه لأنهم دائماً كانوا يتدخلون فى الوقت المناسب لإنقاذ شعبهم الموالى لهم. ويلاحظ أن قادة اليهود لم يصابوا بنكبة قط من ناحية الحركات المعادية للسامية، لا فى ممتلكاتهم الشخصية ولا مناصبهم الرسمية فى إدارتهم.

وليس هذا بعجيب ما دام هؤلاء الرؤوس أنفسهم قد وضعوا « كلاب الصيد المسيحية السفاكة» ضد اليهود الأذلاء. فمكنتهم كلاب الصيد السفاكة من المحافظة على قطعانهم، وساعدت بذلك على بقاء تماسك صهيون.

واليهود ـ فيما يرون أنفسهم ـ قد وصلوا فعلاً إلى حكومة عليا تحكم العالم جميعاً، وهم الآن يطرحون أقنعتهم عنهم بعيداً.

ولا ريب فى أن القوة الفاتحة الغازية الرئيسية لصهيون تكمن دائماً فى ذهبهم، وهم لذلك إنما يعملون ليعطوا هذا الذهب قيمة.

ولا يعلل سعر الذهب المرتفع إلا بتداول الذهب خاصة [١] ، ولا يعلل تكدسه فى أيدى صهيون إلا بأن اليهود قادرون على الربح من كل الأزمات الدولية الاقتصادية. كى يحتكروا الذهب، وهذا ما يبرهن عليه تاريخ أسرة روتشيلد Rothschild المنشور فى باريس فى « الليبر بارول Libre Parole » [٢].

---

(١) من الأسس الاقتصادية المعتمدة نظرية تقوم كل الأشياء بالذهب وهى خاطئة، لأن الذهب ليس إلامقوماً، وإن مقدرة الدولة الاقتصادية لا تقوم بما عندها من الذهب ـ وإن كان هذا ما يريد أن يؤكده اليهود ـ لكن مقدرة كل دولة تقاس بمنتجاتها وخيراتها التى تقدمها للعالم ولو لم تملك من الذهب شيئاً، فالدول التى تعمل على تكديس الذهب لمجرد الذهب دون الاعتماد على منتجاتها الأخرى ودولة جاهلة مخطئة تسىء إلى منزلتها وحياتها، وهذا ما وقعت فيه مصر منذ عام ١٩٤٩.

(٢) فى أواخر القرن الماضى انتشرت فى فرنسا دعوة عداوة السامية والمراد بها أولا مقاومة اليهودية ، وكان من أشد =

وقد توطدت سيطرة الرأسمالية عن طريق هذه الأزمات تحت لواء مذهب التحررية Liberalism ، كما حميت بنظريات اقتصادية واجتماعية مدروسة دراسة ماهرة، وقد ظفر شيوخ صهيون بنجاح منقطع النظير بإعطائهم هذه النظريات مظهراً علميا (١).

وإن قيام نظام التصويت السرى قد أتاح لصهيون فرصة لتقديم قوانين تلائم أغراضها عن طريق الرشوة. وإن الجمهورية هى صورة الحكومة الأممية التى يفضلها اليهود من أعماق قلوبهم، لأنهم يستطيعون مع الجمهورية أن يتمكنوا من شراء أغلبية الأصوات بسهولة عظمى، ولأن النظام الجمهورى يمنح، وكلاءهم وجيش الفوضويين التابعين لهم حرية غير محدودة. ولهذا السبب يعضد اليهود مذهب التحررية على حين كان الأمميون الحمقى الذين أفسد اليهود عقولهم يجهلون هذه الحقيقة الواضحة من قبل، وهى أنه ليست الحرية مع الجمهورية أكثر منها مع الأوتوقراطية والأمر بالعكس، ففى الجمهورية يقوم الضغط على الأقلية عن طريق الرعاع (٢) ، وهذا ما يحرص عليه دائماً وكلاء صهيون .

وصهيون، حسب إشارة منتفيورى (٣) Montefiore لا تدخر مالاً ولا وسيلة أخرى للوصول إلى هذه الغايات. وفى أيامنا هذه تخضع كل الحكومات في العالم ــ عن وعى أو

= الموقدين لنارها فى فرنسا كاتب فرنسي اسمه إدوار بريريمون بكتاب نشره عنوانه «فرنسا اليهودية» بين فيه نظرية خصومة اليهود وفساد الحياة الفرنسية وانحلالها بتأثيرهم. ثم أسس سنة ١٨٩٢ جريدة للطعن فى اليهود سماها « الليبر بارول » أى الكلام الحر، فقامت حركة لإخراج ضباط اليهود من الجيش الفرنسى وعددهم خمسمائة.

وكتبت فى ذلك مقالات نارية كان من ضحاياها ضابط يهودى يسمى « أرمان ماير » فقتل. وظن أن مقتله نهاية الحركة غير أن الصحيفة« الليبر بارول» استمرت على تهجمها حتى قبض فى أوائل سنة ١٨٩٤ على الضابط الكبير دريفوس بتهمة الخيانة العظمى، وكانت الصحيفة أول من أظهر التهمة وقاد الحملة ضده انظر كتاب « يقظة العالم اليهودى » للأستاذ اليهودى المصرى« إيلى ليفى عسل » بالعربية(ص ٦٨ ــ ٧٣) .

(١) هذا مظهر زائف ما يزال يخدع كثيراً من دعاة التمكن من علم الاقتصاد وقد وقعت مصر سنة ١٩٤٩ فى خطأ بسبب ذلك..

(٢) هذه حقيقة من الحقائق السياسية الهامة التى لا يفطن إليها إلا الحكماء. ولمعرفة ذلك يجب مقارنة الملكية فى بريطانيا بالجمهورية فى فرنسا لبيان الفرق بين الحكمين، فالفرق بين الحكمين واضح، والفرق ينشأ دائماً لا من شكل الحكومة ملكية أو جمهورية بل من تربية الشعب السياسية، فشكل الحكومة لا قيمة له، لكن القيمة للشعب، ومدى إدراكه وتمسكه بحقوقه .

(٣) زعيم يهودى كان يريد لليهود استعمار فلسطين، وكان عظيم النفوذ فى بريطانيا وصديق العائلة المالكة، وعاش أكثر من قرن (انظر « يقظة العالم اليهودى » ص ١٣٥ ــ ١٨٠).

عن غير وعى ـ لأوامر تلك الحكومة العليا العظيمة: حكومة صهيون [١] ، لأن كل وثائقها في حوزة حكومة صهيون، وكل البلاد مدينة لليهود إلى حد أنها لا تستطيع إطلاقاً أن تسد ديونها. إن كل الصناعة والتجارة وكذلك الدبلوما سية في أيدي صهيون. وعن طريق رؤوس أموالها قد استعبدت كل الشعوب الأممية. وقد وضع اليهود بقوة التربية القائمة على أساس مادى سلاسل ثقيلة على كل الأمميين. وربطوهم بها إلى حكومتهم العليا.

ونهاية الحرية القومية فى المتناول، ولذلك ستسير الحرية الفردية أيضا إلى نهايتها، لأن الحرية الصحيحة لا يمكن أن تقوم حيث قبضة المال تمكن صهيون من حكم الرعاع، والتسلط علي الجزء الأعلى قدراً، والأعظم عقلاً فى المجتمع. «من لهم آذان للسمع فليسمعوا»[٢].

قريبا ستكون قد مضت أربع سنوات منذ وقعت فى حوزتى «بروتوكولات حكماء صهيون» ولا يعلم إلا الله وحده كم كانت المحاولات الفاشلة التى بذلتها لإبراز هذه البروتوكولات إلى النور، أو حتى لتحرير أصحاب السلطان، وأن أكشف لهم عن أسباب العاصفة التى تتهدد روسيا البليدة التى يبدو من سوء الحظ فقد تقديرها لما يدور حولها.

والآن فحسب قدنجحت ـ بينما أخشى أن يكون قد طال تأخرى ـ فى نشر عملى على أمل أنى قد أكون قادراً على إنذار أولئك الذين لا يزالون ذوى آذان تسمع، وأعين ترى [٣] .

لم يبق هناك مجال للشك، فإن حكم إسرائيل المنتصر يقترب من عالمنا الضال بكل ما للشيطان من قوة وإرهاب، فإن الملك المولود من دم صهيون ـ عدو المسيح ـ قريب من عرش السلطة العالمية [٤] .

---

(١) هذا ما تحقق الآن فعلاً، وإن لم يبلغ مداه. فمعظم الحكومات الكبرى كأمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا، والمجامع الدولية مثل مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، ومحكمة العدل الدولية ومن قبلها عصبة الأمم، ووفود الأمم السياسية إليها واليونسكو تبدو خاضعة لنفوذ اليهود، أو تتكون أكثريتها من أعضاء يهود أو صنائعهم. والأحداث الجارية تكشف عن ذلك بوضوح يراه العميان.

(٢) اقتباس من كلمات السيد المسيح كما روتها الأناجيل.

(٣) وهذا ما أحس به أنا المترجم العربي لكتاب البروتوكولات، فقد لقيت في سبيل نشره من المتاعب ما يطول ذكره، وقد كشف لي عن السلطان الواسع الذي يتمتع به اليهود حتى فى أبعد المؤسسات الوطنية عن نفوذ اليهود الظاهر، ولا أتمني أكثر مما تمني الأستاذ نيلوس هنا، وأرجو أن يكون حظي خيراً من حظه، وإن كنت معرضا للاغتيال في كل لحظة، وموطد نفسي عليه.

(٤) كان هذا فى سنة ١٩٠٢، واليهود الآن أقرب للعرش ، لأن كل الأحداث سارت فى هذا الطريق لمصلحة اليهود، وتقريب ملكهم من غرضه.

إن الأحداث فى العالم تندفع بسرعة مخيفة: فالمنازعات، والحروب، والإشاعات، والأوبئة والزلازل ـ والأشياء التى لم تكن أمس إلا مستحيلة ـ قد صارت اليوم حقيقة ناجزة. إن الأيام تمضى مندفعة كأنها تساعد الشعب المختار ولا وقت هناك للتوغل بدقة خلال تاريخ الإنسانية، من وجهة نظر «أسرار الظلم» المكشوفة، ولا للبرهة تاريخاً على السلطان الذى أحرزه «حكماء صهيون» كى يجلبوا نكبات على الإنسانية، ولا وقت كذلك للتنبؤ بمستقبل البشرية المحقق المقترب الآن ولا للكشف عن الفصل الأخير من مأساةالعالم.

إن نور المسيح Light of Christ منفرداً « ونور كنيسته العالمية المقدسة His Holy Universal Church Churrch هما اللذان يستطيعان أن ينفذا خلال الأغوار الشيطانية، ويكشفا مدى ضلالها (١) .

إنى لا أشعر فى قلبى بأن الساعة قد دقت لدعوة المجتمع المسكونى الثامن Ecumenical Council Eighth فيجتمع فيه رعاة الكنائس وممثلو المسيحية عامة، ناسين المنازعات التى مزقتهم طوال قرون كثيرة كى يقابلوا مقدم أعداء المسيح (٢) .

---

(١) لم يعد الدين مسيحياً أو إسلاميا كافيا وحدة للوقوف أمام طغيان صهيون بل لا بد معه من الاستعانة بكل ما فى العقول الحكيمة من وعى، وكل ما فى الأيدى من أسلحة حربية وسلمية للقضاء على هذا الطغيان الذى سيدمر العالم تدميراً لغرض استعباد البشر لليهود، ومن هذه الفقرة وأمثالها نلمح شدة تدين الأستاذ نيلوس، وإيمانه بقدرة الدين على تخليص الناس من هذا الخطر الساحق، وليت الدين وحده ينفع فى إصلاح ما أفسد اليهود.

قلت: الإسلام وحده، وهو الدين القيم، كاف للوقوف أمام طغيان صهيون، وحسبنا ما سبق من معرفة أن الرسول الحبيب المحبوب ﷺ قضى على اليهود عسكريا، فى الوقت الذى كان يواجه فيه المشركين، والنصارى، وأيضا ما سيأتى من بيان معرفة معالم النصر على اليهود.

(٢) المجامع المسيحية نوعان : مجامع خاصة عقدها آباء كنيسة معينة وهذه كثيرة. ومجامع عامة عقدها آباء الكنائس من جميع أقطار المسكونة (الأرض) ولذلك تسمى « مسكونية » وعددها سبعة: أقدامها « مجمع نيقية الأول » سنة ٣٢٥م وآخرها « مجمع نيقية الثانى » سنة ٧٨٧م. والأستاذ نيلوس يشير إلى المجامع المسكونية السبعة التى عقدها آباء الكنيسة المسيحية للاتفاق على تعاليم واحدة اختلفت حولها طوائفهم المسيحية، ويتمنى عقد مجمع ثامن يتفق فيه الآباء على الوقوف متحدين ضد اليهود، ولكن لا أظن ذلك ممكناً، ولا أظنه ـ إن أمكن نافعاً وحده، ولا بد مع ذلك من وسائل سياسية واقتصادية وحربية للقضاء على هذه المؤامرة اليهودية الإجرامية .

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحـة

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة